

# ذخائر الأعلام

## شرح ترجمان الأشواق

للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي

حقّقه وعلّق عليه

محمد عبدالرحمن الكردي

دار بيبليون

باريس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين المفيض على عباده المخلصين من أنواره القدسية ما يفتح لهم أبواب المعارف والحقائق الإلهية، فيشاهدوا عظمته ويدركوا عن طريق مخلوقاته صفاته، والصلاة والسلام على أشرف رسله وأكرم خلقه، وأفضل من عرف الله حقه، وعلى آله وأصحابه الذين غمرهم نوره صلى الله عليه وسلم حتى أصبح عرش ربهم بارزاً أمامهم، والجنة واضحة يعاينون تزاور أهلها، والنار بلهبها مسعرة يسمعون عواء أهلها، فلزموا باب الله لا يرحونه طمعاً في رضاه .

وبعد ؛ فهذا كتاب نفيس له قدر عال عند أهل القلوب والأخلاق، وهم من عرفوا بالصوفية الذين شغلهم تعلقهم بالله عن كل ما يحيط بهم من العوالم فنزوا في ذاته وغرقوا في محبته، فتحقق فيهم « كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به فبي يسمع وبني يبصر » فتفتحت قلوبهم على أنواره فهامت في حبه، وعبرت عن مشاهدتها بلسان الخلق في عبارات تقصر أو تطول، فيتصهر قلوب سامعيها وتذيبها شوقاً لخالقها لأنها خرجت من قلوب عامرة وعت وعملت بما تقول قبل أن تنطق بلسانها، وقد كثر

هؤلاء وألفت فيهم الكتب ، وكثر كلام الناس حولهم وانقسموا طائفتين :  
طائفة من أضيئت قلوبهم فشعروا بجمالهم وأنس مشاهدتهم .

وأخرى لم يكتب لهم التوفيق فخاربوهم وشهروا بهم .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيتها

ومن هؤلاء الذين دارت حولهم المعارك الشيخ الأكبر سلطان العارفين  
سيدي محيي الدين المعروف بابن عربي في المشرق ، وابن العربي في المغرب ،  
الذي ألف كتباً عدة في التصوف هي جنات فيحاء ملئت بأنواع المعارف  
في أسلوب أدبي راق وذوق عال ، تقدم للقارئ العزيز منها كتابه  
« ذخائر الأعلام » الذي شرح فيه ديوانه « ترجمان الأشواق » .

هذا الديوان الذي نظمه أثناء اعتماره في رجب وشعبان ورمضان  
في حالة تجل إلهي وصفاء روح رقت فيه حجب النفس ، وذلك سنة ثمان  
وتسعين وخمسمائة من هجرة سيد المرسلين ، حين التقى بأكابر العلماء  
والصلحاء والزهاد بين رجال ونساء ، وأعجبه منهم الشيخ العالم المتعلق بربه  
مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني البغدادي  
الفقيه الشافعي الزاهد الذي جمع الفضائل ، وأخته العالمة المسنة التي سمع عن  
علمها وطلبه منها ، فأذنت لأخيها أن يكتب له نيابة عنها إجازة عنها  
في جميع مروياتها ، وابنة هذا العالم الزاهد الورع الذي أغرم بالإغراق

في وصفها لأنه جعلها محور شعره في هذا الديوان يقول : بعد وصفه لها الذي سنتطالع في مقدمة هذا الشرح : فراعينا في صحبتها كريم ذاتها مع ما انضاف إلى ذلك من صحبة العمة والوالد فلقد قلدنا من نظامنا في هذا الكتاب أحسن القلائد بلسان النسيب الرائق ، أو عبارات الغزل اللائق ، ولم أبلغ في ذلك بعض ما تجده النفس ويثيره الأوس . ولكن نظمنا فيها بعض خاطر الاشتياق من تلك الذخائر والأعلاق ، فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أكنى ، وكل دار أندية فدارها أعنى ، ولم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية والتنزلات الروحانية والمناسبات العلوية جرياً على طريقتنا المثلى ، فإن الآخرة خير لنا من الأولى ، ولعلمها رضى الله عنها بما إليه أشير ولا ينبئك مثل خبير ، فهو قد اتخذ من هذه الفتاة اللطيفة رمزاً لما يريد إظهاره وكشفه من الواردات والأنوار .

وليس قصده الغزل أو وصف النساء فحين يتحدث عن الفتاة الرومية التي وصفها فيه بأوصاف الأنوثة التامة نجد أننا لا يمكننا أن نقول إنها امرأة حقيقية ، ولكن نقول إنها نفسه جردها ، ودار الحديث بينها وبينه والنفس شأنها اللطافة والرقّة ، فاختر لها أثنى رومية ، والروميات يومئذ مضرب المثل في الجمال والبياض ، فأخذ منها رمزاً للصفاء والجمال الذي أحس به ، وكيف يقول قائل غير هذا ، والشيخ حين يحكيها عن نفسه

يقول : كنت أطوف ذات ليلة بالبيت ، فطاب وقتي وهزني حال كنت أعرفه ، فخرجت من البلاط من أجل الناس ، وطفت على الرمل فحضرتني أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسي ومن يليني ، فالحالة هذه حالة روحانية وجدانية بمحنة يدور فيها الحوار بين الإنسان ونفسه حول صدقه في دعواه ومقدار صدقه وماذا فعل .

هذا هو مقصود الشيخ من شعره الغزلي ، أما لماذا سلك طريق الغزل والتشبيب وأغرق فيه ، وذكر كريمات جماعين مدار غزله ، بينما يقصد معارف ربانية وأنواراً إلهية وغير ذلك ؟

فيجيب : جعلت العبارة عن ذلك بلسان الغزل والتشبيب لتمشيق النفوس بهذه العبارات ، فتتوفر الدواعي على الإصغاء إليها ، وهو لسان كل أديب ظريف روحاني لطيف .

ولقد أحدث هذا الشعر دويماً وأقاويل حوله مما جعل بدرراً الحبشي<sup>(١)</sup> وإسماعيل بن سود كين<sup>(٢)</sup> يطلبان إليه شرح هذا الديوان .

---

(١) بدر الحبشي الأمير الكبير كان أميراً على فارس بدمشق ، واستمر نحواً من أربعين سنة كان خيراً ديناً معمرآ موصوفاً بالشهامة والعقل والرأى توفي عام ٦٩٨ هـ .

(٢) إسماعيل بن سود كين ابو الطاهر الثوري الحنفى توفي عام ٦٤٦ هـ .

وحيث شرحه كان ذلك سبباً في رجوع من أنكر على الشيخ حاله ،  
وما يأتي به في كلامه من الغزل والتشبيب ويقصد بذلك الأسرار الإلهية ،  
وقد كشف هو النقاب عن ذلك بما أشار به إلى معارف ربانية وأنوار إلهية  
وأسرار روحانية وعلوم عقلية وتنبيهات شرعية .

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه في غزله وزيادة على ما أوردنا قوله : « والله  
يعصم قارئه هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية  
والهمم العلية المتعلقة بالأمور السماوية آمين بعزة من لا رب غيره ، والله  
يقول الحق وهو يهدي السبيل » .

والناظر في شعره وشرحه يشعر بثقافة الشيخ اللغوية الواسعة ، وعلمه  
بالحديث ، وكيف يستخدم اللفظ الذي يساعده إلى الوصول إلى غرضه من  
ذلك استعماله للفظ قيس في الشدة لأن من معانيه اللغوية الشدة ، وهكذا  
تشعر وأنت تقرؤه برصيد لغوي ضخم قدمه لنا في هذا الكتاب الصغير  
الحجم الكبير القدر الذي شرح فيه بعض أحوال العارفين وطريق سلوكهم  
إلى الله ، وكيف يكون الأدب مع الله ومع الناس ، لهذا لم يكن هناك فرق  
بين موضوع قصائده حتى يميزها ، وإنما هي أحوال وأنوار عرضت له فترجمها  
في شعره مخالفاً في وزنه أحياناً وفي قافيته أحياناً أخرى ، وإن لم يتغير  
الموضوع المتحدث عنه كما ستشاهد ذلك أثناء قراءتك له .

من أجل هذا أردنا أن نقدمه للقراء حتى يتسنى لنا أن نرى الشيخ

الأكبر في أحواله مع الله ، وحديثه عن المقامات والصحبة ، أما  
عملنا فيه :

١ - ضبط ما احتاج إلى ضبط مع تصويب ما أصاب بعض ألفاظه  
من تحريف .

٢ - التعليق عليه بما يكشف بعض جوانب غامضة منه .

٣ - بيان بعض الأحاديث التي جاءت فيه .

ولما كنا حريصين على كشف نهجه ، وأنه يرسم طريق السلوك إلى  
الله ، وأن الصحبة هي المفيدة في الوصول إلى الله إذا التزم معها جانب  
الأدب مع الربى ، لذلك ألحقت به رسالته

« الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط »  
حتى يمكن الانتفاع بها

وأرجو أن أكون بذلك قد وفقت فيما قصدت إليه جعله الله خالصاً  
لوجه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

المعلق

دكتور

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبد الرحمن نجم الدين الكردي

القاهرة في رمضان سنة ١٣٨٨

نوفمبر سنة ١٩٦٨

## ترجمة المؤلف

نسبه :

أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائفي أطلق عليه في بلاد الأندلس « ابن العربي » بالألف واللام أما في الشرق فكانوا يطلقون عليه « ابن عربي » بغير الألف واللام تمييزاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي الماعزى . قاضى قضاة اشبيلية الذى رحل إلى الشرق وتوفى به سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

مولده :

ولد رضى الله تعالى عنه يوم الإثنين سابع عشر من رمضان المعظم سنة ستين وخمسمائة هجرية فى مدينة « مرسية » بالأندلس من أبوين كريمين عرفا بالصلاح فأبوه على بن محمد المداوم على قراءة القرآن وأمه السيدة الصالحة « نور » ، فقد نشأ بين أبوين متدينين متأثراً بهما عاملاً بتوجيهاتهما الدينية .

أما أسرته :

فمن أعمامه : أبو مسلم الخولانى الصوفى صاحب المجاهدات الشاقة .

ومن أخواله : يحيى بن غفان ملك تلمسان الذى لقبه أبو عبد الله



التونسي ، العابد الزاهد في موكبه وتحدث إليه فخرج عن ملكه ولزم  
خدمة الشيخ .

شيوخه :

رحل ابن عربي مع أسرته إلى أسبيلية وهناك أخذ القراءات عن أبي  
بكر محمد بن خلف اللخمي الأشبيلي وأبي الحسن بن محمد بن شريح الرعيني  
وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد القرطبي المعروف بالشرائط . وأخذ الحديث  
والفقه والأدب عن : أبي عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد المعروف  
بابن زرقون . وأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين  
ابن سعيد الأزدي الأشبيلي . وأبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الله بن  
يحيى بن الجند وأبي القاسم جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل  
الحرستاني وقد أكب الشيخ على قراءة الكتب ليروي غلته .

ومن شيوخه في التصوف : موسى البيدراني . وأبي عمران موسى  
ابن عمران المارتلي . وأبي الحجاج يوسف الشبريلي . وأبي عبد الله بن  
قيسوم . وأبي عبد الله بن المجاهد . ويوسف الكومي . وأبي مدين شعيب  
ابن الحسين الأندلسي . وأبي العباس العربي . كما خدم من وراء حجاب  
المرأة العابدة العارفة بربها فاطمة بنت ابن المثني القرطبي التي جاوزت  
التسعين عند خدمته لها وكانت تدعوه بابنها وتقول له : أنا أمك الإلهية  
و « نور » أمك الترايبية .

رحلاته :

لما سلك طريق الصوفية بدأ في رحلاته فطاف بلاد الأندلس ثم انتقل إلى بلاد المغرب ومنها إلى تونس ، ومصر ، ثم مكة المكرمة واتصل بعلمائها وتوثقت الصلة بينه وبين أبي شجاع مكين الدين زاهر بن رستم إمام مقام إبراهيم وفيها أنشأ هذا الديوان الذي تقدمه لك وطاف بربوع مكة والطائف متنقلا بين الآثار النبوية متمسكا بركة الأماكن التي شرفت بأعظم البشر ، وأصحابه من مكة إلى الطائف إلى المدينة المنورة ثم أخذ يجوب البلاد شرقا حتى وصل آسيا الصغرى وهي أرمنييه وتركيا والأناضول ثم عاد إلى العراق وجاب البلاد الاسلامية وكان في كل ذلك يرجع إلى مكة والمدينة للتزود منهما بزاده الروحي حتى يتمكن من مواصلة رحلاته التي اتصل فيها بالعلماء من الصوفية وغيرهم وجالسهم وأخذ عنهم وأخذوا منه كالسهروردي وغيره .

ثم استقر به المقام في دمشق وقضى بها بقية عمره حتى وافته منيته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وسمائة بدمشق في دار القاضي محيي الدين بن الذكي وحمل إلى قاسيون فدفن في تربته المعروفة إلى الآن .

أخبره :

أكانت أخلاق الشيخ الأكبر سلطان العارفين كما لقبه العلماء محمديّة

حقاً لا يأمر إلا بما يفعله هو يسبق عمله قوله فحين طاف ببلاد الروم والتقى بملك (قونية) فأجله وأكرمه ووهب له داراً، قدرت بمائة ألف درهم فلما تزولها وأقام بها . مر به سائل . فقال : شيء لله . فقال : مالي غير هذه الدار فخذها لك فتسلمها السائل وحين استقر بدمشق وأقبلت عليه الدنيا وحملت إليه عطايا ملوك الأرض وساداتها فكان يتصدق بكل ما يصل إليه حتى لقب بريح الكرم كما كان العفو والصفح - وخاصة عن خصومه - من ذلك أنه كان بدمشق رجل فرض على نفسه أن يلعبه كل يوم عشر مرات فمات وحضر ابن عربي جنازته ثم رجع فجلس في بيته وتوجه للقبلة فلما جاء وقت الغداء أحضر إليه الطعام فلم يأكل ولم يزل على حاله إلى ما بعد العشاء ثم التفت مسروراً وطلب العشاء وأكل . فقيل له في ذلك . فقال : التزمت مع الله أنى لا آكل ولا أشرب حتى يغفر لهذا الذي يلعبني وذكرت له سبعين ألف لا إله إلا الله فغفر له .

وقد أودى الشيخ كثيراً في حياته وبعد مماته بما لم يقع نظيره لغيره .

مطابق بين العلماء :

قال شيخ الإسلام الخزومي « وقد كان الشيخ بالشام كعبة للقاصدين ومثابة للمتفهمين . يتردد إليه العلماء ويحف به الأوباء ويلوذ به الأوفياء يعترفون له جميعاً بجلالة المقدار . وأنه أستاذ المحققين من غير إنكار وقد

أقام بين أظهرهم أمدًا طويلًا يكتبون مؤلفاته ويتداولونها بينهم  
ويسألونه الدعاء .

وحين اجتمع الشيخ محي الدين في بغداد بالأمام السهروردي فأطرق  
كل منهما ساعة ثم افترقا فقبل لابن عربي ما تقول في السهروردي فقال :  
مملوء سنة من مفرقه إلى قدمه وقيل للسهروردي ما تقول في محي الدين  
فقال : بحر الحقائق وإمام العارفين وكفى بها شهادة من السهروردي إمام  
عصره بلا منازع .

وقال عنه الحافظ ابن حجر : كان عارفاً بالآثار والسنن قوي المشاركة  
في العلوم أخذ الحديث عن جمع وكان يكتب الإنشاء لبعض ملوك المغرب  
ثم تزهد وساح ودخل الحرمين والشام وله في كل بلد دخلها ما أثر .

وقال الصفي ابن أبي منصور : جمع ابن عربي بين العلوم السكسية  
والعلوم الوهبية وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا لا يكثرث بالوجود  
مقبلا كان أو معرضا . وقد شهد له كثير من العلماء كما نفس عليه ما منحه  
الله آخرون فشهروا به وحاربوه بكلامه الذي اعتبروه خروجا منه وقال عنه  
الشيخ أحمد المقرئ المغربي في كتابه زهر الرياض في أخيار عياض : والذي  
اعتقده ، ولا يصح غيره أن الامام ابن عربي ولي صالح وعالم ناصح وإنما  
فوق إليه سهام الملامة من لم يفهم كلامه على أنه دست في كتبه مقالات  
قدره يجمل عنها ، وقال المناوي : وفريق قصد بالإنكار عليه وعلى أتباعه .

الانتصار لحظ نفسه لكونه وجد قرينه وعصريه يعتقدوه وينتصر له فحملته  
حمية الجاهلية على معاكسته فبالغ في خذلانه وخذلان أتباعه ومعتقديه وقد  
شاهد عود الخذلان والتمول على هذا الفريق وعدم الانتفاع بعلومهم  
وبتصانيفهم على حسنها ونحتم الكلام حوله بقول بعض العلماء لرجل قد سأله  
أن يقرأ عليه تائية ابن الفارض فقال له : دع عنك هذا من جاع جوع  
القوم وسهر سهرهم رأى ما رأوا .

### مؤلفاته :

ألف الشيخ نحواً من أربعمئة كتاب ورسالة من المطبوع منها :  
الفتوحات المسكية ، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ، فصوص الحكم  
مفاتيح الغيب كنهه ما لا يد المرید منه ، مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار  
والعلوم ، روح القدس ، الأنوار ، شجرة الكون التدبيرات الالهية في  
الملأكة الانسانية .

### ومن المخطوطات :

الأمرى إلى مقام الأمرى ، التوقيعات ، مشاهد الأسرار القدسية ، الدعاء  
المختوم ، مراتب العلم الموهوب ، مرآة المعانى ، مقام القربى شرح أسماء الله  
الحسنى ، حيلة الأبدال ، اللعة النورانية ، تحرير البيان فى تقرير شعب الايمان  
وغير ذلك من الكتب المطبوعة والمخطوطة التى يطول ذكرها .

ونتم ترجمته ببعض كلماته رضى الله عنه قال :

الجاهل لا يرى جهله لأنه في ظلمته ، والعالم لا يرى علمه لأنه في ضياء نوره ، ولا يجرى شيء إلا بغيره ، فالمرآة تخبرك بعيوب صورتك وتصدقها مع جهلك بما أخبرت به ، والعالم يخبرك بعيوب نفسك مع علمك بما أخبرك به وتكذبه ، فإذا بعد الحق إلا الضلال .

وقال : شرط الكامل الإحسان إلى أعدائه ، وهم لا يشعرون تخلفاً بأخلاق الله ، فإنه دائم الإحسان إلا من سماهم أعداءه مع جهل الأعداء به .  
وقال : شرط الشيخ أن يكون عنده جميع ما يحتاجه المرید في التربية لا ظهور كرامة ، ولا كشف باطن المرید .

وقال : لا يصح لعبد مقام المعرفة بالله ، وهو يجهل حكماً واحداً من شرائع الأنبياء ، فمن ادعى المعرفة ، واستشكل حكماً واحداً في الشريعة المحمدية أو غيرها فهو كاذب .

وقال : الصوفي من أسقط الياءات الثلاث ، فلا يقول : لى ، ولا عندى ولا متاعى ، أى لا يضيف لنفسه شيئاً .

وقال : إذا أتيت عبداً يعرف أولادك وقد يوضع الحمد موضع الفكر ولا

ما نال من جعل الشريعة جانباً شيئاً ولو بلغ السماء مناره  
هذه لمحات سريعة عن حياة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ،  
نرجو أن نكون قد وضعنا فيها لمحاته التي تكشف لنا جوانبه (١) .

(١) راجع ترجمته شذرات الذهب ج٥ نفع الطيب ج٧ فوات الوفيات ج٢ وغيرها .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد<sup>(١)</sup> لله الحسن الفعال ، الذي يحب الجمال<sup>(٢)</sup> ، خلق العالم في أكمل صورة وزينة ، وأدرج فيه حكمته الغيبية عندما كوّنّه ، وأشار إلى موضع السر منه وعيّنّه ، وفصّل للعارفين جملة منه وبينّه ، جعل ما على أرض الأجسام زينة لها ، وأفنى العارفين في مشاهدة تلك الزينة وجداً وولهاً ، وصلى الله على المتجلى إليه في أحسن صورة ، والمبعوث في أكمل شريعة وأحسن سيرة ، محمد بن عبد الله المكّم بالمقام العلى ، والمختص بالكمال الكلى والتنزيل الوفى ، وعلى آله وصحبه وسلم .

( أما بعد ) فإنى لما نزلت مكة سنة خمسائة<sup>(٣)</sup> وثمان وتسعين ألفيت بها جماعة من الفضلاء ، وعصابة من الأكابر الأدباء والصلحاء بين رجال ونساء ، ولم أرَ فيهم مع فضلهم مشغولاً بنفسه ، مشغولاً فيما بين يومه وأمسّه ، مثل الشيخ العالم الإمام ، بمقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ،

(١) حمد الله الثناء عليه بصفاته الحسنى وشكر الله الثناء عليه بنعمته وإحسانه تقول حمدت الرجل إذا أثنت عليه بكرم وحسب وشجاعة وأشباه ذلك وشكرت له إذا أثنت عليه بمعروف أو لأكه وقد يوضع الحمد موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد .

(٢) يشير إلى الحديث الشريف « إن الله جميل يحب الجمال » الذى رواه مسلم فى باب تحريم الكبر وبيانه ج ١ ص ٦٥ ومعناه أنه متصف بصفات الكمال ويجب من عبده أن يكون متصفاً بالكمال .

(٣) أجاز مجمع اللغة العربية هذا وإن كان المشهور تقديم العدد الصغير .



نزيل مكة البلد الأمين مكين الدين<sup>(١)</sup>، أبي شجاع زاهر بن رستم بن  
أبي الرجاء الأصفهاني رحمه الله تعالى، وأخت المسنة العالمة شيخة الحجاز  
نخر النساء بنت رستم. فأما الشيخ فسمعنا عليه كتاب أبي عيسى الترمذي  
في الحديث وكثيراً من الأجزاء، في جماعة من الفضلاء، كان يغلب عليهم  
الأدب فكان جليسه في بستان، وكان رحمه الله تعالى ظريف المحاوره،  
لطيف المؤانسة، ظريف المجالسة، يمتع الجليس، ويؤانس الأنيس،  
وكان له رضي الله عنه من أمره شأن يغنيه، فلا يتكلم إلا فيما يغنيه،  
وأما نخر النساء أخته، بل نخر الرجال والعلماء فبعثت إليها، لأسمع عليها،  
وذلك لعلوا روايتها، فقالت: فني الأمل، واقترب الأجل، وشغلني  
عما تطلبه مني من الرواية الحث على العمل، فكأنني بالموت قد هجم، فأقرع  
سنّ الندم، فعندما بلغني كلامها كتبت إليها أقول شعراً:

حالي وحالك في الرواية واحده ما القصد إلا العلم واستعماله  
فأذمت لأخيها أن يكتب لنا نيابة عنها إجازة عنها في جميع روايتها،  
فكتب رضي الله عنه وعنها ذلك ودفعه لنا وكتب لنا جميع مسموعاته  
إجازة عامة، وكتبت إليه من قصيدة عملتها فيه قولي:

سمعت الترمذي على المكين إمام الناس في البلد الأمين

(١) أبو شجاع زاهر بن رستم الأصفهاني الأصل ثم البغدادي الفقيه الشافعي  
الزاهد قرأ القراءات على سبط الحياط وأبي الكرم وسمع منهما ومن الكروخي  
وجماعة وجاور وأم بمقام إبراهيم إلى أن عجز وانقطع وتوفي في ذي القعدة  
سنة تسع وستمائة وكان ثقة بصيراً بالقراءات (شذور الذهب ج ٥ ص ٣٧).





وكان لهذا الشيخ رضى الله عنه بنت عذراء ، طَفِيلَةٌ<sup>(١)</sup> هيفاء ، تقيد النظر ، وتزين المحاضرَ والمُحاضرِ ، وتخيّر المناظر ، تسمى بالنظام ، وتلقب بعين الشمس وإليها من العابدات العالمات السابحات الزاهدات شيخة الحرمين ، وتربية البلد الأمين الأعظم بلامين<sup>(٢)</sup> ، ساحرة الطرف ، عراقية الظرف ، إن أسهبت أثعبت<sup>(٣)</sup> ، وإن أوجزت أعجزت ، وإن أفصحت أوضحت إن نطقت خرس قسّ بن ساعدة ، وإن كرمت خنس معن بن زائدة ، وإن وفّت قصر السموأل خطاه ، وأغرى ورأى بظهر الغرر وامتطاه ، ولولا النفوس الضعيفة السريعة الأمراض ، السيئة الأغراض ، لأخذت في شرح ما أودع الله تعالى في خلقها من الحسن ، وفي خلقتها الذى هو روضة المزن ، شمس بين العلماء ، بستان بين الأدباء ، حقة مختومة ، واسطة عقد منظومة ، يتيمة دهرها ، كريمة عصرها ، سابغة الكرم ، عالية الهمم ، سيدة والديها ، شريفة ناديها ، مسكها جياذ وبيتها من العين السواد ومن الصدر الفؤاد أشرقت بها<sup>(٤)</sup> تهمامه ، وفتح الروض لجاورتها أكامه ، فنمت أعراف المعارف ، بما تحمله من الرقائق واللطائف ، علمها عملها ، عليها مسحة ملك وهمة ملك ، فراعينا في صحبتها كريم ذاتها مع ما انضاف إلى ذلك من صحبة العمّة والوالد ، فقلدناها من نظمنا في هذا الكتاب أحسن القلائد بلسان النسيب الرائق ، وعبارات الغزل اللائق ، ولم أبلغ في ذلك

(١) امرأة طفلة الأنامل بفتح الطاء وسكون الفاء ناعمة. (٢) المين الكذب.  
(٣) ثعب الماء بفتح المثناة والمهملة فجروه والثعب سيل الوادى وهى هنا مجاز.  
(٤) تهمامة مكة .

بعض ما تجده النفس ، ويشيره الأنس ، من كريم ودّها ، وقديم عهدها ،  
ولطافة معناها ، وطهارة معناها<sup>(١)</sup> ، إذ هي السؤال والمأمول ، والعدراء  
البتول ، ولكن نظامنا فيها بعض خاطر الاشتياق ، من تلك الذخائر  
والأعلاق ، فأعربت عن نفس توّاقة ، ونهبت على ما عندنا من العلاقة ،  
اهتماماً بالأمر القديم ، وإيثاراً لمجاسها الكريم ، فكل اسم أذكره في هذا  
الجزء فعنها أكتفى ، وكل دارٍ أُنديها فدارها أعنى ، ولم أزل فيما نظمتُه  
في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية ، والتنزلات الروحانية ،  
والمناسبات العلوية ، جرياً على طريقتنا المثلى ، فإن الآخرة خير لنا من  
الأولى ، ولعلمها رضى الله تعالى عنها بما إليه أشير ، ولا ينبئك مثل خبير ،  
والله يعصم<sup>(٢)</sup> قارئ هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس  
الأبية ، والهمم العلية ، المتعلقة بالأمر السماوية ، آمين بعزة من لارب  
غيره ، والله يقول الحق وهو يهتدي السبيل .

وكان سبب شرحي لهذه الأبيات أن الولد بدرًا الحبشى والولد إسماعيل  
ابن سود كير سألاني في ذلك ، وهو أنهما سمعا بعض الفقهاء بمدينة حلب  
ينكران هذا من الأسرار الإلهية ، وأن الشيخ يتستر لكونه منسوباً إلى  
الصلاح والدين ، فشرعت في شرح ذلك ، وقرأ على بعضه القاضى

(١) المعنى المنزل الذى غنى به أهله .

(٢) من غلبة الرحمة على الشيخ حرص على حسنات القارئ حتى لا يقع في  
الغيبة لأنه يتحدث عن واردات إلهية وفيوضات رحمانية تفاض على مثل هذه  
القلوب الزكية .

ابن العديم<sup>(١)</sup> بحضرة جماعة من الفقهاء ، فلما سمعه ذلك المنكر الذي أنكره  
ثاب إلى الله سبحانه وتعالى ، ورجع عن الإنكار على الفقراء وما يأتون به  
في أقاويلهم من الغزل والتشبيب ، ويقصدون في ذلك الأسرار الإلهية ،  
فاستخرت الله تعالى تقييد هذه الأوراق ، وشرحت ما نظمتُه بمكة المشرفة  
من الأبيات الغزلية في حال اعتمازي في رجب وشعبان ورمضان أشير بها  
إلى معارف ربانية ، وأنوار إلهية ، وأسرار روحانية ، وعلوم عقلية ،  
وتنبيهات شرعية ، وجعلت العبارة عن ذلك بلسان الغزل والتشبيب  
لتعشق النفوس بهذه العبارات ، فتتوفر الدواعي على الإصغاء إليها ،  
وهو لسان كل أديب ظريف ، روحاني لطيف ، وقد نبهت على المقصد  
في ذلك بأبيات ، وهي :

كلما أذكر من ظل أو ربوع أو مغان كلما<sup>(٢)</sup>  
وكذا إن قلتُ هي أو قلتُ يا والآ إن جاء فيه أو أما  
وكذا إن قلتُ هي أو قلتُ هو أو هو أو هنّ جمعاً أو هما

(١) العلامة كمال الدين أبو الفاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة  
العقبلي الحلبي من بيت القضاء والحشمة ولد سنة بضع وثمانية وخمسمائة وأخذ  
عن علماء العراق والشام وأجاز له المؤيد وخلق فدرس وأفتى وصنف وجمع  
تاريخاً للحلب في نحو ثلاثين مجلداً وكانت له معرفة تامة بالحديث والتاريخ وأيام  
الناس مع رأى حازم وذكاء وبهاء وكان حسن الظن بالفقراء والصالحين توفي  
رحمه الله تعالى بمصر في العشرين من جمادى الأولى سنة ٥٦٠ هـ ودفن بسفح المقطم .

(٢) الظلال محرّكة الشاخص من آثار الدار المغاني المنازل التي غنى بها  
أهلها ثم ظعنوا والربع الدار بعينها .

وكذا إن قلتُ قد أنجد لي قدرٌ في شعرنا أو أتبهما<sup>(١)</sup>  
وكذا السحبُ إذا قلتُ بكت وكذا الزهر إذا ما ابتسما  
أو أنادي بحـداقٍ يموا بانه الحاجر أو ورق الحما  
أو بدورٌ في خدور أفلت أو شمس أو نبات أنجما<sup>(٢)</sup>  
أو بروق أو رعود أو صبا أو رياح أو جنوبٌ أو سما  
أو طريق أو عقيق أو نقا أو جبال أو تلال أو رما<sup>(٣)</sup>  
أو خليل أو رحيل أو ربي أو رياض أو غياض أو حما<sup>(٤)</sup>  
أو نساء كاعبات نهْد طالعات كشموس أو دُما  
كلما أذكره مما جرى ذكره أو مثله أن تفهما  
منه أسرار وأنوار جات أو علت جاء بها رب السما  
لقوادى أو فؤادٍ من له مثل مالى من شروط العلاما  
صفة قدسية علوية أعلمت أن لصدقى قدما  
فاصرف الخاطر عن ظاهرها واطلب الباطن حتى تعلما

- (١) النجد ما ارتفع من الأرض ونجد من بلاد العرب وهو خلاف الغور فالغور تهامة وكل ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق فهو نجد وتهامة مكة .  
(٢) النجم من النبات مالا ساق له .  
(٣) العقيق ضرب من الفصوص وهو أيضاواد بظاهر المدينة، النقابالكسر كثيب الرمل. رقى بفتححتين ضرب من السحاب أو السحاب المنضم بعضه إلى بعض .  
(٤) الربوة المكان المرتفع بضم الراء وهو الأكثر والفتح لغة بنى تميم والكسر لغة سميت ربوة لأنها ربت فعلت والجمع ربي . الفيضة بالفتح الأجمة وهى مفيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر والجمع غياض .

قال الشيخ رحمه الله : فمن ذلك حكاية جرت في الطواف كنت  
أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي وهزني حال كنت أعرفه ، فخرجت  
من البلاط من أجل الناس وطفت على الرمل ، فحضرتني أبيات فأنشدتها  
أسمع بها نفسي ومن يليني - لو كان هناك أحد - وهي قوله :

ليت شعري هل دروا أىّ قلب ملكوا  
وفؤادى لو درى أىّ شعب سلكوا  
أتراهم ساهوا أم تراهم هلكوا  
حار أرباب الهوى فى الهوى وارتبكوا  
فلم أشعر إلا بضربة بين كتفي بكف ألين من الخبز ، فالتفت فإذا  
بجارية من بنات الروم لم أر أحسن وجهاً ، ولا أعذب منطقاً ، ولا أرقّ  
حاشية ، ولا ألطف معنى ، ولا أدقّ إشارة ، ولا أظرف محاورة منها ،  
قد فاقت أهل زمانها ظرفاً وأدباً وجمالاً ومعرفة ، فقالت : يا سيدي كيف  
قلت ؟ فقلت :

ليت شعري هل دروا أىّ قلب ملكوا  
فقالت : عجياً منك وأنت عارف زمانك تقول مثل هذا ! ؟ أليس كل  
مملوك معروف ؟ وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة وتمنى الشعور يؤذن بعمدها  
والطريق لسان صدق فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا ؟ قل يا سيدي :  
فإذا قلت بعده ؟ فقلت :

وفؤادى لو درى أىّ شعب سلكوا  
فقالت : يا سيدي الشعب الذى بين الشغاف والفؤاد هو المانع له من

المعرفة ، فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المعرفة ،  
والطريق لسان صدق فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا يا سيدي ! ؟  
فماذا قلت بعده ؟ فقلت :

أترآهم سألوا أم ترآهم هلكوا  
فقلت : أما هم فسألوا ، ولكن اسأل عنك فينبغي أن تسأل نفسك :  
هل سلمت أم هلكت يا سيدي ؟ فما قلت بعده ؟ فقلت :

حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا  
فصاحت وقالت : يا عجبا كيف يبقى للمشغوف فضلا يحار بها ، والهوى  
شأنه التعميم . يخدر الحواس ويذهب العقول ويدهش الخواطر ويذهب  
بصاحبه في الذاهبين فأين الحيرة وما هنا باق فيحار والطريق لسان صدق  
والتجوز من مثلك غير لائق . فقلت : يا بنت الخالة ما اسمك ؟ قالت : قره  
العين . فقلت : لى . ثم سلمت وانصرفت . ثم إنى عرفتها بعد ذلك وعاشرتها  
فأريت عندها من لطائف المعارف الأربع ما لا يصفه واصف .

شرح الأبيات الأربع :

ليت شعري هل دروا أى قلب ملكوا  
يقول : ليتنى شعرت هل دروا الضمير يعود على المناظر العلى عند المقام  
الأعلى حيث المورد الأحدى التي تتعشق بها القلوب وتهيم فيها الأرواح ويعمل  
لها العمال الإلهيون .  
( أى قلب ملكوا ) يشير إلى القلب الكامل المحمدي لنزاهته عن

التقييد بالمقامات ، ومع هذا فقد ملكته<sup>(١)</sup> هذه المناظر العلى وكيف لا تملكه  
وهي مطلوبة ويستحيل عليها العلم بذلك لأنها راجعة إلى ذاته إذ لا يشهد  
منها إلا ما هو عليه ففيه يتنزه وإياه يحب ويعشق .

وفؤادى نو درى أى شعب سلکوا  
أراد بالشعب الطريق إلى القلب . لأن الشعب الطرق في الجبال فكأنه  
لما غابت عنى هذه المناظر العلى ترى أى طريق لبعض قلوب العارفين الذين  
سلکوا هذه الطرق . واختص ذكر الشعب لاختصاصه<sup>(٢)</sup> بالجبل وهو الوتد  
الثابت يريد المقام فإنه الثابت إذ الأحوال لا تثبات لها وإذا نسب إليها الثبات  
والدوام فلتوالها لا غير على القلوب .

أترام ســـــلموا أم تراهم هلکوا  
المناظر العلى من حيث هي مناظر لا وجود لها إلا بوجود الناظر كالمقامات  
لا وجود لها إلا بوجود المقيم فإذا لم يكن ثم مقام لم يكن ثم مقيم وإذا لم  
يكن ناظر فما ثم منظور إليه من حيث ما هو منظور إليه فهلا بهم إنما هو  
من حيث عدم الناظر ؛ فهذا المراد بقوله سلموا أم هلکوا .  
حار أرباب الهوى فى الهوى وارتبکوا

لما كان الهوى يطالب بالشىء ونقيضه حار صاحبه وارتبك فإنه من بعض

(١) يقصد أن الصفات الإلهية قد ملكته أما مناظر الأشياء فلا تملكه لأن  
الله يقول « مازاغ البصر وماطغى » .

(٢) لا تثبات للأحوال لأنها لا تتجدد من نوع واحد فالفيوضات الإلهية كثيرة  
لا حصر لها والمراد بالمقامات الأحوال .

مطالبه موافقة المحبوب فيما يريده المحبوب وطلبه الاتصال بالمحبوب فإن أراد الهجر فقد ابتلى المحب صاحب الهوى بالنقيضين أن يكونا محبوبين له فهذه هي الخيرة التي لزمت الهوى واتصف بها كل من اتصف بالهوى؛ والهوى عندنا عبارة عن سقوط الحب في القلب في أول نشأة في قلب المحب لا غير فإذا لم يشاركه أمر آخر وخلص له وصفاً سمي حباً فإذا ثبت سمي وداً فإذا عانق القلب والأحشاء والخواطر لم يبق فيه شيء إلا تعلق القلب به سمي عشقا من العشق وهي اللبابة المشوكة .

وقال رضى الله عنه

ما رحلوا يوم بانوا البزل العيسا

ألا وقد رحلوا فيها الطواويسا

فيها بمعنى عليها ، والبزل الإبل المسمنة ، ورحطوها جعلوا رحالها عليها ، والطواويس كناية عن أحبته شبيههم بهن الحسنين .

المقصد : البزل يريد الأعمال الباطنة والظاهرة ، فإنها التي ترفع الكلم الطيب إلى المستوى الأعلى ، كما قال تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »<sup>(١)</sup> والطواويس المحمولة فيها أرواحها ، فإنه لا يكون العمل مقبولاً ولا صالحاً ولا حسناً إلا حتى يكون له روح<sup>(٢)</sup> مزيضة عاملة أو همة وشبهها بالطيور لأنها روحانية وكنى عنها أيضاً بالطواويس لتنوع اختلافها في الحسن والجمال .

(١) من الآية ١٠ من سورة فاطر .

(٢) دوم العمل التصديق والاحتساب .



من كل فاتكة الأحاظ مالكة

تخـها فوق عرش الدر بليسا

الفتك القتل ، في صورة مالكة حاكمة ، تخالها تحسبها ، العرش  
السري ، بليسا المذكورة في القرآن في قصة سليمان عليه السلام .

المقصد : يقول من كل حكمة إلهية حصلت للعبد في خلوته فقتلته عن  
مشاهدة ذاته وحكمت عليه ، فإذا رأيتها حسبتها فوق سرير الدر يشير إلى  
ما تجلى لجبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام في بعض أسرائه في رفر  
الدر والياقوت عند سماء الدنيا ، فغشى على جبريل وحده<sup>(١)</sup> لعلمه بمن  
تجلى له في ذلك الرفرف الدر ، وسمّاها بليسا لتولدها بين العلم والعمل ،  
فالعلم كثيف والعلم لطيف ، كما كانت بليسا متولدة بين الجن والإنس ،  
فإن أمّها من الإنس وأبها من الجن ، ولو كان أبوها من الإنس وأمّها  
من الجن لكانت ولادتها عندهم ، وكانت تغلب عليها الروحانية ، ولهذا  
ظهرت بليسا عندنا .

إذا تمشت على صرح الزجاج ترى

شمساً على فلك في حجر إدريسا

إذا تمشت أي إذا سرت وسارت .

(١) ولم يغش على رسول الله صلى الله عليه وسلم لعظم روحه ففي ليلة الإسراء  
عندما جاءت السحابة البيضاء وقف جبريل وقال هذا مقامي لو تجاوزت شبرا  
أو فترا لاحتقرت وطارت برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاء الله حيث  
وقع التجلي وفرضت الصلوات الخمس .

من كل فاتكة الأخطا مالكة

تخـ لها فوق عرش الدر بلقيسا

الفتك القتل ، في صورة مالكة حاكمة ، تخالها تحسبها ، العرش  
السري ، بلقيس المذكورة في القرآن في قصة سليمان عليه السلام .

المقصد : يقول من كل حكمة إلهية حصلت للعبد في خلوته فقتلته عن  
مشاهدة ذاته وحكمت عليه ، فإذا رأيتها حسبتها فوق سرير الدر يشير إلى  
ما تجلى لجبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام في بعض أسرائه في رفر  
الدر والياقوت عند سماء الدنيا ، فغشى على جبريل وحده<sup>(١)</sup> لعلمه بمن  
تجلى له في ذلك الرفرف الدر ، وسمّاها بلقيسا لتولدها بين العلم والعمل ،  
فالعلم كثيف والعلم لطيف ، كما كانت بلقيس متولدة بين الجن والإنس ،  
فإن أمها من الإنس وأباها من الجن ، ولو كان أبوها من الإنس وأمها  
من الجن لكانت ولادتها عندهم ، وكانت تغلب عليها الروحانية ، ولهذا  
ظهرت بلقيس عندنا .

إذا تمشت على صرح الزجاج ترى

شمساً على فلك في حجر إدريسا

إذا تمشت أي إذا سرت وسارت .

(١) ولم يغش على رسول الله صلى الله عليه وسلم لعظم روحه ففي ليلة الإسراء  
عندما جاءت السحابة البيضاء وقف جبريل وقال هذا مقامي لو تجاوزت شبرا  
أو فترا لاحتقت وطار برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاء الله حيث  
وقع التجلي وفرضت الصلوات الخمس .



السلام دون التشبيه بقوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » ، أو بقوله تعالى : « أن يقول له كُنْ » من وجهين :  
الوجه الواحد : الأدب فإننا لا نرتفع إلى التشبيه بالحضرة الإلهية إلا بعد أن لا نجد في الكون من يقع التشبيه به فيما قصدوا .  
الوجه الآخر : أن عيسى عليه السلام لما وجد من غير شهوة طبيعية فإنه كان من باب التمثيل في صورة البشر ، فكان غالباً على الطبيعة بخلاف من نزل عن هذه المرتبة ، ولما كان الممثل به روحاً في الأصل كانت في قوة عيسى إحياء الموتى ، ألا ترى السامري لمعرفته بأن جبريل عليه السلام مَعْدِن الحياة حيث سلك أخذ من أثره قبضة فرماها في العجل فخار وقام حياً .

توراتها لوحُ ساقِها سنا وأنا أتلو وأدرسها كأنني موسى  
الساق هنا جيء به لما كنى عنه بيلقيس والصرح وكانت قد كشفت  
عن ساقها أي بينت أمرها ، ومنه قوله يوم يكشف عن ساق الأمر الذي  
يقوم عليه بيان الآخرة ، ومنه : ( والتفت الساق بالساق ) أي التفت أمر  
الدنيا بأمر الآخرة ، والتوراة من ورى الزند فهو راجع إلى النور ويُنسب  
إلى التوراة أن لها أربعة أوجه فشبه ساقها بالتوراة في الأربعة أوجه والنور  
والأربعة الذين يحملون العرش الآن وهي الكتب الأربعة وستأتي الإشارة  
إليها مع مناظرتها مع أصحاب الكتب الأربعة في هذه القصيدة ، فكأنه  
يقول إن أمر هذه الحكمة قام على النور ، ولذا قال سنا فإن النور الذي وقع  
به التشبيه إنما وقع بأربعة : المشكاة والمصباح والزجاج والزيت المضاف إلى

الزيتونة المنزهة عن الجهات الثابتة في خط الاعتدال ولما كنى عن ساقها بالتوراة احتاج إلى ما يناسب ما وقع به التشبيه من التلاوة والدرس ، وذكر من أنزلت عليه ، وأتلوهنا أتبع وادرسها ، أى أطأ أثرها فيتغير بصفتي كما يطأ أحدكم أثر غيره فيغيره بوطنه إلى شكل ما وطئه به ، فإن الدرس التغيير :

أُسْقِفَةٌ مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ عَاطِلَةٌ تَرَىٰ عَلَيْهَا مِنَ الْأَنْوَارِ نَامُوسًا  
الأسقف عظيم الروم ، والعاطلة الخالية من الخلي والناموس الخير .  
والمقصد يقول إن هذه الحكمة عبسوية المحتد ولهذا نسبها إلى الروم ، وقوله عاطلة أى هى من عين التوحيد ليس عليها من زينة الأسماء الإلهية أثر كأنه جعلها ذاتية لا أسمائية ولا صفاتية ، لكن يظهر عليها من الخير المحض ما يكتفى عنه بالأنوار وهى السُّبُحات المحرقة التى لورفع سبحانه الحجب النورانية والظلمانية لأحرقت سبحات وجهه<sup>(١)</sup> ، فهذه السبحات هى التى كنى عنها بالأنوار التى فى قوة هذه الحكمة العيسوية فهى الخير المحض إذ هى الذات المطلقة .

(١) يشير رضى الله عنه إلى الحديث الذى رواه مسلم من كتاب الإيمان عن أبى موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ( البخارى بيده الميزان ) يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفى رواية النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ج ١ ص ١١١ .

وحشية ما بها أنس قد اتخذت في بيت خلوتها للذكر ناووسا  
الناووس قبر من رخام كانت ملوك الروم تدفن فيها .  
المقصد يقول إن هذه الحكمة العيسوية لا يقع بها أنس فإن مشاهدته  
فناء ليس فيها لذة كما قال السيادي ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة<sup>(١)</sup>  
الحق فناء ليس فيها لذة وجعلها وحشية أي أنها تشره إلى مثلها النفوس  
الشريفة وهي لا تألف إليها لعدم المناسبة ، فهذا جعلها وحشية ، وقوله  
بيت خلوتها فكنى بالبيت عن قلبه وخلوتها فيه نظرها إلى نفسها فإن الحق  
يقول ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قاب عبدي المؤمن<sup>(٢)</sup> ، ولما كان  
هذا القلب الذي وسع هذه الحكمة الذاتية العيسوية في مقام التجريد والتنزيه  
كان كالفلاة وكانت فيه كالوحش ، فهذا قال أيضاً وحشية ، ثم ذكر مدفن  
ملوك الروم تذكرة لها أي يتذكر الموت الذي هو فراق الشمل فألفت من  
التألف بعالم الأمر والخلق من أجل الفراق فيذكرها ذلك القبر حالة الفراق  
فيزهدها في اتخاذ الألفة .

قد أعجزت كلّ علام بمثلنا وداودياً وجبراً ثم قسيسا  
لما كانت هذه المسألة ذاتية وكانت الكتب الأربعة لا تدل إلا على

- 
- (١) المشاهدة لم تقع لأحد في الدنيا إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما  
يقع لهؤلاء الأكابر هو زيادة يقين كأنه مشاهدة ويدلك على هذا طلب الكليم  
لها لعلمه بجوازها ولما وقع له من اللذة حين الكلام فمنعها وهو الكليم .  
(٢) هو أثر ولم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولعله من بعض  
الكتب السابقة .

الاسماء الإلهية خاصة لما لم يقاومها ما تحمله هذه الكتب من العلوم وكنى عنها بحاملها فكفى عن القرآن بالعلام وعن الزبور بالمنسوب إلى داود وعن العوراة بالحبر وعن الإنجيل بالتسييس .  
إن أومات تطلب الإنجيل تحسبها أقسةً أو بطاريقا شماميسيا

يقول إن كان من هذه الروحانية إشارة من كونها عيسوية إلى الإنجيل بطريق التأييد له فيما وضع له بحسب الخواطر هنا كنا لديها بمنزلة هؤلاء المذكورين الذين هم جمال هذا العلم وساداته والقائمون به خادمون بين يديها لما بقي عليه من العزة والسلطان .

ناديتُ إذ رحلتُ للبين ناقتها يا حادي العيس لا تحذبها العيسا  
يقول هذه الروحانية الذاتية لما أرادت الرحيل عن هذا القلب الشريف لرجوعه من مقام لى وقت لا يسعني فيه غير ربي إلى النظر في مصالح ما كلف به من القيام بالعوالم بالنظر إلى الأسماء رحلت الهمة التي جاءت عليها لهذا القلب وكنى عنها بالناقاة والملائكة المقربون الميمنون هم حداة هذه الهمم ، فأخذ يخاطب روحانياً بكتابة الحادي أن لا يسيروا بها لما لها من التعشق والتعلق والإنسانية تمنى استدامة هذه الحالة .

عبيت أجياد صبرى يوم بينهم على الطريق كراديسا كراديسا  
سألت إذ بلغت نفسى تراقيا ذاك الجمال وذاك اللطف تنفيسا  
أراد بالطريق المعراج الروحاني والكراديس الجماعات واحدا  
كردوس وقوله تنفيساً يريد ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إن نفس

الرحمن يأتيني من قبل اليمين . يقول: أريد إذ ولا بد من رحولها فلا يزال عالم  
الأنفاس من جهتها يأتيني مع الأحوال ، وهو الذي أيضاً تشير به العرب في  
أشعارها بإهداء التحية والأخبار مع الرياح إذا هبت، فكفى عن هذا المقام  
هنا بالأنفاس .

فأسلمت ووقانا الله شيرتها وزحزح الملك المنصور إبليسا  
يقول: فأجابت وانقادت إلى سؤالي ووقانا الله سطوتها ، كما قال: وأعوذ  
بك منك هذا مقامه ، وزحزح الملك يريد خاطر العلم والهداية إبليسا خاطر  
الاتحاد فإن هذا مقام صعب قل من حصل فيه فسلم من القول بالاتحاد  
والحلول<sup>(١)</sup> فإنه المشار إليه بقول الله : « كنت سمعه وبصره » الحديث ..

\* \* \* X

خليلي عوجا بالكثيب وعرجا على لعلع واطلب مياه يلملم  
يخاطب عقله وإيمانه أن يعرجا بالكثيب الذي هو محل المشاهدة التي  
نص عليها الشرع، وعرجا قبل الوصول على لعلع موضع حال دهش وحيرة  
وتولع لتقع الرؤية عن محبة وشوق، واطلب مياه يلملم جهة كائنة أي رُدَّ عَلَى  
موطن الحياة إذا كان من الماء كل شيء حي ، ولما كانت الأنفاس يمنية  
فلتكن الحياة أيضاً من مناسبة هذه الجهة للمساكلة ثم قال :

فإن بها من قد علمتُ ومن لهم صيامي وحجبي واعتمازي وموسمي

(١) ينفي الشيخ صراحة ما نسبته إليه بعض الزنادقة من الاتحاد والحلول.

( ٢ — زخائر )



فلا أنس يوماً بالمحصب من منى وبالمنحصر الأعلى أموراً وزمزم

أفرد الخطاب يريد الإيمان دون العقل فإن العلم بالذات وما تستحقه من  
النعوت إنما هو من طريق الإيمان لا من طريق العقل ، فلماذا قال من قد  
علمت ولم يقل علمتها ، والضمير في بها يعود على المياه فإنها التي تعلم ، لا على  
الذات إذ الذات ترى ولا تعلم ، لأنها لو علمت أحيط بها وهو سبحانه  
لا يحيط به علم تقديس وتعالى عن أن يحيط به علم الممكن أو تكون ذاته  
تعطى الإحاطة فهو المحيط ولا يحيط به شيء ، إذ لو أحاط به شيء لحصره  
ذلك الشيء ، ثم قال : « ومن لهم » خطاباً لنعوت الإلهية وقوله صيامي يريد صفة  
الصمدانية ، كما قال تعالى الصوم لى أى الصمدانية للعبد لا تصح ولا يستحقها  
والصوم له مدخل فيها لأنه إمساك عن الطعام والغذاء وقوله وحجى يريد  
تكرار المقصد بالتوجه إلى هذه الذات المنزهة من أجل دعاء الأسماء الإلهية  
فى كل نفس وحين ، وقوله واعتمارى يريد فزياراتى إليها فى وقت شوقى  
وطلبى والعلقة دائمة والزيارة دائمة لا يزال العبد مع الأنفاس حاجاً ومعتماً  
لأنه فى كل نفس فى انتقال من اسم إلهى إلى اسم إلهى ، وقوله وموسمى كما  
قال الآخر حين جعله عيده ، ولما كان الموسم عبارة عن محل مكاني وزماني  
تجتمع فيه قبائل مختلفة لمقصد واحد بلغات مختلفة تدل على معنى واحد جعله  
عيده كذلك مقامات هذا العبد وأحواله والحقائق الإلهية إذا حصل القلب  
فى محل الجمع لما ذكرناه كان ذلك موسم وعيده وإنما سمي موسماً من  
حيث السمة أى أنه علامة على تحصيل هذا المقام الجمعى وسمى عيد العودة

على بدئه لأن الأمر فيه دورى وإن كانت الواردات الإلهية لا تتناهى  
 ظالمات بلا شك تتناهى ، وقوله فلا أنسى يوماً يقول تخلتاً إلهياً من  
 مقام كنت سمعه وبصره ، فنبه على أنه أيضاً قد حصل فى مقام وما كان  
 ربك نَسِيًّا تخلتاً إلهياً واعتناء ، وقوله بالمحصب من منى الذى هو موضع  
 رمى الجمار يقول فلا أنسى يوماً بمقام قوله: «فاذكروا الله كذا كرم آباءكم أو  
 أشد ذكراً» أى أديموا ذكر آبائكم فى هذا الوطن من قلوبكم وألسنتكم ،  
 فإن قوله تعالى : «أن اشكر لى ولوالديك» إنما ذلك فى مقام إيجاد عين العبد  
 حيث كان إيجاداً عند سبب اجتماع والديه بالنكاح وتعبهما فى إيجاداً وهذا  
 ما هو ذلك المقام فلا يلزم هنا هذا الدخلى على من قيل له اطرح ذكر آباءك  
 هنا فإن كل مقام يعطى حقيقته وذكر منى لأنه من باب الأمانى ، وقد قيل  
 ولا تغرنكم الأمانى ، وقوله وبالمنحر الأعلى يشير إلى القربان كما قال: تهدى  
 الأضاحى وأهدى مهجتي ودمى ، يعنى نفسه ، وقوله أموراً يريد  
 الحياة الأبدية .

مُحَصِّبُهُمْ قَلْبِي لَرْمَى جَمَاهُمْ وَمَنْحَرُهُمْ نَفْسِي وَمَشْرِبُهُمْ دَمِي  
 الضمير فى هذا البيت بمحصبهم وغيره يعود على الحقائق الإلهية فإنها  
 الواردة على القلب بهذه الصفات كلها فرمى جمارهم هو ما يحصون به الخواطر  
 النفسانية والشيطانية ، وإن كانت إلهية ، ولكن من حيث المحل الذى  
 وردت على هذا القلب منه ، لذلك كان المحصب ولذلك توجه الذم كما قال:  
 «وما أصابك من سيئة فمن نفسك» ، وقال: «كل من عند الله» ، ثم قال :

« فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » إشارة لما جرى قديماً بقول فما لهؤلاء المعترضين لا يفقهون ما حدثناهم به من أن الكل من عندنا ذمماً وحمداً فلا يذمون ما سميناه مذموماً ويحمدون ما سميناه محموداً وينظرون الأشياء من حيث ما علمناهم ووضعناها لا من حيث إسنادها إلينا بحكم الإيجاد وقوله ومنحرمهم نفسى يريد قربانها كما قلنا .

وأهدى عن القربان نفساً معيبة

وهل رىء خلق بالعيوب تقربا

والحكاية مشهورة فى الفتى الذى قرب نفسه بمنى بهمته حين رأى الناس قربوا قراينهم فجعل نفسه قربانه فمات من حينه وقوله ومشربهم دمي وأن الدم لما كان سريانه فى العروق سبب الحياة الحيوانية كنى عنه بالشرب فإن الماء جعله الله سبباً لكل شىء حتى فقال : « وجعلنا من الماء كل شىء حتى » ، ثم قال :

فياحادى الأجمال إن جئت حاجرأ

فقف بالمطايا ساعة ثم سلم

الحادى هو الذى يسوق الإبل من خلفها والهادى هو الذى بيده زمامها فهو يخاطب الشوق الذى يحدو بالهم إلى منازل الأحبة ، وقوله إن جئت حاجرأ الحاجر العقل ، والطريق إنما هو بالإيمان والمشاهدة لا بالعقل من حيث قوة فكره ، بل هو من جهة عرفانه وإيمانه، والحاجر هو الحاجر بين الشينين لتمييزا ، والأحبة قد حجروا على نفوسهم وأعيانهم ليمتازوا عن

سائر المقصودين فإنه قد يصدق الشيء من كونه محبوباً وسبباً لاتصال  
بمحبوب ، ثم أنه أمر لهذا الحادى الذى هو الشوق بالسلام على منازل  
الأحبة ولكن بعد وقوف ساعة ، وذلك أن الحب إذا ورد على منزل  
الأحبة أخذه دهش وحيرة فى أول وروده وربما عُشِيَ عليه فيدركه كذلك  
تبليبل ، فلا يوفى الأدب فى السلام مع هذا الدهش ، فقال له قف ساعة حتى  
يزول عنك الدهش والبهت فتعرف ما تستحقته الأحبة من الأدب فى السلام  
وحينئذ كما قالت العامة لكل داخل دهشة وهذا ذوق محقق :

وناد القباب الحمر من جانب الحمى

تحية مشتاق إليكم متيم

يقول لشوقه إذا سلمت ونظرت إلى اختلاف ألوان القباب فلا تناد  
منها إلا القباب الحمر فإنها محل الجمال والخصوصة بالعرائس المخدرات ولهذا  
يقول حين ذكرت الألوان ، فقالت فى الحضرة إنها أنبل ، وقالت فى السواد  
إنه أهول ، وقالت فى البياض إنه أفضل ، وقالت فى الحمرة إنها أجمل ، ولذا  
قال ترجمان اليمامة حين قصده سجاج بعساكرها فقال انصبوا لها القبة  
الحمرء فإنها إذا رأتها تشهى النكاح وخلا بها فيها ، ولهذا نهى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عن الركوب على الميثر الحمر ، فلما كان فيها هذا  
السؤال الشهوانى لهذا جعلناها قباب الأحبة لأن الحب أعظم شهوة وأكملها  
وقوله: من جانب الحمى يقول إنها عزيزة المنازل لحجاب العزة الأحمى  
الأعز من هو أهل لها وهى أهل له كما قال الآخر :

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها  
ولورامها أحدٌ غيره زلزلات الأرض زلزالها

وجعلها قبة لكون الشكل الكرى أفضل الأشكال وأول الأشكال  
فيقول إن الأحبة في المنازل الأول التي هي عند الحق لا عند شيء فهي من  
عالم الأمر، والشكل الكرى ليس له أول ولا آخر إلا بحكم العرض فيه  
كذلك هؤلاء الأحبة الذين هم الحقائق الإلهية الأمر فيها دورى  
كرسى قال :

فإن سلموا فاهد السلام مع الصبا  
وإن سكتوا فارحل بها وتقدم  
يقول إن ردوا عليك السلام فتعرّف أنك من أهلهم ومن أهل لهم  
فابعث سلامهم مع عالم الأنفاس من مقام الليل فإن الصبا الميل ، فلهذا قصد  
الصبا دون الجنوب والشمال وغيرها أى أهد السلام مع من ترى من  
عالم الأنفاس مائلاً إلى جهتنا وقوله وإن سكتوا يقول إن لم يردوا عليك  
السلام فتعلم أنك لست ممن أهل لأهل تلك المنازل ولا أهلت لك فارحل  
واطلب منازل غيرها ممن أهلت لها وأهلت لك ، ولكن أقدم لا ترجع  
وراءك تحرزاً ممن قيل لهم ارجعوا وراءكم فالتسوا نوراً :

إلى نهر عيسى حيث حلت ركابهم  
وحيث انخيام البيض من جانب الفم

يعنى فم النهر يقول تقدم إلى نهر عيسى أى العلم المتسع العيسوى المشهد  
فافعل معه ما فعلت مع القباب الحمر واجعل خيام هؤلاء الأحبة بيضاً لأنه  
مقام عيسوى نزيه عن الشهوة النكاحية فإنه كان عن غير نكاح بشرى  
فلهذا كان نكاح أبيض ولم يكن أحمر ، يقول : ويكون مجيئك لهذا  
العلم العيسوى من جانب الفم أى من حيث الفهوانية واللسن ، ولذلك  
أعطى كن .

ونادِ بدعد والرباب وزينب وهند وسلمى ثم لبني وزمزم

يقول إذا وصلت المنازل فنادِ بأسماء هذه الحقائق الإلهية على اختلافها  
حتى يجيئك منها ما هو لك فتعرف عند ذلك مقامك منها ما هو ، فكفى  
عنها بهذه الكنايات من أسماء محبوبات الأعراب وقوله وزمزم يريد  
قم في مقام السماع لهم فإن السماع منشأ الوجود فإن كل موجود يهتز كما  
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أذن الله لشيء كإذنه لمن يتغنى  
بالقرآن<sup>(١)</sup> » ، فانظر منظر هذه الحقيقة الإلهية في الإصغاء الإلهي لصاحب  
هذا المقام ، وهذا الحديث بقوى أحد احتمالات قوله عليه الصلاة  
والسلام « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » ، فهو من الغنى لا من الاستغناء ،  
ثم قال :

---

(١) أخرج بمعناه في الصحيحين ولفظه « ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن

الصوت يتغنى بالقرآن ويحمر به » :

وسَمَّهِنَّ هَلْ بِالْحَلْبَةِ الْغَادَةُ الَّتِي تَرِيكَ سَنَا الْبَيْضَاءِ عِنْدَ التَّبَسُّمِ

الحلبة محلة ببغداد والغادة المائلة والبيضاء اسم من أسماء الشمس يقول  
وسل من ناديت من الحقائق الإلهية والنعوت الأزلية هل بالحلبة والحلبة  
مجارى الخليل في السباق فإن الحقائق الإلهية تتسابق إلى الكيان لتظهر  
آثارها فيظهر سلطانها فيهم ولهذا أسماها غادة أى مائلة إلى الكون ثم:  
وصفها بأن لها نور الشمس إذا ابتسمت، قال النبي صلى الله عليه وسلم «تروون  
ربكم في الجنة كما تروون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب»<sup>(١)</sup> فأوقع  
التشبيه في الرؤية لا في الشمس وكنيت في مقام عيسوى، وأنت الآن تسأل  
عن مقام إدريسي علوى قطبي، فإن له السماء الرابعة ثم ذكر التبسم في هذا  
المقام يشير إلى مقام البسط، فإن المقامات العلية لما كانت الهيبة تستصحبها  
لم يتمكن القادم عليها أن ينبسط لسموها وعلوها، فإذا وقع منها حالة التبسم  
بسطت العبد وانشرح القلب وعرف أنها معه في مقام الأُنس والجمال.

\*\*\* x

وقال رحمه الله

سلامٌ على سلمى ومن حل بالحمى  
وحق لمثل رقة أن يسالما

(١) جاء معناه في الصحيحين.

يشير بسامى إلى حالة سليمانى وردت عليه من مقام سليمان عليه السلام  
ميراثاً نبوياً . ومن حل بالحمى يعنى أشباهها وقوله بالحمى أى أنها فى مقام  
لا يناله وهو النبوة فإن بابها مسدود فنعتته بالحمى ، فذوق هذه الحكمة لسليمان  
عليه السلام من كونه نبياً خلاف ذوقه لها من كونه وائياً ، وهو المقام الذى  
شاركناه فيه بذوقنا لها من الولاية التى هى الدائرة العظمى ، وقوله وحق لمنلى  
يعنى أنه فى مقام المحبة والرقه إشارة إلى الانتقال إلى عالم اللطف ، فإن  
الكثيف غليظ الحاشية ، يقول إن يسلم على الوارد عليه فإن السلام فى هذه  
الواردة إنما يتقدم المورد عليه لا الوارد وسببه لأنه الطالب وليس فى قوته  
المعراج فى الحقائق الإلهية ، فلما وردت عليه بدأ هو بالسلام عليها يشير أنه  
الطالب لها وهو أولى بالتقدم لو أعطت الحقائق العروج وسبب عدم العروج  
الجهل الذاتى بالمكانة الإلهية فلا تعرف ولا تقصد بالمعراج لكن بالسؤال

وماذا عليها أن ترد تحية

عليها ولكن لا احتكام على الدمى

يقول إن ردت التحية علينا فمن باب المنة لا من باب أنه يجب عليها  
ذلك فإن الله لا يجب عليه شىء تعالى من ذلك فكل ما يكون لنا منه ابتداء  
أو إعادة إنما ذلك منه منة سبحانه وكفى عن هذه النكته الإلهية السليمانية  
النبوية بالدمى التى هى صورة الرخام صفة جمادية أى لا ترد بلسان نطق لأنه  
لو وردت بلسان نطق لكان نطقها غير ذاتها فتكون مركبة وهى وحدانية  
الذات من جميع الجهات فورودها عين كلامها وعين شهودها وعين سماعها



وهكذا جميع الحقائق الإلهية والنسب الربانية فلو كنى عنها بالصورة  
الحيوانية لم يتبين هذا المقام الذي هو مراد لهذا القائل ، ثم قال :

سروا وظلام الليل أرخى سدوله

فقلت لها صباً غريباً متيماً

قوله سروا الإسراء لا يكون إلا بالليل ، وكذا معارج الأنبياء لم تكن  
قط إلا بالليل لأنه محل الإسرار والكتم وعدم الكشف وقوله وظلام  
الليل أى حجاب الغيب أرخى حجابيه الذى هو وجود الجسم الكثيف فهو  
ليل هذه النشأة الحيوانية لما كان سترأ على ما تحويه من اللطائف  
الروحانية والموم الشريفة فلا يدرك جليسه ما عنده إلا بعد العبارة عن  
ذلك والإشارة إليه ، أى كان سره بالأعمال البدنية والهم النفسية ، وذلك  
لما سرت ورحلت هذه الحكمة عن قلبه وقت شغله بتدبيره بعض عالمه  
الكثيف فلما عاد إلى سره وجدها قد رحلت ، فأسرى خلفها بهممه يطلبها  
وهو يقول لها ارحمى صباً أى مائلاً إليك بالحب والصبابة التى هى رقة  
الشوق غريباً من أرض وجوده متيماً أى قد تيممه الحب يقول تعبه وتذله .

أحاطت به الأشواق صوتاً وأرصدت

له راشقات النبل أيما أيان يماً

يقول إن الأشواق لما أحاطت بهذا الحب ولزمته فى حال بعد وقرب  
وصفها بالشوق إليه ولما كانت التجليات فى أوقات تقع فى الصور الجميلة

الحسنة في عالم التمثيل كما قال تعالى : « فتمثل لها بشراً سوياً » وصف هذه الصور بأنها ترشق قلبه بسهام اللحظ حيث توجه القلب يصف قلبه بعمارات الشهود كما قال تعالى : « فأينما تولوا فثم وجه الله » ثم قال :

فأبدت ثناياها وأومض بارق فلم أدر من شق الحنادس منهما

لما كان التبسم كشفاً يسرع إليه الستر وكان البرق مثل ذلك ، لذلك قرنه به ووجد هذا الحب ذاته كلها نوراً كما يستر الليل عند وميض البرق من قوله تعالى : ( الله نور السموات والأرض مثل نوره ) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه : « اللهم اجعل في سمعي نوراً وفي بصري نوراً » وذكر الشعروالبشر والقلب والعظم وجميع الأعضاء ، إلى أن قال : « واجعلني كلي نوراً » يعني بهذا التجلي<sup>(١)</sup> . والتجلي الذاتي هو البارق لعدم ثبوته ، فكأنه يقول : لما أضاءت زوايا كوني كلها وأضاء هيكل طبيعتي وأنا في مقام حكمة متجلية من حقيقة إلهية في صورة مثالية في مقام بسط ، وتبسمت هذه الصورة فأشرقت أرضي وسمائي بنورها واستنار ليلى واتفق معها تجلي ذاتي مقارن لتبسمها لم أدر ممن أشرق كوني منهما ولا من شق حنادس ذاتي من هذين التجليين بنوره يقول التبس على الأمر في ذلك . ثم قال :

وقالت : أما يكفيه أنى بقلبه يشاهدني في كل وقت ، أما أما

يقول : قالت هذه الحقيقة الإلهية في هذه الصورة المثالية بلسانها لا تطلبني

(١) أنظر الكلام عليه ص ١٥ :

من خارج ويكفيه تنزلي عليه بقلبه كما قال تعالى : ( نزل به الروح الأمين على قلبك ) فهو يشاهدني في ذاته بذاته في كل وقت ، يعني بالأوقات أيام الله الذي يقول تعالى : ( كل يوم هو في شأن ) ، فتلك أيامه سبحانه التي يوقع الشوق فيها .

\*\*\* X

أنجد الشوق وأتهم العزاء فأنا ما بين نجد ورتهم  
يقول : طلب الشوق نجداً لأن تعلقه بالمستوى الأعلى ، وطلب الصبر تهامة يريد أن الصبر والشوق لا يجتمعان كما أن العلو والسفل لا يجتمعان ، وأنا ما بينهما في برزخ الآلام ، فالوطن يطلبني بالصبر لأنه ليس محل اللقا والشوق يطلبني بمفارقة التركيب الذي هو هذا الهيكل الطبيعي المانع اللطيفة الهائلة المتيمة لما ناسبها من العالم العلوي لكونها وجدت مدبرة له إلى أجل مسمى ، فالشوق يجذبني إلى العلو والصبر يجذبني إلى السفل والصبر أغلب من الشوق ، ولإعانة الوطن له الذي هو الحياة الدنيا .

وها ضدان لن يجتمعا فشتاتي ما له الدهر نظام

يقول : لما كانت اللطيفة الإنسانية لا توجد دنيا ولا آخرة إلا مدبرة لمركب لا تترك لحظة لمشاهدة بسيطها عربت عن مركبها من غير علاقة كما يراه بعض الصوفية والفلاسفة مما لا علم له بما هو الأمر ، فلهذا قال :

\* فشتاتي ما له الدهر نظام \*

أى : لا أتصل بالمنزه إلا على البسيط المشا كل الذاتى والحقيقى ، فإن مرتبة التدبير لى وصف لازم لا يصح مفارقة لكونى على الصورة الإلهية والرحمانية مخلوق ، كما أن الألوهية نعت لازم للحق سبحانه ، وإذا كان الأمر هكذا فالشوق جهل لهذا المقام ، فإنه لا يحصل ، لكن الشوق للمحبة وصف لازم تابع لها وهو مؤمن حكما فلماذا لا تنفك عنه مع العلم بأن المشتاق إليه لا يقع به وصلة فهو غير نافع .

ما صنيعى ما احتياالى ذلتى يا عدولى لا ترعنى باللام

أقسم الله بالنفس اللوامة ، غير أن اللوم المقصود فى هذا البيت من هذا اللائم ليس هو حال بعينه ، وأيضا المحب أى اسم تعلق به وحن إليه ، وأى عالم وجد عدولا فى نفسه يعدله عن تعلقه ، ويدعوه إلى جنابه ، وذلك أنه لما كان مجموع العلم والحضرة الإلهية صار كل جزء منه وكل حقيقة تطلب مناسبها أن تتصل به وتعذله أن لا ينظر إلى غيرها بحكم الميل والإشارة والعارف لا يخلو عن ميل فلا يخلو عن عاذل دائما أبدا .

زفرات قد تعالت صعدا ودموع فوق خدَى سيجام

يقول : إن النيران الشوقية تعالت نحو عنصرها الذى هو الشوق الأعظم الموصوف به الجناب العالى كالمحبة منا تطلب المحبة الإلهية من قوله : « يحبهم ويحبونه » ، فحبنا نتيجة عن حبه ، يقول : إن سر الحياة الذى هو الماء تختلف عليه الأسماء والأحكام باختلاف محله ، فيسمى فى العين دمعاً وفى

انتم ريقاً وفي المعى بولا ؛ فقال إن هذا السر ظهر في العين بحكم ما في النفس من ألم البعد ووجود الصد والهجران الذي هو نعت لازم كما ذكرناه ، فكان فيه حرارة لأن زفرات الأشواق التي هي أصوات نيرانها سخنة وظهوره للعين تظهر له لملاحظة الأغيار إذ كان ينبغي له أن لا ينظر إلى غير محبوبه إلى أن يغلب عليه مقام نظره بعين الله أو مقام رؤية الله في كل شيء فحينئذ يرتفع عنه البكاء والزفرات لهذا المشهد الكريم وهو الغاية التي يصل إليها العارف . ومن هذا المقام قال عيسى عليه السلام : ( والسلام على يوم ولدت ) فكان أ كمل في الوصلة ممن قيل عنه : وسلام عليه يوم ولد وهو يحيى ؛ فهذا مقام أول لهذا المقام الثاني العالی فإن يحيى من الحياة وهي المسخرة لعيسى عليه السلام فإنه كان يحيى الموتى ، فأبدا قلنا فيه إنه أعلى في قوله : « والسلام على » ، فافهم .

حنت العيس إلى أوطانها من وجيز السير حنين المستهام  
ما حياتي بعدهم إلا الفنا فعليها وعلى الصبر سلام

يقول : إن الأعمال التي يصعد عليها الكلم الطيب إلى المستوى الأعلى يقول : حنت إلى أوطانها التي هي الأسماء الإلهية التي عنها صدرت وبها تعرفت . وهذا الحنين هو الذي أوجب لها سرعة السير . وقد تكون أيضاً المهم وهي عندنا من الأعمال فأبدا شرحناها بالأعمال لتضمنها المهم وجعله حنين محبة وشوق لا حنين عرض يزول يزوال متعلقه . وقوله :

\* ما حياتي بعدهم إلا الفنا \*

يقول : إذا ارتفعت الهمم نحو مقصودها أقيمت في الفنا عن الفنا فاتصلت بالحياة التي لا تنفد ولا يعقبها صد ثم سلم وأودع الصبر والحياة الطبيعية لفراقه موطنها الذي هو عالم الحس والتركيب الطبيعي .

\* \* \* X

بان العزاء وبان الصبر إذ بانوا  
بانوا وهم في سويدا القلب سُكَّان

يقول : بان مقام المنعة والصبر بانوا ؛ يعنى المناظر الإلهية عنى . وقوله :  
\* . . . في سويدا القلب سكان \* يقول : لما كان المناظر الإلهية لا تشبه لها إلا بالمنظور إليه وهو الله ؛ وهو سبحانه في سويداء القلب كما يليق بجلاله من قوله تعالى : « ما وسعنى <sup>(١)</sup> أرضى ولا سماءى ووسعنى قلب عبدى المؤمن » فهو فى قلب العبد لكنه لما لم يعط تجلٍ فى هذه الحالة لم توجد المناظر فبانّت من كونها مناظره مع كونه فى القلب ؛ ويقال : عز الأمر إذا امتنع فلم يوصل إليه والصبر حبس النفس عن الشكوى ؛ يقول : بان هذا كله لبيّنهم ؛ ثم قال :

(١) أخرجه مسلم ج ٨ ص ١٤٢ ، ١٤٣ فى باب صفة الجنة ونعيمها .

سألتهم عن مقيل الركب قيل لنا :  
مقيلهم حيث فاح الشيخُ والبانُ

يقول : سألت العارفين حقائق الشيوخ المتقدمين الدين أبانوا لنا الطريق  
وأوضحوا لنا مناهج التحقيق لما رأيناهم في تجلياتنا كشفًا فالضمير في سألتهم  
يعود عليهم عن ركب هذه المناظر الإلهية أين قالوا ؛ يقول : أى قلب وعين  
أخذوه مقيلًا فقالوا لنا اتخذوا مقبلًا كل قلب ظهرت فيه أنفاس الشوق  
والتوقان وهو قوله \* . . . فاح الشيخ والبان \* فالشيخ من الميل والبان  
من البعد وفاح من الفوح وهى الأعراف الطيبة ؛ وإن أراد أن يجعله من  
الفيح الذى هو الاتساع ساغ أيضاً فإنه يابق به فإن السعة مطلوبة فى هذه  
الحالة لأنه قال : ما وسعنى ؛ ولا يكون الفيح هنا من فاحت الجيفة تفيح  
فيحاً وهى الرائحة الكريهة فإن هذه المقامات لا تليق بها وهذا أن النبات  
ريحها طيب فكان المعنى يناقضه . ثم قال :

فقلت للريح سيرى والحقى بهم فانهم عند ظل الأيك قطان

يقول لما قال لى المسؤولون أن قيلولة أحببتي حيث كان عالم الأنفاس  
الشوقية لذلك قال فقلت للريح يقول بعثت نفساً شوقياً من أنفاسى الحق  
بهم ليردهم إلى والأيك شجرة الأراك وهى مساويك يشور إلى مقام  
الطهارة ومرضاة الرب للخبر الوارد أن السواك مطهرة للنفوس ومرضاة للرب

وقطان مقيمون في راحة فإن الظل الراحة لا سيما ظل الأشجار والكنف  
فإنه من قعد في ظلك فهو في كنفك .

وبلغهم سلاماً من أخى شجنٍ في قلبه من فراق القوم أشجان

يقول وأوصلى إليهم سلاماً من قوله تعالى : ( وإذا خاطبهم الجاهلون

قالوا سلاماً )<sup>(١)</sup> مصدر، يعني لا يعترض عليكم من أخ ذى شجن يقول: من

صاحب حزن في قلبه من فراق القوم أشجان يقول: إنه في مقام التلويح

فكنى عنه بالقلب من تقلبه في هذه الأحوال والأحزان التي في قلبه

لفراقهم إنما هو من حيث أنه لم ير وجه الحق فيمن أعقبهم في محله حين

لا يحس بفراق أصلاً ، وإن كان لا يصح قبل هذا المقام لأن الحقائق

تأباه وترد وجوده فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لى وقت لا يسعنى

فيه غير ربى » ففرق بين الأحوال وإن كان الحق مشهوداً له في كل حال

غير أنه لما كان حال شهود الذات أسنى الشهود وأحلاه وأعظم أثراً

لذلك يقوم عنده وجه الحق فيما عدا هذا الشهود كما يقول لو تشق

بالتعلقات الإلهية لكانت لذة شهود تعلق العلم أعلى من شهود تعلق

القدرة لأنه أعم وتعلق القدرة أخص لأن محلها الممكنات لا غير .

\*\*\*

(١) الآية ٦٣ من سورة الفرقان .

( ٣ - زخائر )



## وقال رضى الله عنه

وزاحنى عند استلامى أوانسُ أتين إلى التطواف مُعْتَجِرَاتِ

يقول لما امتدت اليمين المقدسة إلى لأبايعها البيعة الإلهية من قوله تعالى (إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) <sup>(١)</sup> جاءت الأرواح الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويطلبون يبايعونه هذه البيعة في هذه الحال التي أقيمت فيها وسماهم أوانس لوقوع الأانس بهن وأنهم لأن اللفظة التي تطلق عليهم تقتضى التأنيث وهو الملائكة والجنة ، ولهذا جعلهم من جعلهم بناتاً وإناثاً وقوله معتجرات أى غير مشهودة له سُبُحات وجوههم لأنهم غيب لنا لا نراهم ثم قال :

حَسَرْنَ عَنْ أَنْوَارِ الشَّمُوسِ وَقَلْنَ لِي

تَوَرَّعَ فَمُوتِ النَّفْسِ فِي اللَّحْظَاتِ

يقول : ظهرن له وارتفع الحجاب فسطعت أنوارهم لعينته مثل الشمس واختص ذكر الحافين حول العرش لمناسبة الطائفتين فإنهم حافون من حول الكعبة ، وقوله تورع يقول اجتنب الملاحظة لئلا تذهب بنور بصرك المفيد كما جاء « لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه » فيقول هذه الأرواح تقول له لا تنظر إلينا فتعشق بنا حالا ومقاماً ، وأنت إنما خلقت له لا لنا فإن احتجبت بنا عنه أفناك عن وجودك به فمت فتكون عليك لحظة مشومة فنصحوه بقولهم تورع تنبيهاً .

(١) الآية ١٠ من سورة الفتح .

وكم قد قتلنا بالْمُحَصَّبِ من منى نفوساً أبيت لدى الجمرات

يقول : كم من نفس أبية ، يعنى بالنفوس الأبية هى التى تحب معالى الأمور ، وتكره مذام الأخلاق والتعلق بالأكوان ، ومع ذلك حجبهم ، وتيممهم جمال الأكوان فى أوقات ما وفى مقامات ما ، فتحنظ لئلا تلحق بهم ، ولم يريدوا أنفسهم خاصة بهذا الخطاب ، فإن هؤلاء الأرواح ما لهم دخول فى المحصب ولا غيره فإنهم حافون ، وليس لهم مناسبة إلا مع الطائفين ، وإنما تعنى أمثالها من الأرواح فى كل مقام ، كما قال : ( كخيفتكم أنفسكم ) يعنى أمثالكم لا يريد عين نفس الخائف .

وفى سرحة الوادى وأعلام رامية وجمع وعند النفر من عرفات

يقول : فى هذه المواطن المذكورة كلها ماتت نفوس أبيت كانت تزعم أن لا تعلق لها ولا تعشق إلا بالنور المحض المطلق ، فلما تجلى عند مفارقتها ظلمة الطبيعة والهبا ، وارتفعت عن حضيضها إلى أنوار الروحانيات العلى فى هذه المواطن وأمثالها بهرها حسن ذلك النور وجماله وبهاؤه ، فوقفت معه عن مقصودها لجهلها به فلا تسكن مثلهم فتندم .

ألم تدر أن الحسن يسلب من له عفاف فيُدعى سالب الحسنات  
فموعدنا بعد الطواف بززم

لدى القبة الوسطى لدى الصخرات

يقول : إن الجمال محبوب لذاته ومن ملكه شيء كان لما ملكه والحسنة مشتقة من الحسن والحسن معشوق لذاته والحسنة ما لها قوة الحسن فإنها



معنوية من باب الإيمان غَيْبٌ في الشهود وهو من نتائج الأعمال الشاقة وتحمل المكاره ، فهي نتائج مضافات ومكارم فلهذا كان الحسن المشهود غالباً عليها كما على من شاهده فلهذا يقال له سالب الحسنات لا يتركك التلذذ بمشهد الحسن فيمن كان يفعل إلا ما يشير به حامل ذلك الحسن وقد يشير بما يحول بينك وبين معالي الأمور من حيث التوصل إليها لا من حيث هي فإن التوصل إليها بالمكارة كما قال عليه الصلاة والسلام: « حفت الجنة بالمكارة<sup>(١)</sup> » وكما رأى بعض المشاهدين معروفة في النار في وسطها وقد حفت به وكانت المكارة التي حازها إلى مكانه الذي رآه فيه يشير له في كشفه أنه لا يصل إلى مقامه إلا بعد أن يخوض غمرات تلك النيران ، ثم قال : \* فموعدنا بعد الطواف بزمام \* البيت بكامله .

يقول : تقول له هذه الروحانيات أشهدناها من مقامات الحياة التي نحن لها فإنها أرواح والمناسبة بينها وبين الماء الحياة ، وقوله : لدى القبة الوسطى يعني البرزخ لدى الصخرات ، يقول تنزل المعاني النفيسة في القوالب المحسوسة وكفى عنها بالصخرات التي هي الجمادات الخالية للعبادة والعرف ، أي أن هذه الأرواح في هذه الصور الخيالية معان لا ثبات لها فإنها سريعة الزوال من النائم باليقظة ومن المكاشف بالرجوع إلى حسه كما أن النساء الذين يصلون إلى ذلك الموضع إنما يعمرونه ساعة ثم ينصرفون إلى أما كنهن فلهذا أوقع التشبيه بذلك يقول لا تغتر بنجلي حسن الأكوان العلوية

(١) أخرجه مسلم في باب صفة الجنة ونعيمها ج ٨ ص ١٤٢ / ١٤٣ .

والسلفية لعينك فإنه كل ما خلا الله باطل أى عدم مثلك فكأنك ما زلت  
عنك فكن له لئلا يكون لك لا تكن لك فقد نصحوا صلوات الله عليهم .

هنالك من قد شفه الوجد يشتفى بما شاءه من نسوة عَطِرَات  
يقول: فى عالم البرزخ يشتفى من أراد التلذذ بالمعاني القدسية فى القوالب  
الحسية من عالم الأنفاس والأرواح ، وسبب ذلك الجمع بين الصورتين المعنى  
والصورة فليتلذذ عيناً وعلماً .

إذا خفنَ أسدلنَ الشعورَ فهنَّ من  
غداً رها فى الحُفِّ الظلمات  
يقول هذه الصور الجليلة إذا خفن فى تجسدهن من تقيدهن بالصورة  
عما هى عليه من الإطلاق أشعروك بأنهن حجاب على أمر هو أطف مما رأيت  
فعندما تحس أنت بذلك الشعور ارتفعت همتك لذلك فانسرت عنك  
فأخاين الصور واسترحن من التقييد وانفسحن فى مراتبهن المنزهة .

\* \* \* X

درست ربوعهم وإن هوائهم أبداً جديداً بالحشا ما يدرُس  
يقول: إن محال الرياضات والمجاهدات التى هى منازل الأعمال تغيرت  
للسن وعدم قوة الشباب واختص ذكر الربع دون الطلل والرسم والدار  
والمنزل ليكون له اشتقاق من زمن الربيع الذى هو بمنزلة الشباب من عمر  
الإنسان فإن التغيير إنما لحق قرة الشباب وربعانه وكفى عن النفس التى  
هى محل الهوى بالحشا لأنها كالمحشوة فى البدن أى هو حشو فيه ، ولذا

قال: ( فلولا إذا بلغت الحلقوم )<sup>(١)</sup> يعني عند خروجها بالموت فنقول إن  
هواهم بالنفس ما يتغير ، بل هو على غضاضته وطراوته لأنه قائم بذات  
غير طبيعية :

هذى طُلُوهُمُ وهذى الأدمعُ ولذكرهم أبدأً تذوبُ الأنفسُ

يقول: هذى طلوهم يقول أشخاص منازلهم كأن الشخص هو الطلل  
وهو من طل إذا بدا يظهر ومنه الطل الذي هو أول نشء المطر فهو ضعيف  
وهذه الأدمع مناسبة للطلل لاشتقاقه من الطل أى يبكى على التقصير لعدم  
مساعدة الآلات فيما يريد من الطاعات ، وقوله: ولذكرهم وهو حنين العارفين  
في نهايتهم إلى موطن بدايتهم ، وأنه ليس شىء أعظم لذة من البداية .  
ناديت خلفَ ركابهم من حُبِّهم يا من غناه الحسن هاأنا مفلس

يقول: لما رحلت قوى الشباب وملذوذات البداية في الفترة والحيرة  
والهمم تزعج والمركب غير مساعد بقيت في صورة المفلس الذى يرى  
أطايب المذوذات ويدخل سوق النعيم والشهوات وماله درهم يصل به إلى  
نيل شهوة من شهواته والضمير في غناه يعود إلى عصر الشباب وعلى عصر  
البدايات فهو متوجه لها ، ونسب إليه الحسن لكونه معشوقاً ، فإن الحسن  
معشوق لذاته في كل شىء ظهر .

(١) الآية ٨٣ من سورة الواقعة .

مرغت خذى رقة وصبابة فبحق حق هواكم لا تؤيسوا

يقول : مرغت خذى رقة وصبابة يشير إلى نزوله لحقيقة من الذل والافتقار طلباً للوصال ، فإن الحق يقول تقرب إلى بما ليس لى هو والذلة والافتقار والصبابة رقة الشوق ، فإذا كانت الذلة بضرب من المحبة هي أمكن في الوصلة من الذلة بلا حب، وقوله رقة يشير إلى حالة اللطف والارتقاء عن عالم الكثافة وجعل للهوى حقاً يقسم به لكونه ذا سلطان لأنه من العالم العلوى ، ولهذا سمي سقوطه فقيل فيه هوى أى سقط .

من ظلّ في عبراته غرقاً وفي نار الأسي حرقاً ولا يتنفس

يقول إن حالته مترددة بين عبرته وزفرته فكنى بالعبرة من الاعتبار الذى هو الجواز عن حالة النجاة له إلى الهلاك فيه وهو الفرق وكنى بالزفرة عن نار الأسي أى مقام الحزن وحرارة الشجن ولا نفس رحمانى بارد يثلج به الفؤاد فيبرد حرارة الحزن لقوت المحزون عليه بمشاهدة ما ، عن عناية إلهية ولا منبج يأخذ بيده ليخلص من الفرق فى بحر الدموع من كونها عبرات فلا يجوز إلى شيء من شيء ، بل يشهده فى كل شيء فإن التفرقة للمعارف من حيث المشهود شديدة .

يا موقد النار الرؤيدا هذه نارُ الصبابةِ شأنكم فلتقبسوا

يخاطب كل طالب نار ، يقول له لا تتعنّ فى طلب نار بوجودى فهذه نار الشوق فى كبدى ظاهرة نخذ حاجتك منها أى انتقل إلى النار اللطيفة التى هي حالة موسوية منشأ لطلب نار لأهله يصلح به عيشهم فنودى من

حيث طلبهم في نار يسرع بالإجابة من غير انتقال من حال إلى حال وكان التغيير في النارين لما في الطلب ، فإن أوجد المهمة لأنه ما تراءى له المشهود إلا في صورة نارية متعلقة بشجرة وادية من التشاجر وهو مقام تداخل المقامات لأنه مشهد للكلام والكلام متداخل المعاني على كثرتها فأشبهه الشجرة فنودي من الشجرة هذا المعنى ، وفي النار لأنها مطلوبة فلا يتغير عليه حال .

\*\*\*

لمت لنا بالأبرقين بروق فصفت لها بين الضلوع رعود الأبرقين مشهدين للذات مشهد في الغيب ومشهد في الشهادة فالغيب غير متنوع لأنه سلبي والشهادي متنوع لأنه في الصور وقوله يروق لتنوع الصور فيه ، وكنى عنها بالبروق لسرعة زوالها وجاء بالرعود بعده الذي هو الصوت عبارة عن مناجاة إلهية حصلت عقب هذه الشهود حالة موسوية تراءى له عن النار الذي هو كالبرق ، ثم نوجى فأعقبه الكلام فكنى عنه بالرعد لأجل البرق ولأنها مناجاة زجر .

وهمت سحائبها بكل خميلة وبكل مئادٍ عليك تميد الخميلة الروضة وهي قلب الإنسان بما يحمله من المعارف الإلهية والسحاب هنا هي الأحوال التي تنتج المعارف وهمت سحت وسكبت عن المطر وذكر السحاب لتضمنه مع قوله همت فاستغنى وكذلك الخميلة فهي مطر في السحاب وإزهار في الرياض ، وكنى بالفصن في هذه الروضة يعني

الحركة المستقيمة التي هي نشأة الإنسان من قوله خلق آدم على صورته  
فمن هذا المقام يميل عليك ليفيدك ، ثم قال :

فجرت مدامعها وفاح نسيمها وهفت مطوقة وأورق عود  
يقول : سالت أودية معارفها ونم عالم الأنفاس بما تحمله من طيب  
أعراف أزهار المعارف الإلهية بحسب مشام الطالبين والطوقة إشارة إلى  
النفس الكلية بالآثر الذي لها في النفس المروية التي ظهرت على صورتها في  
كونها ذات قوتين عالمة فعالة وقوله وأورق عود الذي هو لباس الأغصان  
يقول : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ، فإن زينة الله غير محرمة علينا والذي  
وقع الذم عليها زينة الحياة الدنيا أي الزينة القريبة الزوال أي لا تلبسوا من  
الملابس إلا ما يكون دائماً كملابس العلوم والمعارف فإنها لا تتخلق ولهذا  
قال (ولباس التقوى ذلك خير) <sup>(١)</sup> يعني المعلم الذي ألبسك التقوى من قوله :  
(واتقوا الله ويعلمكم الله) <sup>(٢)</sup> .

نصبوا القباب الحجرين جداول مثل الأسود بينهن قعود  
أشار بالقباب الحجر إلى حالة الأعراس بالمخدرات ، يريد الحكم الإلهية  
والجداول فنون العلوم الكدنية التي متعلقها الأعمال الموصلة أي هذه الحكم  
وشبهها بالأسود وهي الحيات لمشيها على بطونها ، فإنه قال تعالى (فمنهم من  
يمشى على بطنه) يشير إلى الباحثين من أهل الورع عن أغذيتهم فإنه بطيب  
المطعم على الوجه المشروع الذي يحدث القوى لاستعمال الطاعات يتنور

(١) من الآية ٣٦ من سورة الأعراف. (٢) من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.



القلب فتزل هذه الحكم الإلهية التي قال عنها بأنهم قعود بين هذه الجداول في القباب الحمر ، فتنبه لما أشرنا إليه ، ثم أخذ يصف مراتبهن في البيت بعده .

بيض أوانس كالشموس طوالع عين كريمات عقائل غيد<sup>(١)</sup> وصفهن بالبياض أى لا شك فيهن مثل النصوص كما قال « ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب » أى هى من الوضوح بحيث أن لا يدخل فيها شك لمن ينظر إليها ، وقوله أوانس يتونس بهن من الأانس والنظرة والنظر فيها أى يبصرهن كما جاء في الخبر الإلهي : ( كنت بصره الذى يبصر به ) ، وقوله كالشموس فى الرفعة ومقام القطبية وارتفاع الشكوك وإعطاء المنافع فى المولدات والطوالع المستشرفات على القلوب الطالبة لها المتشوقة لنزولها عليها وظهور أنوارها فيها والعين الواسعات النظر يريد قوة النور والكشف والكريمات الطيبات الأصول ، أى أنها على نتائج الأعمال المشروعة التى نصبها الحق ما هى مثل حكم الفلاسفة التى هى نتائج أوضاعهم ، ويعرف ذلك أصحاب الذوق والعقائل مشتقة من العقل أى هن ممن يعقلن ما يلقي إليهن ويعرفن مقداره ويميزنه ، فىكون تنزلن على ذلك القدر والحد وقوله غيد أى مائلات لمن نزلت عليه بضرب من الحنوّ

(١) أوانس : آمنة طيبة النفس التى يؤتمس بها . عقائل جمع عقيلة . وهى فى الأصل المرأة الكريمة النفيسة ثم استعمل فى الكريم النفيس من كل شىء من الدوات والمعانى . عيد . الفيد بفتحين النعومة .

فإن الميل حنوّ يشير إلى مقام الحنان والرأفة والعطف والمحبة والرغبة والميل لا يكون إلا من استواء فيشير إلى أنهم من حيث هن في مقام الاستواء والاعتدال وعدم الالتفات ، وإذا استدعوا بالسؤال والرغبة والتواضع والشوق والمحبة ملن عن ذلك الاستواء إلى المنادى لما لم يكن في قوته العروج إليهن فكان منها النزول .

\* \* \*

X

وقال رضى الله عنه

إني عجبت لصبّ من محاسنه تختال ما بين أزهار وبستان  
فقلت لا تعجبي ممن ترين فقد أبصرت نفسك في مرآة إنسان  
قالت يعنى الحضرة الإلهية عجبت لصبّ يعنى المائل إليها بالحبّة ووصفها  
بالتعجب من باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « أن الله يتعجب من الشاب  
ليست له صبوة » وقوله من محاسنه تختال ما بين أزهار وبستان يعنى  
بالأزهار الخلق والبستان المقام الجامع وهى ذاته ووصفه بالخيلاء مناسبة  
لقولها عجبت ومن باب قول عتبة الغلام لما أخذ يختال ويتيه فى مشيته فقيل  
له فى ذلك فقال وكيف لا أتبه وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبداً وإذا  
تحقق العبد بالحق تحقق كنت سمعه وبصره وتحقق أن يكون كله نوراً  
فجميع ما ينسب إلى الحق إذا انتسب إليه يستحقه ذلك المقام ثم أعاد القول  
هذا الحب على الحضرة فقال لا تعجبي بما ترين فإنى لك كالمراة وهذه



أخلاقك التي تخلقت بها فنفسك أبصرت لا أنا ولكن في إنسانيتي القابلة لهذا التجلي ، فهي لها كالبستان وهذا مقام رؤية الحق في الخلق وعند بعضهم مقام رؤية الحق في الخلق أعلى من مقام رؤية الخلق في الحق وسر هذين المقامين عجيب فإن الناس في حال نعيمهم في الجنة وتصرفاتهم هو في مقام رؤية الخلق في الحق فلهم الاقتدار وهم في الكذيب في رؤية الخلق في الحق وبتلك الصفة يرجعون إلى الجنة والأمر على الحقيقة رؤية حق في حق لأنهم يشهدونه في الكذيب .

ألا يا حمامات الأراكة والبان

ترفقن لا تضعين بالشجور أشجاني

أراد بالحمات واردة التقديس والرضى والنور والتنزيه ، فالتقديس والرضى للأراكة لأنه شجر يستاك به وهو مطهرة للفم ومرضاة للرب ، والنور والتنزيه للبان من حيث الدهن ومن حيث البعد كما قال ، فكانت البان أى كانت سليمة فقال للواردات رفقا على لا تضعن من الضعيف ما تلقين إلى في خطابكن من ثمرات التعشق والحبة المهلكة للمحبين أى خطابكن يشجى ويضاعف شجوى ، وقد يكون من الضعف أى شجوى يضعف لشجوكن من باب قوله من تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعاً .

ترفقن لا تظهرن بالنوح والبكا خفي صباباتي ومكنون أحرزاني

يخاطب الواردات التي ذكرناها يقول : لا تظهرن بالنوح التي هي المقابلة في الشجون والبكاء إرسال المدامع لسبق المقدور وعدم تبده وقد رأيت في

مشهد من المشاهد يبكي على ما سبق في العلم من شقاء الدجال وأبي لهب  
وأبي جهل من باب قوله تعالى ( ما ترددت في شيء كترددى في قبض روح  
عبدى المؤمن وهو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقائي )  
فمن هذا المقام يكون هذا البكاء ، وقوله خفي صباياتى ما تنطوى عليه  
الضلوع من رقة الشوق للمنظر الأجلى ، ومكنون أحزاني ما تستره من ألم  
الفقد عند رجوعها إليها .

أَطَارِحُهَا عِنْدَ الْأَصِيلِ وَبِالضُّحَى بِجَنَّةٍ مُشْتَاقٍ وَأَنْتَ هَيْمَانُ  
يقول : أطارحها أقول مثل ما تقول يشير إلى حالة الصدى الذى هو  
رد الصوت إليك بما يخرج منك قال الله تعالى للنفس أول ما خلقها : من  
أنا ، قالت له من أنا لصفائها فأسكنها في بحر الجوع أربعة آلاف سنة ،  
فقالت له أنت ربى ، وقوله عند الأصيل وبالضحى وهما طرفا النهار وهو  
قوله تعالى ( بالعشى والأبكار ) وقوله ( قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ) فهو  
المقدس نفسه بنفسه ، ويظهر الأثر في غيره ، فينسب إليه الأمر وهو ليس  
هناك لأنه به يتكلم وبه يسمع وبه يبصر ، وقوله تحية مشتاق وأنت هيمن  
من قوله يحبهم ويحبونه ، فمن هذا المقام تكون المطارحة بين من ذكرنا  
والحنين للاشتياق وللأنين الهيمن .

تَنَآوَحَتِ الْأُرُوحَ فِي غَيْضَةِ الْغَضَا  
فَالَتْ بِأَفْنَانٍ عَلِيٍّ فَأَفْنَانِي  
يقول تقابلت الأرواح جمع روح وإذا أراد جمع ریح فيريد عالم الأنفاس

وكنى عن نيران الحب بالفضا والغيضة شجرة ووصفها بالليل فإن لهيب النار الذي هو المارج فإنها للنار بمنزلة الأغصان للشجر فتميلها الرياح كما تميل الأغصان ، فمن هنا أوقع التشبيه لها بالغيضة والأفنان ، قال وكان ميل هذه الأفنان الشوقية اللهيبة لتغني عنى حتى يكون هو ولا أنا غيرة على الحب أن يكون له وجود في نفسه لغير محبوبه ، فكان كما أراد ، فقال فأفنانى ميل هذه الأفنان ووصفها بالمناوحة لكون المحبة تقتضى الجمع بين الضدين وجاءت من الشوق المبرح والجوى

ومن طرف البلوى إلى بأفنان

يقول ساقى معها إلى فنونا كثيرة من الشوق المبرح أى المظهر لما يكنه جنانى من هواه ، والجوى الذى هو الإنفاس فى المحبة لأنه على الحقيقة مأخوذ من الجوى ومن طرف جمع طرفة ، وهى أوائل كل طرفة وأول كل بلاء أصعبه ، فإذا سكنت إليه النفس هان عليها والبلوى من الابتلاء أى ساقى إلى أوائله التى هى أصعبها .

فمن لى بجمع والمحصب من منى

ومن لى بذات الأئبل من لى بنعمان (١)

يقول من لى بالجمع بالأحبة فى مقام القربة وهى المزدلفة والمحصب موضع تحصيب الخواطر المانعة من قبل هذه النية المطلوبة للمحبين ومن لى بذات الأئبل الذى هو الأصل ، فإن الأصل فى المحبة أن تكون ألت عين

(١) ذات الأئبل اسم مكان ولكنه قصد به ما ذكره .

محبوبك وتغيب فيه عنك فيكون هو ولا أنت<sup>(١)</sup> من لي بفهمان أى بهذا  
المقام الذى يكون به النعيم الإلهى القدسى .

تطوفُ بقلبي ساعة بعد ساعةٍ لوجدٍ وتبريحٍ وتلثمُ أركان  
كما طاف خير الرسل بالكعبة التى يقول دليل العقل فيها ينقصان  
وقبل أحجاراً بها وهو ناطق

وأين مقام البيت من قدر إنسان  
شرح البيت الأول ، أى تتكرر عليه مع الأناث لتقلبه هو فى الحالات  
ولذلك جاءه بالقلب ولم يقل بالنفس ولا بالروح ، وقوله لوجد وتبريح من  
أجل إلقائها فى الوجد بها والشوق المزعج إليه وتلثم أركانى يعنى بالأركان  
الأربعة التى قام عليها هذا الهيكل وتلثمه أى تقبله فوق اللثام يعنى الحجاب  
فإنه ما فى قوته مشاهدتها إلا بواسطة ، وقد طافت بقلبه فقد غمرت ذات  
الحب حساً ومعنى هذه الحقائق .

فكم عهدتُ أن لا تحول وأقسمت

وليس لمخضوبٍ وفاءً بأيمان

يقول هذه الواردات قد يكون منها ما فيه امتزاج بالمزاج فكفى عما  
فيها منها بالمخضوب ، ولهذا وصفها بعدم الوفاء ، وتسمى هذه واردات  
نفسية وهى التى وردت على النفس حين خاطبها الحق (ألست بربكم) وأخذ

(١) معناها شدة المحبة وتمام التعلق وأما ما يسبق إلى الذهن من الاتحاد  
أو الحلول فقد نفاه رضى الله عنه فيما سبق

عليها العهد والميثاق ، ثم بعد ذلك لم تثق بمقام التوحيد له بل أشركت على طبقاتها فإنه ما سلم من هذا الشرك أحد ، فإن كل أحد قال أنا فعلت وقال على حين غفلة عن مشاهدة القائل فيه وبه من هو .

ومن عجب الأشياء ظبي مبرقع يشير بعنابٍ ويومي بأجفان يقول من أعجب الأشياء ظبي يريد لطيفة الإلهية مبرقع يقول محجوب بحالة نفسية وهي أحوال العارفين المجهولة ، فإن العامة تظهر بما تظهر به الطائفة المحققة من الصور بخلاف أصحاب الأحوال ، ولا يتمكن التصريح من أهل هذا المقام بأحوالهم ، فإنهم يكذبون لعدم الشاهد ، ولكن يعرفون بالإشارة والإيماء عند بعض الذائقين لأوائل أحوالهم وأراد بالعناب هذا ما أراده بالمحصب في اليد قبله والإيماء بالأجفان يقول أدلة النظر في أحكام أصحاب هذا المقام يقوم للذائقين لأوائله فتقع المعرفة لهم فيهم وأنهم وإن اشتركوا مع العامة في صورة الحكم الظاهر فهم بائون في أسرارهم في أصلها فثمان بين من ينطق بنفسه وبين من ينطق بربه واللسان واحد عند السامع في الشاهد .

ومرعا ما بين الترائب والحشا ويا عجباً من روضة وسطنيران<sup>(١)</sup> يقول ومرعا بين الترائب والحشا من العلوم التي في صدره والحشا

(١) الترائب : ضلوع الصدر . الحشا : ما دون الحجاب مما في البطن من كب وطحال وكرش وما تبعه .

ما حشى به باطنه وقلبه من الحكم والإيمان كما قال وضرب بيده إلى صدره:  
إن هاهنا لعلومًا جمة لو وجدت لها حَمَلَةٌ ، ثم أخذ يتعجب من محب أحرق  
بنيران المحبة والاشتياق كيف لم تحرق ما يحمله من الحكم والعلوم التي بين  
ترائبه وفي حشاه ، ووصفه بالروضة لاختملاف أزهارها وأثمارها فإن فنون  
العلوم كثيرة متنوعة ، ومن شأن النار إذا تعلقت بالأشجار أحرقتها وهذه  
علوم محمولة في هذا الشخص ونار الحب متأججة في ذاته فكيف لم تذهب  
بهذه العلوم فلا يبقى لديه علم أصلاً ، والجواب عن هذا أنه منه تكون  
وإذ تكون شيء عن شيء لم يعدمه ذلك الشيء كما يقال في السمندل (١)  
إن كان حقاً أنه حيوان يتكون في النار فلا تعدو عليه ، ولما كانت هذه  
العلوم والمعارف نتائج عن نيران الطلب والشوق إليها لم تغن بها .

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فرعى لغزلان ودير لرهبان  
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة كما قال الآخر ما سمي القلب إلا من  
قلبه فهو يتنوع بتنوع الواردات عليه وتنوع الواردات بتنوع أحواله  
وتنوع أحواله لتنوع التجليات الإلهية لسره وهو الذي كفى عنه الشرع  
بالتحول والتبدل في الصور ، ثم قال فرعى لغزلان أي إذا وصفناه بالمرعى  
كنيناً عن السارحين فيه بالغزلان دون غيرهم من الحيوانات لأن كلامنا  
بلسان الهوى وبالغزلان يقع التشبيه بالأحبة للمحبين في هذا اللسان ولا شك

(١) السمندل قال في القاموس طائر بالهند لا يحترق بالنار .

(٤ - زخائر)



أن عين الفرس سوداء متسمة ، ولكن ما وقع التشبيه إلا بعين الغزلان وقوله ودير لرهبان يقول إذا جعلناهم رهباناً من الرهبانية جعلنا القلب ديراً للمناسبة لأنه منزل الرهبان وموضع إقامتهم .

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن يقول وهذا القلب صورة بيت الأوثان لما كانت الحقائق المطلوبة للبشر قائمة به التي يعبدون الله من أجلها ، فسمى ذلك أوثاناً ولما كانت الأرواح العلوية حافين بقلبه سمي قلبه كعبة وهي الأرواح المذكورة له إذا مسه طائف من الشيطان ، فهن أصحاب الملمات الملكية ولما حصل من العلوم الموسوية العبرانية جعل قلبه ألواحاً لها ، ولما ورث من المعارف الحمديّة الكمالية جعلها متحفاً وأقامها مقام القرآن لما حصل له من مقام أوتيت جوامع الكلم ثم قال :

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائزُ فالدين ديني وإيماني  
يشير إلى قوله ( فاتبعوني يحببكم الله ) فلماذا سماه دين الحب ودان به  
ليتلقى تكليفات محبوبه بالقبول والرضى والمحبة ورفع المشقة والكلفة فيها  
بأى وجه كانت ولذا قال أنى توجهت أى آية سلكت مما يرضا ولا يرضى  
فهى كلها مرضية عندنا ، وقوله فالدين ديني وإيماني أى ما ثم دين أعلى من  
دين قام على المحبة والشوق لمن أدين له به وأمر به على غيب وهذا مخصوص  
بالمحمديين فإن محمداً صلى الله عليه وسلم له من بين سائر الأنبياء مقام المحبة  
بكمالها مع أنه صفي ونجى وخليل وغير ذلك من معاني مقامات الأنبياء

وزاد عليهم أن الله اتخذهم حبيباً أي محبباً محبوباً وورثته على منهاجه .

لنا أسوة في بشرٍ هندی وأختها وقيس وليلى ثم مىّ وغيلان  
ذكر المحبين في عالم الكون الميمين بعشق المخدرات في الصور من  
الأعراب المتيمين ويعنى بأختها جميل بن معمر مع بثينة وبياض ورياض  
وابن الدريج ولبنى وغيرهم يقول الحب من حيث ما هو حب لنا ولهم  
حقيقة واحدة غير أن المحبين مختلفون لكونهم تعشقوا بكون وإنا تعشقنا  
بعين والشروط واللوازم والأسباب واحدة ، فلنا أسوة بهم فإن الله تعالى  
ما هيم هؤلاء وابتلاهم بحب أمثالهم إلا ليقم بهم الحجج على من ادعى  
محبتة ولم يهيم في حبه هيمان هؤلاء حين ذهب الحب بعقولهم وأفئادهم عنهم  
لمشاهدات شواهد محبوبهم في خيالهم ، فأحرى من يزعم أنه يحب من يهو  
سمعه وبصره ومن يتقرب إليه أكثر من تقربه ضعفاً .

بذي سلم والدير من حاضر الجما

ظباء تريك الشمس في صورة الدمى

ذو سلم مقام ينقاد إليه لجماله والدير حالة سريانية وحاضر الحمى ما طاف  
بحجاب العزة الأحمى ثم شبه ما ينزل على روحه من الحكم الإلهية النبوية  
بالظباء في شرودها وملازمتها الفياقي التي هي مقام التجريد وبالشمس من  
نورها وشموسها وسريان منافعها وبالدمى صور الرخام وهي المعابد السريانية  
العیسوية معارف لم يقترن معها عقل ولا شهوة فجعلها جمادية فإن الجماد  
والملك مجبولان على المعارف من غير شهوة ولا عقل والحيوانات فطروا

على المعارف والشهوات ورفع عنهم الحرج في ذلك من جانب المطالبة الإلهية، والانسان والجن فطروا على العقول والشهوة وجعل لهم القوة والفكرة وسائر القوى لتحصل المعارف ، فعقولهم لردّ شهواتهم لا لإفشاء العلوم .

فَأَرْقُبْ أَفْلاَ كَا وَأَخْدُمُ بَيْعَةً وَأَحْرُسْ رَوْضًا بِالرَّبِيعِ مَنَّمِنًا  
فمن كون هذه المعارف شمساً قال أرقب أفلا كما أى أرصد مجاريها التي تدور بها وفيها ، وهي الحالات التي تظهر فيها هذه المعارف في باطنه ويقول ومن حيث هي دمي أى صورة الرخام أخدم بيعة لأنها محل هذه الصور وهي المعابد السريانية العيسوية من مقام الكلمة والروح ويقول ومن حيث هي ظباء أحرس لها روضاً بالربيع منمنماً لتسرح فيه وهي ميادين المعاملات والأخلاق الإلهية والمنعم الموشى بضروب الألوان أى أنها مزينة بالحقائق الإلهية وجعل لها الربيع لأنه زمان استقبال الشباب لحدائثها وطروها من قوله تعالى : ( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث )<sup>(١)</sup> فهو أعشق للنفوس وأمكن في القبول ، لأن اللذة بالجديد الطارئ أعظم في النفس من ملازمة الصحبة ، وفي هذا أسرار في حدوث نعيم الجنان مع الأنفاس ، وحدث الأنفاس .

فَوَقْتًا اسْمِي رَاعِي الظبي بالفلا ووقتاً اسْمِي راهباً ومنجماً<sup>(٢)</sup>

(١) من الآية ٣ من سورة الأنبياء .

(٢) الفلاة : المفازة ، والجمع فلا .

بقول : من كوني أحرس الروض لهذا الظبي سميت راعياً ، ومن كوني  
أخدم البيعة من أجل الدمية سميت راهباً ، ومن كوني أرقب الشمس في  
فلكها سميت منجماً .

والمقصد : اختلاف الحالات عليه في باطنه فتختلف عليه الواردات  
الإلهية والعلوم بحسب ما تعطيه قوى هذه الأحوال بما وقع به التشبيه من  
هذه الأكوان ، فهذه أذواق مختلفة وإن كانت العين واحدة في هذا كله  
فهو من باب ما ذكره مسلم في كتاب الإيمان من التحول في الصور  
بالعلامات على الاعتقادات ، فمن عبده في الشمس رأى شمساً ، ومن عبده  
في الحيوان رأى حيواناً ، ومن عبده في الجمادات رأى جماداً<sup>(١)</sup> ، ومنهم  
من عبده ليس كمثل شيء رأى ، ليس كمثل شيء ، فلماذا الباب يرجع  
ما ذكرناه .

ثلاث محبوبى وقد كان واحداً كما صيروا الأقسام بالذات أقنماً  
يقول : العدد لا يولد كثرة في العين كما تقول النصارى في الأقانيم  
الثلاث ثم تقول الإله واحد كما تقول باسم الرب والإبن وروح القدس  
إله واحد

(١) والمسألة كما بينها الله تعالى في سورة الأنعام حينما تنزل خليل الله إبراهيم  
مع قومه ليأخذ بأيديهم من ظلمات الشرك إلى أعلى درجات التوحيد بقوله تعالى  
« فلما جن عليه الليل رأى كوكباً » إلى قوله « إني وجهت وجهى للذى فطر  
السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين » ، وما جاء في الصحيحين  
صريح في اعتقادهم عبادة غير الله عز وجل .

وفي شرعنا المنزل علينا قوله تعالى : ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن  
أياً ما تدعوا ) ففرّق ( فله الأسماء الحسنى ) فوحد ، وتتبعنا القرآن العزيز  
فوجدناه يدور على ثلاثة أسماء أمهات إليها تضاف القصص والأمور  
المذكورة بعدها ، وهي : الله ، والرب ، والرحمن ؛ ومعلوم أن المراد إله  
واحد ، وباقي الأسماء أجريت مجرى النعوت لهذه الأسماء ولا سيما الاسم الله  
فمن ذلك النفس هو ما ذكرناه في هذه الآيات .

فلا تنكرون يا صاج قولي غزاة

تضيء لـغزلان يطفن على الدما

يقول : لا تنكروا هذا الليث مع كوني أريد عيناً واحداً ، فإن لكل  
إشاره معنى مقصوداً ، والغزاة هنا اسم من أسماء الشمس ، وقد ذكرنا  
القصد في البيت الذي يأتي بعده .

فللظبي أجباداً وللشمس أوجهاً وللدمية البيضاء صدرأ ومعضما

يقول : فآخذنا من الظبي عنقه ، وهو إشارة إلى النور من باب قوله  
صلى الله عليه وسلم : « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » أى  
أنواراً ، وللشمس أوجهاً من قوله صلى الله عليه وسلم : « ترون ربكم كما  
ترون الشمس » . \* وللدمية البيضاء صدرأ ومعضما \* ما جاء في حديث  
الصدر وذراع الجبار .

كما قد أعرنا للغصون ملابساً ولاروض أخلاقا وللبرق مَبَسِماً<sup>(١)</sup>

(١) المَبَسْم - كمنزل - الثغر ، و - ككعد - التبسم ، ومراده كما ذكر

يريد بالفصون النفوس المهيمة بجلال الله تعالى التي أمالها الحب عن رؤية ذاتها ومشاهدة كونها ، والملابس ما حملته من الأخلاق الإلهية ، والروض مقام الجمع الذي أقامهم الحق فيه أخلاقاً للأنفاس الرحمانية العطرية البشرية الطيبة الريح ، وهي الثناء الجميل من باب « أنت كما أثنت على نفسك » ، ولابرق مشهد ذاتي مبدئاً من قوله صلى الله عليه سلم : « الله أفرح بتوبة عبده » ومن باب ما ذكره مسلم : « إن الله يضحك<sup>(١)</sup> » ، فالخرج واحد والمقصد .

وهذه قصيدة ما رأيت نفسها في نظم ولا نثر لأحد قبلي ، وهو مشهد عزيز ساعدتني على إبرازه عبارة لطيفة روحانية غزلية مشوقة ، كل بيت منها فيه تثليث .

\*\*\* X

ناحت مطوّقةً فحنّ حزين وشجاءُ ترجيع لها وحنين  
يقول : قابلات صورة ، ونفخت فيه من روحى المتولد عنه وهي اللطيفة الإنسانية والتطويق المنسوب إليها ، وهو ما أخذ عليها من الميثاق الذي

(١) إطلاق الضحك وغيره على المنزه عن سمات الحوادث مجاز عن الرضا بفعلها والثواب عليه ، وانظ مسلم : « يضحك الله إلى رجاين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة ، قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : يقاتل هذا في سبيل الله عز وجل فيستشهد ، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله عز وجل فيستشهد » .

طوقت به ، فوصف بأن الكل بكاء على جزءه بضرب من المقابلة ، ولهذا جاء بالنوح ليجمع بين المقابلة بحالة البكاء .

وقوله : « فحن حزين » يريد الروح الجزئي الإنساني من هذا المعين .  
 وقوله : « وشجاه » أي : أحزنه « ترجيع » وهو ما أنت به من طيب نغمت الاستدعاء ، إلى الاتصال الذي هو الحشر الأول بالموت ، والحنين من باب الرأفة والتعطف الذي للوالد على ولده ، ومن الجزئي حنين الولد إلى والده ، والشخص إلى وطنه .

وليس يريد هنا قوله : « خالق آدم على صورته »<sup>(١)</sup> من أجل الطوق ، وإن كان قد دخل المقام الأقدس تحت قوله : « كتب ربكم على نفسه الرحمة »<sup>(٢)</sup> وتحت قوله فيمن جاء بالصلوات الخمس لم يضيع من حقهن شيئا : « إن له عند الله عهداً » ، وقد أدخل الله سبحانه مع عبده نفسه في عهد منه منة وفضلا لا إيجاباً .

ولكن ما هو مقصود في هذا البيت من أجل الحنين وإن كان سبق القضاء له أثر في الحكم ، كما جاء التردد في قبض نفس المؤمن كما قلت في بعض قصائدي له :

يحن الحبيب إلى رؤيتي وإني إليه أشد حنيناً  
 وتهفو النفوس ويأبى القضا فأشكو الأنين ويشكو الأنيننا

(١) أي على هيأته لم يتدرج من الطفولة إلى الرجولة .

(٢) من الآية ٥٤ من سورة الأعراف .

وعلمى بأن أصحابنا من أهل هذا الشأن يعرفون ما أشرنا إليه في هذا الإيماء ، والإجمال أغنانا عن التفصيل والتصريح .  
وعلم الله ما قيدت هذا القدر في هذا البيت إلا والحى تنفضني في باطنى مما أجده من قوة الوارد وازدحام تموج المعارف فيه ولا أقدر على إذاعة ما أجده مع القوة التى أعطانى الله على التعبير عنه وإيصاله إلى الأفهام القاصرة فأجرى ما فوقها من الأفهام ، ولكن الغيرة الإلهية وحجاب<sup>(١)</sup> العزة الأسمى المنصوب بين عينيّ منع من ذلك ، وهذه نفثة مصدر .

جرت الدموع من العيون تفجعا

لحنينها ، فكأنهنَّ عيون

وصف الأرواح بالبكاء وجرى الدموع ، وإن كانت هذه الأوصاف مما يتعلق بالعالم الطبيعى ، ولكن لما كان فى قوة الأرواح التمثيل فى الصور الجسدية ، كما قال تعالى : ( فتمثل لها بشراً سوياً ) لذلك قبلت هذه النعوت الطبيعية .

وقد ورد فى الخبر : « إن جبريل وميكائيل يبكيان من خوف مكر الله »<sup>(٢)</sup> ، وكان سبب هذا البكاء من هذه الأرواح الجزئية لحنين الروح

(١) يقول الشيخ : المشاهدة ليست ممكنة لوجود حجاب العزة ولم تقع المشاهدة إلا لاسيد المعصوم خاتم النبيين ، عليه وعلى آله الطاهرين أفضل الصلاة والتسليم .

(٢) من خشية عقابه لسبب خفى لا يعلمونه .



الكلى إليها الذي هو أبوها ، فإنها وإن حنت إليه بالأصالة والتولد ،  
فحنينه أشد إليها فإن حنين الأبوّة أعظم ، فإن النبوة من الأبوّة وليست  
الأبوّة منها ، بل هي عينها ، فهو من باب حنين الشيء إلى نفسه ، وشبهها  
لكثرة الدموع بعيون المياه الجارية ، أى أنها لا تنقطع ، وجريانها من  
غيب إلى شهادة ، وقد يريد تفجعا لحنينها ، أى يريد أن يكون لها مثلا  
لذلك الحنين إلى المناظر العلى ، ولا تحجب لتعشق الأكوان عما خلقت  
له ، ثم قال :

طارحتها تُكلا بفقد وحيدها

والشكلُ من فقد الوحيد يكون

الوحيد الذى فقدته هى الخاصية التى انفردت بها عن العالم ، وفقدتها  
إياها كونها لا تعرف ما هى ولا يتعين لها بل تعرف أن ثم أمراً تنفرد به  
عن غيرها على الإجمال وهى وحدانيتها ، ومنها تعرف وحدانية من  
أوجدتها ، إذ لا يعرف الواحد إلا الواحد ، وهى التى أراد القائل بقوله :  
وفى كل شىء له آية تدلُّ على أنه واحد

يشير إلى خاصية كل وهى أحديته ، فجعلها علامة على أحدية الأحد  
الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وقوله  
طارحتها أى بكيت مثل بكائها على مثل من بكت هى أيضاً فإن أكثر  
العارفين مانوا بحسرة فقد هذه المعرفة ، التى هى أحديتهم فكلمهم عرفوا  
وحدانيتهم والأحدية لا يعرفها إلا القائل من أهل العناية والتمكين .

طارحتها والشَّجْوُ يمشی بيننا ما إن تبينُ وإنتى لأبين  
يقول بكيت مثل ما بكت غير أنها لما لم تكن من عالم العبارة  
والتفصيل لم تبين ما بها من الشجو للسامعين من طريق الفهوانية وأنا أبنت  
لهم بما أبديت من العبارة والإيماء والاشارة والتعداد في حال البكاء وأخبر  
عما هو الأمر عليه في عينه وقولهم الشجو يمشی بيننا كما قال ابن زهر :

وقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إلى ومنى إليه  
يقول أي طارحتها مطارحة حزن لا مطارحة سرور لأنه عن فقد  
لا وجود .

بي لأعج في حُبِّ رملَةٍ عاج حيث الخيام بها وحيث العين  
يقول : بي حرقة اشتياق من حب دقائق العلوم الكسبية وهي علوم التفصيل  
ولهذا جعلها رملية ، وأضافها إلى عاج من المعالجة ، وهي من باب قوله :  
(ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم) <sup>(١)</sup> ، فهذه  
هي معالجة الأعمال وهو التكسب ، ثم قال : (لأكلوا من فوقهم ومن  
تحت أرجلهم) إشارة إلى هذه المعارف ، فما كان من فوقهم هو بمنزلة  
ما تشبه به العلوم من الأمطار ، وفي المشاهد من البرق ، وفي المناجاة من  
الرعود ، وفي الفناء <sup>(٢)</sup> باحتراقات أعيان الحجب من الصواعق ، وما كان

(١) الآية ٦٦ من سورة المائدة .

(٢) ومعنى الفناء المذكور عند القوم هو شدة المحبة .

من تحتهم بالرمال والحصى وما تحملهم الأرض وتخرج من زهرتها ،  
وكل علم من ذلك بما يناسبه في التشبيه على حسب ما يعرفه من نزل ،  
وقوله : حيث الخيام بها وحيث العين ، يعني المقصورات في الخيام مقامات  
الحجب والغيرة والصدق والعين وما تستره هذه الخيام وتحتوي عليه من  
العلوم ، وكل علم بحسب خيمته ، فإن كان صدقاً فهو جوهر ، وإن خيمة  
فهي عذراء ، ثم نعت هذه العين فقال :

من كل فاتكة اللحاظ مريضة أجفانها لظبي اللحاظ جفون  
يقول : من العلوم التي ترد على أصحاب الخلوات فتمقتلهم في خلواتهم ،  
أى تفنيهم عن ذواتهم بسطانها ونظرها إليهم ، فإن الفتك القتل في خلوة ،  
وقوله : مريضة أى منها أصحاب الخلوات ، والمرض الميل ، ونسبها إلى  
اللاحاظ التي هي المشاهدة ، فيريد أنها علوم مشاهدة وكشف لا علوم إيمان  
وغيب ، لكنها عن تجليات صور ، ولهذا قال : لظبي اللحاظ جفون ،  
أى هي بمنزلة جفون السيف ، فإنه لما ذكر الفتك جاء بآلة القتل ، فجاء  
باللحظ وشبهه بالسيف .

ما زلت أجرع دمعتي من غلّتي  
أخفى الهوى عن عاذلي وأصون<sup>(١)</sup>  
يشير إلى حالة الستر والكتمان ، وهي حالة الملامتية الذين يظهرون  
في كل عالم بحسب المواطن ، وهم رجال هذه الطريقة ، والعذال هم المنكرون

(١) العلة والغليل : حرارة العطش .

على أهل هذه الطريقة أحوالهم لأنهم لا يعرفون جمال من تعشقوا به فإنه غيب لهم وليس عندهم إيمان فإنه يتجلى إلى قلب من شاء من عباده بضرب من ضروب المعرفة ليهيمهم ذلك التجلى فيه ، فتهمون عليهم الشدائد التي تجرى بها الأقدار عليهم ، وسبب إخفائه عن العدول الغيرة عن عرض المحبوب لئلا يقع العاذل في جناب من يستحق التعظيم بما لا يليق بجنابه ، فيفعل ذلك صيافة للمحبوب وإيثاراً لا ضجراً لنفسه من الملايمة التي تعود عليه من ذلك ، فإنه ملئذ بسماع ذكر محبوبه لكن لا يحب أن يجرى عليه في الذكر الألفاظ التي لا ينبغي بجلاله الأقدس ، فهو من باب ( وما قدروا الله حق قدره ) (١) .

حتى إذا صاحَ الغرابُ ببيئتهم

فضحَ الفراقَ صبايةَ المحزونِ

يقول : إن العناية إذا حانت لبعض أهل هذا المقام ، وحيل بينه وبين هذه المناظر التي كانت متجلية له ، وهو ناظر إليها بفترة تلحقه أو وارد إلهي له حكمة بالغة ، ولم يعط الصبر على ذلك أداء هذا الفراق إلى إظهار ما كان يخفيه من رقة الشوق والهوى ، كما اتفق لأبي يزيد لما قال له الحق أخرج إلى خلقى بصفتي ، فعندما خطا خطوة وقام الحجاب صعق ، فإذا النداء ردوا على حبيبي فلا صبر له عني ، والغراب هذا السبب الموجب للفراق ، والصياح من الفهوانية بمنزلة كن .

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

وصلوا السرى قطعوا البرى فليدسهم  
تحت الحمل رنة وأنين<sup>(١)</sup>

لما كان المقصود لا يتحيز ولا يتقيد بالجهات كان الرجوع منه سيراً  
إليه أيضاً ، فلهذا قال : وصلوا السرى ، أى رجوعهم منه إسرائاً أيضاً إليه  
كما ورد في الخبر عن التقاء الأربعة الأملاك من الأربع الجهات ، كل واحد  
يقول بأنه ورد من الحق مع قوله : ( وهو معكم أينما كنتم ) والإسرائ  
والتنفل إنما هو اسم إلهى إلى اسم إلهى ، كما قال تعالى : ( يوم نحشر المتقين  
إلى الرحمن وفداً )<sup>(٢)</sup> ، والملقى إنما هو مع الاسم الشديد البطش السريع  
الحساب القوى ، فلهذا كان حشره إلى الرحمن محل الأمن مما يتقى به ،  
ويحذر بالرحمة التى وسعت كل شىء ، وقوله : قطعوا البرى لقوة سيرهم ،  
والبرة الحلقة التى تكون فى أنف البعير تكون فيها خرمة يقاد بها ، فيقال  
لقوة الجذب للسير تنقسم البرى أو تخزم الأنف ، والتى تكون منها السير  
فى هذا الباب إنما هى مراكب الأعمال ، والبرة : العروة الوثقى التى  
لا انفصام لها ، فهى تخزم الأنوف ولا تنقسم ، وأمانته بأن لها تحت  
الحامل ، وهى مانحة من تكاليفات المجاهدات والأعمال الشاقة ، رنة وأنين  
يريد صوت الزفير ، وحنين القلوب ، والأزيز المسموع من صدورهم

(١) السرى : سير عامة الليل

(٢) الآية ٨٥ من سورة مريم .

عند التلاوة والذكر ، كما قال تعالى : ( لرأيتك خاشعاً متصدعاً من خشية الله ) فوصفها بأنها تضعف عن حمل هذه الأغيار الواردات ، فإن الأنين لا يكون إلا مع الضعف ، والرنة النعمة وكأنها مطابقة لقول المنادى أو الحادى من السامع .

عائنت أسباب المنية عندما أرخوا أزمتهما وشدّ وضمين<sup>(١)</sup> يقول : لما دعيت إلى الرجوع إلى عالم الكون بعد أنسى بتلك العين المقدسة ، والشهود الأقدس الأحدى وجدت من الألم على قرب من التشبيه مثل ما يجده المتعشق عند نزول الموت ومفارقة المألوفات التي كان يتأنس بها فلم يجد أعظم رزية يشبهها بها أعظم من المنية لمن لا يحب المفارقة ، ومعاينة أسباب الموت التي هي كربات وغمراته أعظم من الموت ، فإن الموت لا يحس به إذ لا يبقى هناك من يحس ، فهذا أوقع التشبيه بأسباب الموت لا بالموت وهو مجبور في الرجوع إلى عالم الأكوان ، ولهذا قال : أرخوا أزمتهما ، يقول : ما لي فيها تعمد ، وإتما رجعت بي ما أنا رجعت من ذاتي ، فلم يقل أرخيت أزمتهما لهذا ، ثم قال :

إنَّ الفراقَ مع الغرام لقاتلي صعب الغرام مع اللقَاءِ يَهُونُ  
يقول : إن للغرام في الحب سلطاناً عظيماً يقتلك فيه النحول والهيمان

---

(١) الوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر ، أو لا يكون إلا من جلد ، انتهى قاموس .

والدموع والغليل والأنين والسقام وجميع الآلام التي يوجبه الغرام ،  
ثم يجتمع مع ذلك الفراق ، وهو الغيبة عن مشاهدة المحبوب برجوعه إلى  
كونه مثل ما قال عليه الصلاة والسلام : « ما ابتلى أحد من الأنبياء بمثل  
ما ابتليت به » يشير إلى حاله في الرؤية ، ثم رجوعه إلى خطاب  
أبي جهل وأبي لهب ، فينضاف إلى آلام المحبة ألم البين ، فلذا قال :  
إنه لقاتل ، فلو كانت تكون آلام المحبة التي يعطيها الغرام مع اللقاء ،  
وهو ضرب من الحضور الذي ليس فيه فناء هان عليه ما يجده من حرقة  
الاشتياق مع اللقاء ، وحرقة الشوق أشدّ للمفارقة ، ولهذا ينبغي للعارف  
أن لا يقف إلا مع الذات ، ولا يتعشق باسم دون اسم ، فإنه في كل حال  
مفارق لاسم مواصل لآخر .

ما لي عدولُ في هواها إنها معشوقةٌ حسناء حيثُ تكون

يقول : جميع الهمم والإرادات والتوجهات متعلقة بها من جميع الطالبين  
لكونها مجهولة العين عندهم غير متميزة ، فلماذا قال : إنها معشوقة لكل  
طائفة ، ولا أحد يعذل في هواها ، كما قد علمنا أن النجاة مطلوبة لكل  
نفس ولأهل كل ملة ، فهي محبوبة للجميع غير أنهم لما جهلوا جهلوا  
الطريق الموصل إليها ، فكل ذي نخلة وملة يتخيل أنه على الطريق الموصل  
إليها ، فالتدح الذي يقع بين أهل الملل والنحل إنما هو من جهة الطرق التي  
سلكوها للوصول إليها لا من جهتها ، ولو علم المخطيء طريقها أنه على  
خطأ ما أقام عليه ، فلماذا قال :



ما لي عذول في هواها إنها معشوقة حسناء حيث تكون  
أى حيث يوجد لها مشهد يشهد فيه ، فهم إخوان على سرر متقابلين قد  
نزع ما في صدورهم من غل ، ولما أشبهت الشمس في السعة في التجلي ،  
فكل شخص يرى أنه قد خلا بها ، وهى مع كل واحد من مشاهديها  
بذاتها وقد رفعت الغيرة من قلوبهم عليها والحسد ، فإن كل مصلى يناجى  
ربه من ازدحام بخلاف الحضور القريب الذى إذا كان عند شخص فقد  
شخص آخر فوقعت الغيرة بينهم عليه ، وقام العذول والعذال على طالبيه  
معرفة ومكراً ، والمكر من محب آخر ليزهد فيه هذا فيتمكن هو منه ،  
والمعرفة لكونه تعلق بمحضور يحاط به .

رأى البرق شرقياً فحنَّ إلى السرق \*

ولو لاح غربياً لحن إلى الغرب

يشير إلى رؤية الحق في الخلق والتجلي في الصور فأداه ذلك إلى التعلق  
بالأكوان لما ظهر التجلي فيها ، لأن الشرق موضع الظهور الكونى ،  
ولو وقع التجلي على القلوب وهو تجلى الهوية الذى كنى عنه بالغرب لحن  
أيضاً هذا الحب إلى عالم التنزيه والغيب من حيث ما قد شاهده أيضاً محلاً  
للتجلي في تجل أتزه من تجلى الصور في أفق الشرق ، فحينه أبدأ إنما هو  
لمواطن التجلى من حيث التجلى لا من حيث هى ، وقد أبان عن ذلك في  
البيت الذى بعده وهو قوله :

فإن غرامى بالبريق ، ولحمةٍ وليس غرامى بالأماكن والثرَبِ  
( . - زخار )



يقول: إن غرامى وتهيامى وتعلقى إنما هو بالتجلى الذى هو الملح ،  
والتجلى الذى هو البرق ما هو عن غرامى لمن يتجلى فيه إلا بحكم التبعية  
كالتولع بمنازل الأحبة من حيث هى منازل لهم خاصة لا من حيث منازل ،  
فكنى بالأماكن عن الموطن الغربى ، وكنى بالترب عن الموطن الطبيعى  
الصورى لأنه ذكر الشرق والغرب ، وجعل الشرق لعالم الحس والشهادة  
فهذا ذكر الترب ، وجعل الغرب لعالم الغيب والملكوت فهذا ذكر المكان  
فجاء بالأعم فإن كل ترب مكان وما كل مكان ترباً ، قال تعالى: (ورفعناه  
مكاناً علياً) <sup>(١)</sup> ، وهو خارج عن العناصر لأنه فى السماء الرابعة فلم يستحيل  
عليه اسم المكان .

رَوَتْهُ الصَّبَا عَنْهُمْ حَدِيثًا مُعْتَمَدًا

عن البث عن وجدى عن الحزن عن كرى  
الصبا: الريح الشرقية ، وإلى الشرق كان حنينه لأن من الشرق لاح له  
البرق الذى هو التجلى وكان فى عالم الصور فكان فى باطن تلك الصور  
مطلب للعارف مغيب مبطن فيها وهو الذى أشار إليه بقوله : ولو لاح  
غريباً . قال : فعالم الأنفاس التى هى الريح الشرقية روت لى عما أبطنته تلك  
الصور فى تجليها من علم الهوى حديثاً معنعاً ، يقول خيراً مسنداً عن فلان  
عن فلان وأخذ يذكر الإسناد وهم الرواة التى بهم صح هذا التجلى الغربى  
علماً كما كان الشرقى حالاً فقال عن البث وهى الهموم المتفرقة من أجل

(١) آيآه ٥٧ من سورة مريم .

الصور الكثيرة التي يقع فيها التجلي فله همّ بإزاء كل صورة فلهذا كنى عنه ،  
بالبث عن وجدى وهو ما يجده من هذه الهموم ، يقول : هي ذوق لى ما  
أنا مخبر عن حالة غيرى وعن الحزن يعنى أصعب المحبة وأشقها فإنه مأخوذ  
من الحزن الذى هو الوعر عن كربي ، وهو ما يجده من غليل الهوى  
وحرقاته واصطلامه وزفراته .

عن السكر عن عقلى عن الشوق عن جوى

عن الدمع عن جفنى عن النار عن قلبى

السكر المرتبة الرابعة فى التجليات لأن أولها ذوق ، ثم شرب ، ثم رى ،  
ثم سكر ، وهو الذى يذهب بالعقل ، فلهذا روى عنه لأنه صاحبه والسكر  
يأخذ عن العقل ما عنده ، والعقل يأخذ من الشوق ، ولهذا تزعم الحكماء  
وتقول فى العقول بالشوق وفى نفوس الأفلاك أن حركتها شوقية لطلب  
الكمال عن جوى وهو انفساحها فى مقامات المحبة محصور تحت حيطرة النفس  
كأنحصار الجوى تحت حيطرة فلك القمر الذى يوصف بالتمص والزيادة  
وقبول الفيض النورى ، فلهذا قلنا عنه إنه تحت حيطرة النفس ، ولما ذكر  
الجوى الذى هو إشارة إلى مقام الجو ، ذكر الدمع والجفن فى الجوى بمنزلة  
المطر والسحاب فى الجو ثم ذكر عنصر النار وهو الفلك الأثير فقال : عن  
النار عن قلبى ، هو الروح الخارج من تجويف القلب ، يقول : فأخبر هؤلاء  
الرواة الثقة الأثبات أن مثال من همتم فيه ثاو بين ضلوعكم فقال :  
يأن الذى تهواه بين ضلوعكم تقلبه الأنفاس جنباً إلى جنب

يقول : من شفقة الحب على محبوبه الممثل في خلقه يتخيل أن نيران  
الأشواق القائمة به تؤثر في ذلك المثل الذي خلقه منه فتحن عليه شفقا  
لتحول بينه وبين النار فاهذا ذكره بالضلع بالإنشاء الذي فيها ، كما قد  
ذكرنا في قصيدة لنا في هذا الكتاب ، فقلنا :

\* من حذر عليه شراسفا \*

أى : أطراف الضلع كانت محنية من أجل المحبوب لتضمنه عناقا وحذرا  
عليه أن يصيبه أذى ، كما قلنا في هذا الباب :

ما خفت إذ ضرمت نار الأسمى في أضلع تحرقك النار  
وقال الآخر :

أودع فؤادى حرقا أو دع      ذانك تؤذى أنت في أضلعي  
وارم سهام الجفن أو كفها      أنت بما ترمى مصاب معي  
موقعها القلب وأنت الذي      مسكته في ذلك الموضع

وأراد بالأنفاس هنا سطوات هيبة التجلي وقصد قلبه هذه السطوات ،  
أى : تؤثر فيه أحوالا مختلفة لاختلافها . وقوله : جنبا إلى جنب ، أى من  
شمال ليمين ومن يمين لشمال ، ولم يقل ظهراً لبطن لثلاث حرقه سبجات الوجه  
أو يهلكه الحجاب ، فجاء بالجنب لأن فيه تجايا لا عن مقابلة وهو انحراف  
كون لأن الرؤية في صورة الكون حصلت .

قلت لها بلغ إليه بأنه هو الموقد النار التي داخل القلب  
الضمير في لها يعود على الصبا ، والضمير في إليه يعود على المعنى الذي

عنه يسكنه يقول: إن الله منجز من المحبوب في النفس هو الذي يقع به العشق  
يقول فهو الذي أوقد نار الشوق والوجد الذي في القلب وما أوقدها إلا  
وقد علم أنه منها في حى دأى أى لا تعدو عليه فلم يبق اعتداء هذه النار  
إلا على المحل ، فلا ذنب للصب في إحراق محل الحب ومسكن المحبوب .  
فإن كان إطفاء فوصل بخار وإن كان إحراق فلا ذنب للصب  
يقول : إذا جاء برد السرور وثلج اليقين فيحجب سلطان هذه السطوات  
لبقاء العين ، فيكون الوصل دائماً ، وإن تركت سطواتها فلا يبقى هناك  
من يعمر هذا المقام ، فلا ذنب على الهالك ، وهذا كلام غلبة الحال كما قال  
صلى الله عليه وسلم وهو يناشد ربه ببدر : « إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد  
بعد اليوم » وما كان ذلك إلا من غلبة الحال عليه ، وأبو بكر رضى الله عنه يسكنه  
يقول إن الله منجز لك ما وعدك فهذا من ذلك الباب ، وهو باب من ملكه  
الحال ، ومن هنا نقول إن الأنبياء قد تملكهم الأحوال مثل هذا سواء .

\*\*\* X

## وقال رضى الله عنه

غادروني بالأثيل والنقا أسكب الدمع وأشكو الحرقاً<sup>(١)</sup>  
لما عين جلساءه من الروحانيات الملكية قد رحلوا عنه جائلين في الفسحات

(١) الأثيل شجر ، واحده أثلة والنقا مقصور كثيب الرمل . الحرق بفتح الحاء  
النار اسم من إحراق .

الذي لا يقيدهم مكان طبيعي وبقى مرتين ، وبهذا الهيكل وتديره مقيد  
به عن الأنفاس في مسارح فرج تلك الاطباق العلى جعل يسكب الدمع بذلك  
ويشكو حرقة الشوق الذي بفؤاده حل به ، والأثيل عبارة عن أصله الطبيعي  
يريد الطبيعة ، والنقا عبارة عن جسمه فإنه أفضل ما انتقى ، فمن هذه  
الطبيعة هذا الجسم الإنساني فإنه أعدل النشآت الطبيعية ، ولذلك قبل  
الصورة الإلهية ، فكفى عنه هنا بالنقا ، وقد يريد بقوله : أسكب الدمع ،  
يقول : تركوني بعالم الطبيعة أبث المعارف المتعلقة بالمنظر العلى لأبناء  
الجنس المحبوسين عن هذه الأذواق العلية ونيل ما ناله الرجال بصدق  
الأحوال وأشكو الحرقا من الحسرة عليهم حيث لم يكن لهم هذا الخبر عياناً  
فيكون من باب الرحمة بالخلق ، والأول أمكن في القصد من الثاني لكن  
الثاني متوجه في حق السامعين ، فإيهام مع الوقت ، ولو كان هذا البيت مفرداً  
لتحقق به هذا الوجه الثاني ، وإنما كان الوجه الأول أمكن من أجل الأبيات  
التي تأتي بعده ، فالأول والثاني للسمع والأول وحده للسمع وزيادة وهي  
معرفة ما بعده .

بأبي من ذُبت فيه كدأ بأبي من مت منه فرقة (١)

يفديه بأبيه الذي هو الروح الكلى الأعلى فإنه أبوه الحقيقي العلوى  
وأمه الطبيعة السفلية ، فيفدى بهذا الأب هذا السر الإلهي النازل عليه الذي

(١) فرق بكسر الراء خاف فرقا بفتحها .

وسعه قلبه وهو المعبر عنه في هذا البيت بمن ونسب الذوبان فيه إلى الكمد يقول إنه في مقام العشق له للاسم الجميل الذي تجلى له فيه ، ثم كرر الفداء له بأبيه فقال بأبي من مت يشير إلى مقام الذوبان أيضاً بالموت ولكن خوفاً من أنوار الهيبة يقول فطر على الذوبان والنفاء عنى بحالة منى وهى العشق وبما اقتضاه ذلك الجمال الأعلى من الهيبة وأن الجمال مهوب معظم محبوب والجلال ليس كذلك فإنه مهوب معظم وليس بمحبوب فإنه من سطوات القهر والجبروت فتفرق منه النفوس ولما اطلع هذا السر الإلهى الذى وسع هذا القلب الشريف على ما أثر فيه من الذوبان ، والموت استيحياً منه حيث لم تنزل معه إليه الألفاف الخفية التى تبقية فقال :

حَمْرَةٌ الْجَمَلَةُ فِي وَجْنَتِهِ وَضَحَ الصَّبْحُ يِنَاغِي الشَّفَقَا<sup>(١)</sup>

فذكر أنه خجل لما ذكرناه ومن أسمائه الحى ، وقد جاء أن الله تعالى يستحى من عبده ذى الشيبة أن يكذبه فيما كذب فيه ، ولما كان هذا التجلى فى الصور المثالية مثل حديث عكرمة عن النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « رأيت ربى فى صورة شاب أمرد عليه حلة من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب وفى رجله نعلان من ذهب<sup>(٢)</sup> » ، وأشبه هذه الأحاديث

(١) الوضح بفتحين الضوء والبياض .

(٢) قال ابن الديبع فى تمييز الطيب من الخبيث حديث رأيت ربى فى صورة شاب أمرد إلخ . ووضوع مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاله التاج السبكي وغيره وقد ذكر الذهبى أنه من رواية حماد عن قتادة عن عكرمة وهو من أنكر ما أتى به حماد بن سلمة .

المشكلة التي ذكرتها العلماء قال الله تعالى : ( وفي أنفسكم أفلا تبصرون <sup>(١)</sup> )  
كما قال الشيخ رحمه الله وتكلمت عليها ، فبتلك الصورة هي المنسوب إليها  
هذه الخجلة فتقبل أيضاً الحمرة من حيث ما هي صورة جسدية والوجنة ، ثم  
أوقع التشبيه في بياض الوجه وحمرة الخجلة في الخلد ، فوضح الصبح الذي  
هو بياضه وحمرة الشفق كأنهما يتحدتان بالسبب الذي أوجب هذا الحياء  
مما طرأ على هذا القلب من هذا التجلي .

قَوْضُ الصَّبْرِ فُطْبُ الْأَسَى وَأَنَا مَا بَيْنَ هَذَيْنِ لَقَا

يقول قوض الصبر أى رفع خيامه ورحل والحزن نزل ومد طنبيه  
وضرب فسطاطه ، يقول : فأداني عدم الصبر ونزول الحزن وما تم ما يقاومه  
إلى الهلاك وأنا ملقى لا حراك بي هالك تحت سلطان الوجد في مقام البوح  
والإفشاء والإعلان بما تنطوى عليه الضلوع من الأسرار الشوقية يقول :  
انتقلت عن الاسم الصبور ، فلم أقدر أن أملك وجدى فظهر في سلطانه ،  
ثم أخذ يقول :

من لبثى من لوجدى دلتى من لحزنى من لصبرٍ عَشَقَا

يقول هل من جامع لما تفرق من همومى من يرثى لما حل بى من لوجدى  
أى ما أحس به من آلام البلوى بالانتقال مع الأسماء والوقوف معها عما  
تعطيه الذات من الثبات من لحزنى ، يقول من لصعوبة هذا الأمر بتسهيله

(١) الآية ٢١ من سورة الذاريات .

من نصبٍ يقول مائل ما له مقيم من ميله عشقا عائق الشدايد تعانق اللام  
للألف مأخوذ من العشقة ، يقول : دلوني على من يأخذ بيدي من مقام  
التفرق فيدلني في عين جمع الجميع والشهود بلا مزيد فإن المزيد حالة تؤذن  
بعدم الكمال .

كما ضنت تباريح الهوى فضح الدمعُ الجوى والأرقا  
يقول كمارمت أن أقوم في مقام الكتمان مما أكنه من الجوى  
والأرق أبت الدموع بانسكابها إلا الإفشاء والبوح ، فإن الوجد أملك  
وهو أبلغ في المحبة من الكتمان ، فإن صاحب الكتمان له سلطان على الحب  
والبأح يغلب عليه سلطان الحب فهو أعشق ولا يحجبك قول الحب القائل :

باح مجنون عامر بهواه وكتمت الهوى فمت بوجدى  
فإذا كان في القيامة نودي من قتيل الهوى تقدمت وحدي  
فإن هذا القائل لم يتمكن منه الحب تمكن من لم يترك فيه سلطان غيره  
فإن الذي حجب الحب عن ظهور سلطانه أقوى منه ، فكان عقله أغلب  
ولا خير في حب يدبر بالعقل ، بل أحكام المحبة تناقض تدبير العقول .

فإذا قلت هبوا لي نظرة قيل ما تمنع إلا شفقا  
يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لأحرقن سجات وجهه  
ما أدركه بصره » ، فكان إرسال الحجب بين السجات وبين الخلق رحمة  
بهم وإشفاقاً على وجودهم فإن قيل فقد وعد بالرؤية في دار الآخرة فكيف  
يكون البقاء هناك ولا فرق بين الدارين من كونهما مخلوقتين وممكنين قلنا



إذا فهمت معنى إضافة السبجات إلى وجهه ، و فرقت بين هذا القول وقوله  
ترون ربكم ، وقوله تعالى : ( وجوه يومئذٍ ناظرةٌ إلى ربِّها ناظرةٌ )<sup>(١)</sup> ،  
فعلق الرؤية بالرب والإحراق بالوجه ، وقوله : ( لا تدركه الأبصار ) يعنى  
الوجه عرفت حينئذٍ الفرق بين الخبيرين وتحققت أن هذا الاعتراض غير  
لازم ويريد أيضاً بقوله هبوا الى نظرة وقوله ما تمنع إلا شفقا لأن الوجد  
وألم الحب والنظر إلى المحبوب يزيد وجداً إلى وجده وحباً إلى حبه  
فكأنه يطلب الزيادة من عذابه فقليل له نحن نشفق عليك لذلك وليس مع الحب  
تدبير فإنه يعنى ويصم والمحجوب صاح فيرفق به من حيث لا يريد المحب :  
ما عسى تغنيك منهم نظرةٌ هي إلا لمحُ برق برقا  
يقول : إن هذه النظرة لا تغنى من الوجد شيئاً فإن مثلها فى الفعل  
بالقلب مثل فعل ماء البحر بالظمان كما ازداد شرباً ازداد عطشاً ، ثم أنك  
لما كنت مركباً وأنت مدبر لمركب ولم تكن بسيطاً لم يتمكن لك دوام  
الرؤية بحكم الاتصال فإنك مطلوب بإقامة ملك بدنك وتديره فلا بد لك من  
الرجوع إليه وإرسال الحجب بينك وبين مطلوبك الذى تيمك وهيمك  
وهيجك بنيران تلك النظرة بذلك التجلى بمنزلة لمحك للبرق إذا برق وهو  
الوقت الذى لا يسمع فيه غير ربك .

لست أنسى إذ حدا العادى بهم يطلب البين ويبغى الأبرقاً  
يقول : لما دعوا من جانب الحق هؤلاء الروحانيات العلى الذين

(١) الآيتان ٢٢ / ٢٣ من سورة القيامة .

كانوا لنا جاساء في الله تعالى ، وحدا بهم داعى الحق إلى العروج إليه كما قال عليه الصلاة والسلام : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون<sup>(١)</sup> » كذلك عند الصبح والمصر ، وقوله يطلب البين يعنى هذا الحادى بهم يطلب الفراق والبعد من عالم الكون بهؤلاء الروحانيات ، وأتى بلفظة البين دون غيره ، لأنه من الأضداد فهو فراق عن كذا فيه انفصال بكذا وهو المقصود ولا يوجد ذلك فى غير لفظه البين ، وقوله ويبغى الأبرقاً . يقول : ويبغى بهم المكان الذى يقع لهم فيه شهود الحق تعالى وسماه الأبرق لما شبه الشهود الذاتى بالبرق لنوره وسرعة زواله كنى عن المكان والحضرة التى يقع فيها هذا الشهود بالأبرق أى المكان الذى يظهر فيه البرق .

نعتت أغربت البين بهم لا رعى الله غراباً نعتاً

كنى بأغربة البين عن الأمور التى خلقتة عن العروج معهم إلى الأبرق وهى ملاحظات وجوده الطبيعى الذى أمر بتدبيره والقيام بسياسته فهو يتشاءم بملكه ويتمنى الانتقال من مقام الملك إلى العبودية التى هى فى الحقيقة ملك الملك ، ثم أخذ يدعو على كل من كان سبباً لفراقه وعن أحبته الماعدين له على ما فى همته بتخلفه عنهم حين درجوا عنه .

(١) روى البخارى ومسلم .

ما غراب البين إلا حملٌ سار بالأحباب نصًّا عُنقاً<sup>(١)</sup>  
يقول ليس غراب البين طائراً يطير بالأحباب وإنما حمولتهم التي  
تحمّلهم عنا هي أغربة البين وهي في الحسن المرآة التي هي الإبل  
وأشباهاها، وفي لطائف الهمم التي ترتحل بالعبد المحقق عن موطن وجوده  
إلى تقريب شهوده، فلو عاينت سير اللطائف الإنسانية على نجائب الهمم  
وهي تخرق سرادقات الغيوب وتقطع مفازات الكيان لرأيت عجباً، ولهذا  
قال العارف: والهمم للوصول أي أنها عليها يوصل إلى المطلوب فإن سيرها  
ينتهي إلى المسكنة التي ينعدم فيها الاسم ويضمحل الرسم.

\* \* \*

حملن على اليعملات الخدورا وأودعن فيها الدمى والبُدورا  
اليعملات هي الإبل التي يعمل عليها، وهي في إشارة هذا القائل القوى  
الإنسانية التي توجهت عليها التكاليف الروحانية والحسية، فهي التي يقع  
عليها العمل، وكنى بالخدور عن الأمور التي كلفوا بها، وهي الأعمال،  
وجعلها خدوراً لأنها تحوى على أسرار من العلوم والمعارف التكليفية،  
كما تحوى الخدور على هؤلاء الحسان المشبهات بالدمى في حسن الصورة،  
والبدور في الكمال والرفعة، فتكون المعارف على حسب ما وقع به التشبيه  
لأن المعارف متنوعة بالذي يريد صاحبها منها عليه يدل بأمر يناسبه من

(١) نصاعنقا . نص كل شيء . انتهاه . العنق . الرقبة . (١)

وجه ما مناسبة لطيفة لدلالة غيبية ، كما قال تعالى : ( مثل نوره كشكاة فيها مصباح ) بشروطه من الزجاجه التنزيه الذي هو الجسم الشفاف الصافي والزيت المضاف إلى الاعتدال الذي لم يؤثر فيه إلا هو ، فيعلم من هذا التشبيه أى نور أراد ، وهكذا جميع الأمور التي يريد العارف أن يوصلها إلى الأفهام ، فينبغي للناظر أن يتحقق ذلك ويمعن النظر فيه جهده ، ولا يبادى الرأي ، فيسرع إليه الخطأ إلا أن يكون هذا الناظر له سلطان على معرفة الخاطر الأول في كل شيء فإنه يقف عنده ، فذلك الذي يعطيه هذا المطلوب بلا شك فلا يخطئ أبداً .

وواعدن قلبي أن يرجعوا وهل تعد الخود إلا غرورا<sup>(١)</sup>  
ينبه في هذا البيت على أن هذه المعارف التي ذكرها هي من المعارف التي في طيها مكر خفي نَبَّه على ذلك بقوله : وهل تعد الخود إلا غروراً ؟ ليطمئن العارف على عودها عليه أو أمثالها بمجرد ما وعدت ربما يحمله ذلك على عدم الاستعداد الذي يخلقه الله تعالى به لتلقيها فيكون ممن يتبع شهواته ويتمنى على الله الأمانى ، فينبغي للعارف أن لا يفتر ، وأن يكون قائماً على قدم طلب المزيد كما قال لنبيه عليه الصلاة والسلام (وقل رب زدني علماً)<sup>(٢)</sup> .

وحيت بُعْنَـابها للوداع فأدرت دموعاً تهيج السعيرا  
يقول : هذه النكته الإلهية التي ذكرنا أنها من باب الممكن إنما كانت

(١) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة .

(٢) من الآية ١١٤ من سورة طه .

لما كان يناها من باب الاكتساب لا من باب الوهب أحدث فيها العمل  
الكوني تغيراً كنى عنه بلون العناب يشير إلى أنميتها كأنه توحيد فيه  
ضرب من الاشتراك ، ولكن مع هذا كله فإقامتها في القلب أحسن من  
رحيلها ، فإنها عاصمة للعارف ما دامت قائمة به ، ولهذا أحس به العارف عند  
وداعها ورحيلها بألم الفراق فبكى وأحرقته نار الاشتياق إليها ، وقد يريد  
بقوله : فأدرت دموعاً ، أى أرسلت هذه النكتة في القلب علوماً من علوم  
المشاهدة تؤثر في القلب اشتياقاً شديداً واصطلاماً ، ثم قال :

فلما تواتت وقد يمتت تريد الخورنق ثم السديرا  
يريد رجوعها إلى الأصل الذي منه انبعثت ، والصدد الذي منه  
صدرت ، فكنى عنها بالخورنق والسدير ، والخورنق قصر بأرض الكوفة  
والسدير أرض .

دعوت ثبورا على إثرهم فردت وقالت أتمدعوا ثبوراً  
فلا تدعوا ون بها واحداً ولكننا أمدعوا ثبوراً كثيراً  
يقول : دعوت بالهلاك على عالم التقييد والتركيب الذي مسكنى عنه  
استصحاب هذه العلوم الإلهية والأسرار العلية التي هي مشهد العالم البسيط  
على الدوام ، وقوله : فردت وقالت أتمدعوا ثبوراً ؟ تقول له : يا محبوب  
لِمَ لم تر وجه الحق في كل شيء في ظلمة ونور ومركب وبسيط ولطيف  
وكثيف حتى لا تحس بألم الفراق وتغيب عين المطلوب عنك في كل شيء ، فإذا  
ولا بد وقد دعوت بالهلاك على عالم التركيبي بهذا الحجاب الذي قام عندك .

فلا تدعون بها واحداً ولكننا أدع ثبوراً كثيراً

يقول : ما هو مخصوص بهذا المقام وحده بالحجوب عن الأمر الكلي السارى في جميع الموجودات ، ففي كل مقام يقام لا بُدَّ لك من مفارقة ذلك المقام وأنت غائب عن صورة الحق منه ، فلا بد لك من الألم وتخييل أنه فارقك وما فارقك ، وإنما وقوفك معك حجبتك عما ذكرناه ، فلهذا أدع ثبوراً ، فالتكثير من جهة العدد لتعدد المقامات وتقييداتها .

ألا يا حمامَ الأراكِ قليلاً فما زادك البينُ إلا هديراً

بخطب واردات التقديس والرضى ، ويلوح لبعض واردات المشاهدات فإن الأراك شجر يستاك به ، يقول : ترفق علىَّ يا وارد التقديس فإن المحل الضعيف يضعف عن أن بنال الطهارة إلا بالاستدراج ، ولهذا كان مرضاة الرب من الزينة والإصلاح وهو موضع الرفق ، ولهذا قال له قليلاً ، وقوله : فما زادك البينُ إلا هديراً ، يقول : أيها الوارد لما لم يكن لك وجود عيني إلا بى وفي وأنا مشغول عنك بما قيدت به من عالم الظلمة والطبع ، فلذلك صرت تصيح من أجل الفراق لذهاب عينك .

وَنَوْحُكَ يَا أَيُّهَا الْجَمَامُ يَشِيرُ الْمَشُوقُ يُهَيِّجُ الْغَيُورَا

يقول : وأنت إذا كنت في عالم التقديس والرضى والمشاهدة وأنت بهذه المثابة من البكاء على فقد هذا المحل الطبيعي الكثيف الظلماني ، فنحن أعظم بكاء منك طلباً للتنزه في الفسحات العلى ، وهو قوله : يثير المشوق يهيج الغيور ، والغيرة من رؤية الأغيار ، وإلا من عاين الحق

في كل شيء لا غيرة عنده ، فإنه ما رأى في كل شيء إلا وجهه والحق واحد ، ولكن لا يحق تنوع في صور التجليات على حسب ما تعطيه المقامات والأحوال ، فمن هنا يظهر لسان الغيرة<sup>(١)</sup> في جناب الحق ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « إن سعداً لغيور وإني أغير منه والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش » وهنا نكت وأسرار إلهية غاب عنها أكثر العارفين ، فلا يمكننا كشفها لإخواننا إلا مشافهة .

يذيب الفؤاد يذود الرقاد يضاعفُ أشواقنا والزفيرا  
يقول : دع واردات التقديس والرضى التي ذكرناها ، تذيب الفؤاد ترده سيالا وتمنع الرقاد فصاحبها يألف السهر ، وقوله : يضاعفُ أشواقنا والزفير زيادة الأشواق إنما تقع من مشاهدة زيادات الحسن في المشهود في نظر العين عند الشهود ، والزفير صوت النار ، يقول عن غلبة الاصطلام الوارد على القلوب أنها متضاعفة .

يحوم الحمام لنوح الحمام فيسأل منه البقاء يسيرا<sup>(٢)</sup>  
يقول : يحوم الحمام الذي هو مقام انفصال اللطيفة الانسانية عن تدبير هذا الهيكل الظلماني من أجل ما أسمته واردات التقديس والرضى والمشاهدة من اللطائف الإلهية والعلوم الربانية ، وقوله : فيسأل منه البقاء

(١) هذه حالة من الأحوال تعترى السالك ثم يتخطاها.

(٢) الحمام : بكسر الحاء الموت .

يسيراً ، يريد قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الأخوين اللذين مات  
أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة ، فذكر فضل الأول منهما عند رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام في حق الثاني : وما يدرىكم  
ما بلغت به صلاته ، واستحباب طول العمر في الإسلام مشروع وحديث  
الستة الشيوخ الذين قُدموا للموت ، فكل واحد منهم آثر صاحبه بحياة  
ساعة ليدكر الله فيها فيرقى مقاماً لم يكن عنده ، وهذا الباب فيه إشكال  
عظيم يحتاج إلى تفاصيل ، فلهذا قال : فليسأل منه البقاء يسيراً ، ثم قال بعد  
ذلك ما يدل على ما ذكرناه ، وهو قوله : X

عسى نفحة من صبا حاجر تسوق إلينا سحاباً مطيراً  
الحاجر هنا حجاب العزة الأسمى المحجوب عن الكون أن يناله ذوقاً  
لكن تهب منه نفحات على قلوب العارفين بضرب من التعشق ، ولهذا  
وصفه بالميل الذي هو الصبا ، وطلب أن ينال من تلك النفحات الغربية  
نسمة ونفحة تهب من ذلك الجناب العالی الأسمى فيسوق بها إلى هذا  
القلب المتعطش سحاب المعارف والعلوم الربانية الأقدسية من باب ليس كمثل  
شيء فيمطر على هذا القلب ، فینبت فيه من ربيع الحكم ما تنطق به الألسنة  
الفهوانية ، ومن ربيع الأخلاق الإلهية ما يزيد ترقياً فوق ترقيه فإنه متعطش  
لهذا المورد ، ولهذا قال :

تُرَوَّى بها أنفساً قد ظمئن فما ازداد سحباك إلا نفورا

( ٦ - ذخائر )



يقول : تروى بذلك أنفساً ظامية عاطشة من قوله تعالى لنبيه عليه  
الصلوة والسلام : ( وقل رب زدنى علماً )<sup>(١)</sup> ، ثم أخبر بعدم الإجابة له  
فما سأل لما يجب من تعظيم المقام من العزة والمنع والعلو عن منازل الكون له  
والإحاطة ، يقول : لو نيل ، ما كان حى ولا اتصف بالحجب الذى هو  
المنع ، وأما نسبة النفور إلى هذا السحاب فهو مثل قوله تعالى : ( ليس  
كمثلته شيء )<sup>(٢)</sup> أى كل ما تصور فى وهمك أو حاك فى صدرك أو دلّ  
عليه عقلك ، فالله بخلاف ذلك فإنه ليس كمثلته شيء مع كونه هو السميع  
البصير ، فلا بدّ من هذه الأسماء والكنيات والمعارف ، ومع هذا فلا بدّ  
من ليس كمثلته شيء ولو وقع الاشتراك فى إطلاق العبارات ، لكن ما ثم  
أحد يجمعها أصلاً لعلو المقام ونزاهته ، ولما رأى أن هذا ، مثال المحجوب ،  
بحال عاد إلى شكله وجنح إلى مثله فقال :

فيا راعىَ النجمِ كُنْ لى نديماً      ويا ساهرَ البرقِ كُنْ لى سميراً

راعى النجم هو حفظ ما تحمله العلوم فى تعلقاتها على اختلاف ضروبها ،  
واتخذ رعاة النجوم ندماء لذلك ، فإن المنادمة حالها ضرب الأمثال  
وإيراد الحكايات والأخبار والنوادر والأشعار بين النديمين ، ثم قال :  
ويا ساهر البرق ، الذى هو المشهد الذاتى يخاطب طالبة ، يقول : مطلبنا

(١) من الآية ١١٤ - سورة طه .

(٢) من الآية ١١ - سورة الشورى .

واحد فكن لي سميرا من المسامرة الذي هو الحديث بالليل ، والليل غيب ،  
والذات غيب عن الكون ودليلها الهوى ، فيقول له : أنت سميرى من  
حيث أن مقامنا واحد ، فتفهم عنى ما أريد ، كما أفهم عنك ما تريد ،  
فتحن سكوت والهوى يتكلم ، ثم نظر إلى ما هما فيه من تعب الخاطر  
في نيل ما لا يسع الكون حمله ، فأخذ يخاطب أهل الغفلة عن هذا المقام ،  
وأهل الفناء فيه عنه .

أيا راقد الليل هُنْتُه فقبل المات عمرت القبورا  
فخطأ أهل الغفلة من هذا البيت اشتغالهم بالأكوان وملازمتهم لهذه  
السدف الطبيعية الشهوانية بالتمتع والذات وحظ أهل اللقاء الذين ذكروا  
من هذا البيت ، يقول يا من اختطف عنه هذا المقام فبقى فيه شبه النائم في  
الليل هُنْتُه أى هُنْتُ هذا الرقاد الذي هو فناؤك بضرب من الراحة واللذة  
وقوله فقبل المات أى قبل انفصالك عن هذا الجسد الانفصال التام قد  
اتصفت بتلك الحالة مع تعلق التدبير فيه منك فإنك في حالة فناء لا موت  
فلا بد من الرجوع ، ولكن الحال ما يعطى إلا مخاطبة أصحاب الغفلات  
وأما قوله :

فلو كنت تهوى الفتاة العروبا لنلت النعيم بها والسرورا  
يخاطب هذا الراقد يقول له لو تعشقت بهذه الفتاة الحسنة التي هي  
الصورة الذاتية التي هي مطلب العارفين لنلت النعيم بها والسرورا يريد  
بسببها أى وإنها إن لم تحصل فإن تجليها إليك يتضح لذلك التجلى كل ما في

ملكك فيظهر جميع ملكك لك بتلك الصورة الذاتية فلولا تجليها  
ما اكتسبت المملكة هذه الصورة الحسنة فالنعيم بجميع الملك للمشاهد مع  
هذا التجلي نعيم بالذات في صورة الملك ، لأن الذات تضيء ولا يلتذ  
إلا بالمواد .

تُعاطى الحسانَ خمور الخمر تناجى الشمس تناغى البدورا  
يقول هذه الصورة التي اكتسبت حسن الصورة الذاتية بالتجلى الذى  
ذكرناه ، تعاطيك بالغنج<sup>(١)</sup> والحديث ما يعطيك الخمر من الطرب والسرور  
واللذة ، ولما كان المشهد ذاتياً لذلك قال تناجى الشمس تناغى البدورا  
فإن الشارع شبه الرؤية في الدار الآخرة بالشمس والقمر ، فقال: ترون ربكم  
كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ، وجعل المناجاة للشمس إفصاح  
وإيضاح وبيان في الحديث ، لأنه نهار ، ونسب المناجاة للبدر لأنه نور  
الليل وهو إجمال لا تفصيل وبيان ومحل رمز ، فإن المناجاة الغالب في  
استعمالها للطيور ، فلهذا جعل المناجاة للبدور .

\*\*\* ✂

وقال رضى الله عنه

يا حادى العيس لاتعجل بها وقفاً فإننى زمنٌ فى أثرها غادى  
يقول : الروح الإلهى الناطق من الإنسان للأمور بتدبير هذا البدن  
للداعى من جانب الحق الذى كنى عنه بالحادى والعيس المهمم يقول له  
لاتعجل بسيرها يريد حتى تنظر بأى حقيقة إلهية ذاتية تعقلها ، وأمره

(١) الغنج : ذل المرأة وغزلها .

١ بالوقوف على التوكيد فثناه كما قال الحجاج : يا حارس اضربا عنقه ، أراد  
اضرب اضرب مرتين للتوكيد فثناه ، وقوله فإنني زمن في أثرها غادى  
نسب الزمانة له لوقوفه مع هذا البدن وارتباطه به إلى الأجل المسمى وقوله  
في أثرها يريد في أثر الهمم وغادى يقول رأمح عند حلول الأجل المسمى بمفارقة  
هذا البدن الذي أورثني الزمانة وأ أكد هذا المعنى .

قف بالمطايا وشمّر من أزمته بالله بالوجد والتبريح يا حادى  
كنى عن الهمم بالمطايا وشمّر من أزمته يقول أمسكها عن التقوّد إلى  
مطلوبها حتى أكون فيها على قدم محقق ، ثم أقسم على الحادى الذى هو  
الداعى إلى الحق بالله إشارة إلى المرتبة ، فأقسم بها لأن الداعى خديمها  
فيقف عند هذا القسم ، ولم يخص له اسماً لئلا يكون وقوفه بحسب ما يعطيه  
ذلك الاسم أو انتهاء منه من غير وقوف والذى أقسم به أمر جامع فلا يقدر  
هذا الداعى أن يحكم على الاسم الجامع بأمر معين فلا بد له من الوقوف  
إبراراً للقسم لا للمقسم ، ثم أقسم عليه بالوجد ليحصل في نفسه شفقة عليه  
فيكون وقوفه بضرب من الرحمة والشفقة ، وقوله والتبريح أقسم أيضاً بما  
ظهر لك من حالى وتحققتة ، ثم ذكر أيضاً المانع من رحلته حيث  
تروح هممه .

نفسى تريد ولكن لا تساعدنى رجلى فمن لى بإشفاق وإسعاد  
شبه نفسه في تقييده بهذا البدن ومنع هذا التقييد له من معارجه حيث  
يريد الحركة ، فالإرادة منه موجودة والآلة التى يبلغها المطلوب غير مساعدة

ثم قال : فمن لى بإشفاق يريد بصاحب الإشفاق مساعد لى على ما أريده من مفارقة هذا العالم الخسيس محل الحجاب والظلمة وطمس الأنوار والعمى والذى أشار إليه المشفق المساعد هو القدر يقول من لى بمساعدة القدر شفقة منه على لى لما أنا فيه من الغم والكرب وحكم الكيف والكم ، ثم أخذ يعزى نفسه ويقول :

ما يفعل الصنَّعُ النحرير في شغلٍ  
آلاته أذنت فيه بإفساد

كنى بالصنَّع عن نفسه والصنَّع هو الحاذق بالعمل الماهر يقول : ما أفعل وإن كنت قادراً على المفارقة فى أوقات ما يشير إلى زمن الفناء والغيبية فى أوقات الأحوال والواردات الإلهية ، وإن كن ما هو مطلبى إلا الرحلة الكلية ، فإن الجذب الذى يجذبى من عالم الحس فى وقت الفناء قوى وهو الذى عبر عنه بالآلة ، يقول : فذلك الجذب يفسد على شغلى أى ينكر على حال منامى وغيبتى يجذبه لردى إليه فى تدبيره لئلا ينخرم ، وذلك لعلمه بما بقى عندى فى خزانتي من مصالحه وتدبيره الذى أودعنيه الحكيم سبحانه ، ثم قال يخاطب الحادى بقوله :

عرج فى أيمن الوادى خيامهمُ اللهُ درك ما تحويه يا وادى

يقول للحادى عرج بالهمم إلى أيمن الوادى يشير إلى المراد بالطود الأيمن بالوادى المقدس حالة التكليم والمناجاة بفنون العلوم وقوله خيامهم يقول : منازل هذه الهمم ، يقول : إنها لا تنزل إلا فى العلم بالله لا فى

الله لأنه سبحانه ليس بمحل لنزول شيء فيه ، ولكن غاية الممكن كله العلم بالله فمدار الكل على العلم لا على غيره لأنه ليس بيد الممكن سواء حيث كان ، ثم أخذ يقول لله درك ما تحويه يا وادي يريد من المعارف الإلهية القدسية الموسوية الذي قيل فيها لنبينا صلى الله عليه وسلم (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) <sup>(١)</sup> وقوله : (فسالت أودية بقدرها) <sup>(٢)</sup> ، ثم أخذ يقول في نعت هذه المعارف والههم :

جمعتَ قومًا همُ نفسى وهم نفسى

وهم سوادُ سويدا خلبُ أ كبادى <sup>(٣)</sup>

يخاطب الوادي يقول : جمعت قومًا يريد ما فيه من المعارف والههم هم نفسى يريد الههم وهم نفسى يريد المعارف وهم سواد سويدا خلب أ كبادى يريد الههم فإن انبعاثاتها من سويدا القلب ، يقول وأنا وإن لم أحظ بحلولى فيك لألتذ بما تحويه وأتنزه ، فإن حلول همى فيك كحلولى لأنها منى وإلى تعزية لنفسه بذلك لما يجده من الشوق إلى المفارقة واللحوق بالعالم الأقدس ، ثم أخذ يعرض بحاله وهيمانه في ذلك فقال :

لادر درّ الهوى إن لم أمت كمدًا بحاجرٍ أو بسلمٍ أو بأجباد

(١) من الآية ٤٦ - سورة القصص .

(٢) من الآية ١٧ - سورة الرعد .

(٣) الخلب بالكسر : احيمة رقيقة تصل بين الاضلاع ، أو حجاب الكبد .

يقول أنا أدعى الهوى والهوى سبب مهلك إذا أفرط أدى، إلى الرحلة  
هن هذا الوطن كما اتفق فيما حكى عن جماعة من المحبين أن محبوبه قال له :  
إن كنت تحبني فمت فوق من حينه في الأرض بين يديه ميتاً ، فأخذ يدعو  
على هواه في هذا العالم الأقدس لا كان هذا الذي لا يميتني كمداً وشوقاً بحاجر  
اللحوق بالبرزخ إذ هو الحاجز بين الشئيين أو بسلم ، يقول : إن لم أمت  
كمداً بسبب حب اللحوق بعالم البرزخ ، فأجرد عن هذا الهيكل الذي  
طال حسى فيه بالحجاب أو بسلم أو بسبب مقام مشرف على المقام الحمدي  
فإن المقام الحمدي ممنوع الدخول فيه ، وغاية معرفتنا به النظر إليه كما ينظر  
في الجنة إلى عليين كنظرنا إلى الكواكب في السماء ، فإن سلعا جبل  
بذي الحليفة يشرف على المدينة فكفى عنها بالمقام الحمدي لأقامة محمد فيها ،  
فأشار إلى رتبته ومرتبته أو بأجياد جبل مشرف بالحرم المكي على البيت ،  
يقول : أو بسبب مقام إلهي يغنيني عن كل كون فلا كان هوى لا يلحقني  
بهذه المراتب الثلاث أو بمكان منها

\*\*\*

وقال :

قف بالنازل واندب الأطلالا وسل الربوع الدارسات سؤالا  
يقول : قف بي لداعي الحق من قلبه بالنازل يريد المقامات التي ينزلها  
العارفون بالله في سيرهم إلى مالا يتناهى من علمهم بمعبودهم ، وقوله :  
واندب الأطلالا وابك على ما بقي فيها من آثارهم حيث لم يكن لي معهم  
قدم فيما نزلوا فيه ، ثم يقول : وسل الربوع يعنى المنازل إن لم تروعنا فيها

للنازلين حتى تخبرك المنازل عنهم بما كانوا عليه معها من الآداب وسنى الأحوال ليكون لك بذلك تأديب ومعرفة وسمًاها دارسات لتغيرها عن الحال التي كانت عليه حين نزولها ، فإن المنازل بعد فراق النازلين يذهب الأُنس بها لذهابهم ، إذ لا وجود لها من كونها منازل إلا بهم ، ثم ذكر السؤال ما هو ؟ فقال :

أين الأُحبة أين سارت عيسهم هاتيك تقطع في اليباب الآلا

يقول : أين درجوا وأين سارت بهم همهمم التي كنى عنها بالعيس ؟ فأجابته بقولها : هاتيك ، أى انظر إليهم يسرون في مقام التجريد الذى كنى عنه باليباب ، وهو القفر يقطعون فيه الدلائل على مطلوبهم ، فإنها مرتبطة بوجود المطلوب عندهم كما قال تعالى : ( ووجد الله عنده )<sup>(١)</sup> ثم شبهها فقال :

مثل الحدائق في السراب تراهم الآل يعظم في العيون الآلا

يقول : انظر إليهم في السراب مثل الحدائق جمع حديقة ، وقد أورثهم دخول هذا المقام حال العظمة وهو الآلا الأول والآلا الثانى هو شخص الماشى في السراب بهذا الشرط ، وسبب عظمه كونه دليلاً فيعظم لدلالته على عظيم الذى هو مطلوبه ، ولذا قال : حتى يعظم يعنى مالم يكن وهو أنت

(١) من الآية ٣٩ - سورة النور .



ويبقى من لم يزل وهو هو ، وقال تعالى : ( كسر اب بِقِيَعَة )<sup>(١)</sup> مقام التواضع حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فدل على شيء ، وهو قوله تعالى : ( ووجد الله عنده )<sup>(٢)</sup> لانقطاع الأسباب عنه ، وهو مقام شريف ، فلماذا قال : الآل يعظم في العيون ألا ، أي أن العظمة التي كانت للإنسان على غيره من الممكنات لأنه أقوى في الدلالة على الحق لكونه على النشاء الأكمل ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « إنه مخلوق على صورة الرحمن »<sup>(٣)</sup> ، فلماذا كان أقرب الأدلة وأقواها وأعظمها ، ثم أخذ يذكر ما قصد الأجابة بسيرهم .

ساروا يريدون العذيب ليشربوا ماء به مثل الحياة زُلالاً

يقول : ساروا طالبين سر الحياة بمقام الصفا من عين الجود لتتحيا بذلك نفوسهم فكفى عنه بالشرب وهو ثاني مرتبة من مقام التجلي ، فإن الذوق أول مبادئ التجلي ، ثم أخذ يصف حاله في طلبه آثارهم ، والتفحص عن أخبارهم .

(٢٠١) من الآية ٣٩ من سورة النور .

(٣) الثابت في الصحيح : « خاق الله آدم على صورته ، وطوله ستون ذراعاً » أي على صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته إلى موته لم تتفاوت قامته ، ولم تتغير هيئته بخلاف بنيه ، وروى « على صورة الرحمن » والمراد بالصورة الصفة ، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء .

فقفت أسأل عنهم ریح الصبا هل خيموا أو استظلوا الضالاً (١)  
يقول : فتبعته آثارهم أتفحص أخبارهم من ریح الصبا ، وهو الریح  
الشرقية يريد عالم الأفاس الذين كانوا بعین التجلی ، يقول : أسأل هؤلاء  
أصحابنا : هل نزلوا مستظليين بما كسبوا أو استظلوا بما وهبوا ؟ فإن الخيام  
من عمائمهم ، والضال ما لهم فيه تعمل ، وقصد الضال دون غيره لأن فيه معنى  
الحيرة ، ثم أخذ يذكر ما أجابته ریح الصبا عنهم فقال :

قالت تركت على زرود قبابهم والعيس تشكو من سراها كلالا  
قد أسدلوا فوق القباب مضارباً يسترن من حرّ الهجير جمالا

يقول : قالت حين سألتها عنهم : تركتهم نازلين في قبابهم يشير أنهم  
في ظل كسبهم على حالة التزلزل وعدم الثبوت فكنتي عن ذلك بزرود رملة  
عظيمة في قفر ، ولما كان الرمل كثيراً ما تنقله الرياح عن حالاته ، وعن  
أما كنه شبه حالة التزلزل وعدم الثبوت على أمر واحد به ، وقوله :

\* والعيس تشكو من سراها ... \*

يعنى من تعلقها ، مطلوبها ، كلالا أى إعياء والعياء الذى ينسب إليها  
من كونها تطلب من لا ينضبط ولا يتصور ، ولا يحصل فى النفس منه  
إلا آثاره لا هو ثم أخذ ينبه على قوله : لأحرق سبجات وجهه ما أدركه

(١) الضال من السدر ما كان عذبا واحده : ضالة .

بصره لكن جعل الحجاب عليهم وفي حقهم لا على الوجه ، فقال : إن  
سطوات أنوار هذا المقام إن لم تكن على وجوههم أى حقائقهم ، فإن  
وجه الشيء حقيقته ما يسترها وإلا ذهب هذا النور بمحاسنهم ، كما تغير  
الشمس محاسن الوجوه في المعتاد ، ثم أخذ يحثه على الرحيل خلفهم وما يفعله  
إذا لقيهم فقال :

فانهض إليهم طالباً آثارهم وارفل بعيسك نحوهم إرفالا<sup>(١)</sup>

يقول : تأدب مع المتقدم عليك ولا تزاحمه في مقامه ، فإنه ليس لك فيه  
شيء يريد بذلك مقامات الأنبياء عليهم السلام ، وهم العارفون المذكورون  
في هذه القطعة الذين كنى عنهم بالأحبة ، يقول : فاطلب آثارهم ، أى اقتف  
على مدرجتهم وزاحمهم بالهمة التي كنى عنها بالعيس لا بالحال ، فإن الحال  
محبوب في هذا المقام على غير النبي صلى الله عليه وسلم . وقد حكى عن  
أبي يزيد وغيره في هذا المقام حكايات معروفة ، فإنه فتح له من مقام النبي  
صلى الله عليه وسلم قدر خرم الإبرة تجلياً لا دخولاً فاحترق ، ومثل هذا  
كثير ، والهمة لا تعجز عن الطلب ولا عن التعلق ، ولكن ما كل ما يراد  
ويتعلق به ينال ، فلماذا لا يحجر على تعلق الهمم والفائدة في تعلقها ، وإن  
لم يحصل لصاحبها قدم في ذلك قبل نيل الإشراف على المطلوب والتنزه فيه

(١) الإرفال : ترفل : تبختر . الرفل : الذيل . ورفل : إزاره .

إذا أسبله .

كمن يتنزه فيما هو خارج عنه بجسمه وبصره يدركه كمتفرجنا في زينة الكواكب في السماء ونحن بذواتنا في الأرض ، ولهذا قال :  
فإذا وقفت على معالم حاجر وقطعت أغواراً بها وجبالاً  
يقول : فإذا وقفت على موضع الحجر الذي ذكرناه الحائل بيننا وبين حصولنا فيه بالحال ، وقطعت المواضع الغيبية التي هي الأغوار ، والسبل التي هي الجبال التي يهديننا الحق إليها بعد الجهاد من قوله تعالى : ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا )<sup>(١)</sup> ، يقول : فإذا حصلت هذه الحالات تقرب من المنازل العلية فقال :

قربت منازلهم ولاحت نارهم ناراً قد أشعلت الهوى إشعاعاً  
يقول : قربت منازلهم لك ، وقوله : ولاحت نارهم ، أي المكاره التي اقتحموها حتى أوصلتهم إلى هذه المنازل العلية ، فإن الجنة حفت بالمكاره ، كما ذكر لي بعض المكاشفين بالموصل ، وكان من الصادقين ، أنه رأى معروفا الكرخي رضي الله عنه في وسط النار قاعداً فهاله ذلك ، وما عرف معناه ، فلما ذكره لنا قلت له : تلك النار هي الحمى على منزله الذي رأيت فيه قاعداً ، فمن أراد أن ينال ذلك المنزل الذي هو فيه فليقتحم إلى هذه النار والغمرات فسررته بذلك وعرف أنه الحق ، فهذا هو النار الذي أراد به صاحب هذا القول ، وقوله : قد أشعلت الهوى إشعاعاً ؛ يقول : أضرمت

---

(١) من الآية ٦٩ من سورة العنكبوت .

فى القلب نار الحب لنيل هذا المقام ليكون تأييداً له وقوة على اقتحام  
الشدائد فى نيل المطلوب الذى تعلق به قلبه ، ثم قال :  
فأنخ بها لا يرهبنك أسدها فالإشـتياق يريكها أشبالا  
يقول : حبك الشيء يعنى ويصم ، فلا تقع عينك على ما تخاف منه  
مما يحول الخوف بينك وبين مطلوبك ، ويصم عن سماع ما يتخوف به  
كل طالب فى طريق مطلوبه يقول له : إن كنت صادقاً فى حبك  
فلا يرهبنك ما ترى من الشدائد التى كنى عنها بالأسد ، فإن الصدق  
فى الشوق إلى ذلك يردّها فى عينك بمنزلة الأشبال الذين هم صغار الأسد  
الذين هم لا يخاف منهم ، أى يهون عليك الشدائد والأمور الصعاب ما تجده  
من الشوق إليهم .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

يا طلالاً عند الأثيميلِ دارساً لاعبت فيه خُرُداً أو انسا<sup>(١)</sup>  
كنا قد نزعنا فى شرح هذه القطعة وغيرها منازع مختلفة فى مواضع شتى  
على حسب ما يعطيه السماع فى وارد الوقت ، فالآن أيضاً أقول فيها : إن

(١) الخرود : البكر لم تمس أو الحفرة الطويلة السكوت الخائضة الصوت  
المتسترة ، وتجمع على خرائد ، وخرود - بضم الأول والثانى - الآنسة الجارية  
الطيبة النفس المحبوب قربها وحديثها ، وجمعها أوانس .



السمع أعطى في قوله : يا طللاً عند الأثيل ، الطلل ما بقي من أثر الديار بعد خلوتها عن ساكنيها ، واعلم أن الانسان فيه مناسب من كل شيء في العالم ، فيضاف كل مناسب إلى مناسبه بأظهر وجوهه وتخصسه الحال والوقت والسمع بمناسب ما دون غيره من المناسب إذا كان له مناسبات كثيرة لوجوه كثيرة يطلبها بذاته فأقول : إن الأثيل تصغير الأثل وهو الأصل ، والطلل أثر طبيعي وهو ما بقي فيه من أثره الطبيعي ، فالأثيل هنا الطبيعة التي هي الأصل ، وقوله : دارساً ، يريد متغيراً بما يرد عليه من الأحوال ، فيتغير من حالة إلى حالة ، وإذا تغير إلى حالة ما فقد ذهب أثره من الحالة التي انتقل عنها حتى أعقبها غيرها ، وقوله :

\* لاعبت فيها خرداً أو انسا \*

أراد بأنخرد الحكم الإلهية التي يأنس بأنس الاطلاع عليها قلب العارف ، فهو يتذكر حالته التي كان عليها عند فناءه عن عالم الفناء والذثور ، وقوله : لاعبت فيه ، الضمير يعود على الطلل ، فإنه ما شاهد شيئاً إلا فيه وسببه ، فإنه بالأصل متولد عنه ، فإنه بعد التسوية الطبيعية لم يحصل فيه هذا السر الروحاني الرباني على صورة المزاج وطبع التأليف ساذجاً لا علم له ، ثم أنه بواسطة ما أودع الله في هذا الهيكل من القوى يحصل ما يظهر عليه من العلوم والمعارف كلها الرياضية والطبيعية والإلهية ، فهذا يكون شرف لهذا القلب ، ثم قال :

بالأمسِ كان مؤنساً وضاحكاً واليوم أضحى موحشاً وعابساً

كنى بالأمس عن الزمان الماضي ، يقول : كان فيه بمغيبه وفنائه مع العالم لأعلى عالم البقاء من غير استمرار زمان عن عالم الفناء والإحساس المقيد في عالم الشهادة مؤنساً وضاحكاً في ابتهاج وسرور وغبطة وجبور ، فإنه بمناسبه الروحاني كانت ألفتة في هذا المشهد ، فلما رد في الحالة الثانية التي كنى عنها باليوم إلى حالة إحساسه ومشاهدة عالم الضيق والحرج ، وفراق تلك الفسحات والفرج العلوية والمسارح أخذته الوحشة لتلك الفرقة فصار عبوساً مهموماً ، ثم أخذ يقول :

نأوا ولم أشعرهم فما دروا أن عليهم من ضميري حارسا  
يقول : إن الملا الأعلى الذين كانوا مشهودين له في هذا المقام لما رحلوا وردّ بي إلى شاهدي من تلك الغيبة ، بعث عليهم حارساً ضميري وخواطري وهمي تحرسهم وتبصرهم ، مثل ما يفارق الانسان منزلاً ما بإحساسه وهو حاضر معه بخياله ومثاله في نفسه ، ثم أخذ يصف حالة هذا الضمير فقال :

يتبعهم حيث نأوا وخيموا وقد يكون للطايا سائسا  
يقول : يتبعهم حيث توجهوا في سيرهم في المنازل الالهية ، وخيموا إذا قاموا بمقام ما من مقامات الجمع والوجود لورود الشهود الذي لا تصح معه حركة منه بل له الثبوت في ذلك المشهد ، والمطايا هم السائرون الذين اشتاق

إليهم بالهمة ، وقوله : سائساً يسوسهم أى يؤثر فيهم بالهمة فتكون منهم  
التفاته إليه ، وذلك من صدقه ، فإن الصغير يؤثر في الكبير إذا صادق  
التوجه ، وهذا يظهر كثيراً في المرادين الصادقين مع الشيوخ ، وإن كان  
الشيوخ أعلى ، ولكن صدق التوجه إليهم أثر لهم رحمة بهم ليجزى الله  
الصادقين بصدقهم عاجلاً وهو هذا ، وأجلاً ما يكون في الأخرى لهم ، ثم  
أخذ يصف أحوال السائرين فقال :

حتى إذا حلوا بقفرٍ بلقعٍ وخيموا وافترشوا الطنافساً<sup>(١)</sup>  
يقول : انزلوا بمقام التنزيه وتجريد التوحيد وخيموا ، مثل قوله عليه  
السلام : ( إن الإنسان يوم القيامة في ظل صدقته ) . وافترشوا الطنافساً ،  
هو ما مهد لهم الحق في منازلهم عند ورودهم عليه من عالم الأكران ،  
وما أتمحهم به في ذلك المقام من البر والإكرام ، ثم أخذ يذكر ما أثر  
نزولهم في ذلك المقام عندهم وما ينزل إليهم من عند الحق من الألفاظ  
والتحف والعارف بنزولهم فقال :

عاد بهم روضاً أغنّ يانعاً من بعد ما قد كان قفراً يابساً  
نبه في هذا البيت على أن تجريد التوحيد لا يثبت معه حقيقة زائدة  
على العين أصلاً ، فإذا قاموا في هذا المقام وتحققوا به وعلموا معنى قوله :

(١) قفر بلقع : الخلاء من الأرض. الطنافس جمع طنفسه مثلته الطاء والفاء  
البسط التي لها ضل رقيق أو الثياب .



(ليس كمثل شيء) (١) ردهم إلى توحيد ذواتهم من حيث أحديتهم التي لا شبيه لها من حيث العين في ذاتها ، ثم ذكر قبولها لما يفيضه الحق عليها من الأسرار الإلهية لحقائق الأسماء فشبها بالروضة لكونها جامعة لفنون الأزهار وبين أن ذلك من مقام الفهوانية بقوله أغن جمع بين الكسب والوهب من طريق المشاهدة والكلام ، فكأنه في هذا المقام موسوى ومحمدى على مذهب ابن عباس وأكثر المحققين . ثم أخذ يصف ما يؤثرون هؤلاء في المنازل بنزولهم :

ما نزلوا من منزل إلا حوى من الحسان روضة طواوسا  
يقول إذا نزلوا في منزل فكان ذلك بحسن فنون حالاتهم وأعمالهم  
وخلقهم نزولهم طواوساً لحسنهم واختلاف ألوان لباسهم ، وشبههم بالطيور  
لغلبة الروحانية عليهم ، ولما كانت الطيور متمزجة بين العالم الروحاني المطلق  
من حيث طيرانهم في الجو وسياحتهم في الهوى وبين العالم الجسماني من  
من حيث هيكلهم وتركيبهم ، لذلك أوقع التشبيه بها لأن الأرواح الإنسانية  
المقيدة بهذا الهيكل لم تخلص عنه تخلص الأرواح المسرحة التي لا تقيد لها  
بعالم الأجسام ، لأنها مدبرة بأصل الفطرة والجبلة ، ولا تخلصت أيضاً لأن  
تكون من عالم الجسم فتكون ظلمة مطلقة كثيفة ثقيلة ، تتحرك بغيرها

(١) من الآية ١١ من سورة الشورى .

لا بنفسها فأشبهت الطير بهذا وذلك أنها متولدة بين الظلمة والنور فهي  
ممتزجة فكأنها برزخ بين العالمين النوراني والظلماني ، ثم قال :

ولا نأوا عن منزل إلا حوى من عاشقيهم أرضه نواويسا  
يقول : ولا رحلوا عن منزل إلا حوى من عاشقيهم أى من له تعلق  
بهم من الحقائق التي تجب أن نظهر آثارها فيهم لظهور سلطانهم لهم ، فإن  
المعارف لا وجود لها إلا بالعارفين ، فهي أشد عشقا في وجود العارف بها  
من حيث ما هو عارف بها من شوق العارف إليها ، فإن العارف قد يمكن  
أن يجهل بعض المعارف فلا يتصور منه طلب ولا عشق ، فلماذا وصفها عند  
مفارقة العارفين بالموت فإن النواويس المدافن .

### وقال رضى الله عنه

مرضى من مريضة الأجفان عللاني بذكرها عللاني  
المرض : الليل ، يقول : لما مالت عيون الحضرة المطلوبة للعارفين من  
جانب الحق سبحانه بالرحمة والتلطف إلينا أمالت قلبي بالتعشق إليها ،  
فإنها لما تنزهت جلالاً وعلت قدراً وسمت جبروتاً وكبراً لم يتمكن أن  
تعرف فتحب ، فتنزلت بالألطف الخفية إلى قلوب العارفين بقوله :  
( ووسعني قلب عبدى )<sup>(١)</sup> ضرب من التجلي تعلق القلب عند ذلك ،

(١) سبق الكلام عليه

فكان الحب وكان الميل الدائم ، وهو المرض المحمود ، وقوله : عللاني  
بذكرها ، لما ذكر المرض طلب التعلل ، وما بأيدي الكون منه إلا الذكر  
فإن ضبطه وتحصيله محال ، فطلب ما يجوز له طلبه وهو الذكر كما قال :  
( فاذكروني أذكركم )<sup>(١)</sup> وثني يريد ذكراً بلسان الغيب وذكراً بلسان  
الشهادة ، وكرر التعليل بالتثنية يقول أذكرا لي بذكري له وبذكرة إياي  
وهو حالة فناء العبد عن ذكر ربه بذكرة لذكراه بربه لربه بلسان عبده ، كما  
قال عليه السلام في الرفع من الركوع ، فإن الله قال على لسان عبده : سمع  
الله لمن حمده .

هفت الورق بالرياض وناحت شجو هذا الحمام مما شجاني<sup>(٢)</sup>

يقول : هفت ، تحركت ، وناحت ، نذبت على المقابلة ، والشجو الحزن  
يقول : تحركت الأرواح البرزخية بالرياض ، يريد رياض المعارف ، وناحت  
نذبت نفسها حيث لم تخلص بذاتها لجناب الأرواح المسرحة عن التقييد  
بهذا الهيكل الذاتي فسحات الأطباق العلام مع الملاء الأعلى فقابلت ندباً  
منى ما يناسبها من اللطيفة المترجة ، فأحزنها الذي أحزنتني للمشاكلة التي  
بينهما ؛ ثم قال :

بأبي طفلة لعوب تهادي من بنات الخدور بين الغواني

(١) من الآية ١٥٢ من سورة البقرة .

(٢) الورق : الذئبة والحمامة .

الطفلة : الناعمة ، والإشارة بها إلى الطفولية وهو حدوث عهدها بوجودها للحق لا لنفسها ، واللعب التي يكثر منها اللعب ، يريد أنها متحبية لا هم لها مسرورة لقربها من مشهدها الأقدم ، والغواني ذوات الأرواح وهن بينهم بكر لم يطمئنها أنس قبل هذه المعارف ولا جان أى مستتر ، يقول : ما التذ بها عالم الغيب ولا عالم الشهادة ، الإشارة إلى حكمة علوية الإهية ذاتية أقدسية مشهودة لهذا القائل ليغة تورث السرور والابتهاج والطرب والفرح لمن قامت به فهي اللعوب ، تهادى أراد تهادى بين حكم إلهية ولطائف قد تحقق بها العارفون الذين سبقوا لهذا العارف بالوجود ، وجعلها من بنات الخدور يشير إلى أنها كانت خلف حجاب الصون والحفظ والغيرة في سيرها من الحضرة الإلهية لقلب هذا العارف في المنازل العلوية حتى تصل إليه ؛ وبهذا كنى عن ذلك بالخدور وهي الهوادج ولا تكون الظئينة في ستر الهودج إلا في الرحيل فإذا نزلوا كن مقصورات في الخيام .

طلعت في العيان شمساً فلما أفلت أشرقت بأفق جناني  
يشير إلى قوله عليه السلام : « ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة  
ليس دونها سحاب » ، يقول : طلعت هذه المتغزل فيها في عالم الملك والشهادة  
من الاسم الظاهر الكبير المتعال ، فأعطت في هذا التجلى ما تعطى الشمس  
في عالم الأركان من الأثر المعنوي والحسى ، إلى أن انتهت بالسير نصف

دائرة العالم ، ثم غربت عن الملك والشهادة ، وكان غروبها شروقاً في عالم الغيب والماكوت ، وبذلك كنى عنه بالجنان من الستر ، ولم يكن عنه بالقلب تحرزاً من التقليل والتلوين في هذا المقام ، وذكر الأفق من أجل الاعتدال ، وأن الانسان بما تعطيه نشأته لا يبقى عند نظره على حالة اعتداله إلا بالنظر لما يواجهه من قلبه وهو الأفق ، فمتى رام أن ينظر إلى غير الأفق خرج عن الاعتدال ، فلهذا قال بأفق جناني .

يا طولاً برامةٍ دارساتٍ كم رأيت من كواعبٍ وحسان

أراد بالطول القوى الجثمانيات منه ، وأراد برامة من رام يروم وهي المحاولة ، وهذا هو النداء المنكر ، يقول : أيتها القوى كم تحاولين تحصيل ما لا يمكن تحصيله وأنت محل التفسير والتلوين من حال إلى حال ، فإن الدارس هو المتغير ، ثم أخذ ينبها بما رأيت قبل ذلك مما أفناها وسحقها ومحققا من الحكم الالهية واللطائف والاشارات العلوية ، والكاعب التي صار تديها كالكعب وهو أول شباب الجارية ، والاشارة إلى ثدى هذه الحكمة لأنها تحمل اللبن الذي هو الفطرة مشروب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة معراجهِ وبين تديهِ صلى الله عليه وسلم وجد برد الأنامل فعلم علم الأولين والآخرين من ذلك ، فإن اللبن الذي يحمله الثدى الواحد كنى عنه بعلم الأولين واللبن الذي يحمله الثدى الآخر كنى عنه بعلم الآخرين وبينهما موضع الجمع لتحصيل العلمين يقع بذلك للعالم التمييز إذا

وقع منه الإحساس في ذلك الموضع ، كما قال : « بينهما برزخ لا يبغيان »<sup>(١)</sup>  
لثلا يقع الالتباس ، وأراد بالحسان إشارة إلى أنهما من عين المشاهدة ، فإن  
الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهو مشتق من الحسن .

بأبي ثم بي غزال ريب يرتعى بين أضلعي في أمان  
يقول : أفدى هذا المحبوب المتجلى إلى أبي وبنفسى ، يشير لما يطراً  
عليه لو اتفق حال الفناء فكفى عن هذا المحبوب بالغزال لوجهين :  
الواحد : لاشتقاقه من الغزل وهو التشبيه والمحبة والنسيب .

والوجه الآخر : الوحش الذى يألف القفر ، فكأنه يقول : هذا المعنى المطلوب  
لى مولده ومقامه إنما هو القفر الذى هو مقام التجريد وحال التنزيه  
والتقديس ، أى إذا كان هذا حالى ومقامى ألقه هذا المعنى كما يألف الغزال  
القفر . وقوله ريب ، أى مر بي كأنه يريد أنه نتيجة عن مطلب الهمة ،  
ونظيره فى العمل الصدقة تقع فى يد الرحمن فيريها كما يربى أحدكم فلوله أو  
فصيله ، فكذلك المعانى الإلهية إذا كانت معقولة للهيم حتى يتصور طلبها  
لها فتقبل التربية خلاف ما لا يخطر على القلب فلا يتعلق به الهمة ، وقوله  
يرتعى من الرعى ، والرعى يكسب السمن الذى يحصل منه للمرعى حسناً  
وجالاً ، فكذلك هذا الوارد الإلهى إذا حصل بقلب الأديب زينه وحسنه

(١) الآية ٢٠ من سورة الرحمن .

بالأدب في التلقى ، فإنه لا بد أن يرجع إلى موجدته فيرجع بأحسن صورة  
وهي موارد الأوقات ، وبابها في المعارف واسع ، وقوله : بين أضلعي في  
أمان ، يعني للانحناء الذي في الضلوع فكأنها كالحاوية عليه الخائفة لثلا  
يطرقه شيء كما قد ذكرناه في قصيدة لنا في هذا الكتاب ، وهو قولنا :  
\* فطويت من حذر عليه شراسفا \*  
فلهذا أوجب له الأمان .

ما عليه من نارها فهو نور هكذا النور مُحمِد النيران  
كأن قائلًا قال له : إن هذا المحل الذي جعلته مرعى لغزالك ناري ،  
فقلنا له : ما عليه من ذلك ، فإن النور أقوى في الفعل منه ، وهذه الموارد  
نورانية توردت من حضرة النور فلا شك أن النار الطبيعية التي بين أضلع  
هذا المحب لا تقوى لها ، ولا تنعدم ، فإن المحبة تشعلها وتقويها ، فغاية  
الأمر أن تحمد ، يريد أنه لا أثر لها فيه ، ألا ترى في الحسن كيف يذهب  
نور الشمس نور النار في رأى العين ، وإن كنا نعلم أن لها نوراً ولكن  
اندرج الأضعف في الأقوى في أعيننا فتراها كأنها خامدة وفي نفس الأمر  
على ما هي عليه من الاشتعال .

يا خليلي عرجا بعناني لأرى رسم دارها بعيناني

يخاطب داعييه الذين للحق فيه من عالم غيبه وشهادته . يقول لها : انيا  
بعناني ، يريد الأمر الذي يحكم به ويمشي على الطريق الأقوم لأرى رسم شخص  
دارها ، أي الحضرة التي منها صدرت هذه الحكمة المحبوبة ، أي ببصري

من كونه بصرًا إلا من كونه مقيداً بجراحة ولا بجمه ، فكأنه يطلب مقام  
المشاهدة ، إذ الحكمة ليست مطلوبة إلا من أجل ما تدل عليه .  
ثم قال :

فإذا ما بلغنا الدار حطاً وبها صاحبي فلتبكيان

يقول لهما : إذا وصلتما إلى المنزل فخطابي ، ولا شك أن هذه الحضرة  
تغني كل من وصل إليها وشاهدها ، فإن المشاهدة فناء ليس فيها لذة ، يقول :  
فإذا رأبتاني قد فنيت عن وجودي وعنكما فابكياني لكما لالي لتعطيكما  
بنفائي عما تعطيه حقائكما فإن لم أجد الدار ووجدت الأثر بكيت مثلكما .  
وقوله :

وقفا بي على الطلول قليلا نتباكي بل أبك مما دهاني

يقول : قفا بي إن أجد رسم الدار على آثارها وآثارهم فيها ، ولما شرك  
بينه وبينهما في البكاء وهما اثنان وهو واحد غلب القلة فقال : نتباكي ،  
فإنهما ما فقدتا شيئاً وهو الفاقد فهو الباكي ، فغلب التباكي على البكاء  
من أجلها .

ثم بين مقام انفصاله عنهما ، فأضرب عن التباكي « بيل » ، فقال :  
بل أبك مما دهاني من فقد الأحياء ورسوم المنازل ، ولم يبق بيدي سوى  
الآثار التي هي بقايا الديار .

ثم أخذ يصف حالة تحكم الحب فيه بسطوانه :



الموى راشقى بغير سهام الهوى قاتلى بغير سنان

وصفه بالرشق حالة أثره فيه على البعد وهى حالة الشوق ، ووصفه بالقتل بغير سنان يشير إلى حالة أثره فيه على القرب وهى حالة الاشتياق ، فهو يقول : سواء بعد الحبيب أو قرب فإن أثره فى لازم ، وأمره فى متحكم ، ونفى السهام والسنان المحسوس — بين ، أى : أنا مقتول من مشهد الغيب والملكوت ، لا من جهة الجوارح أى اللحاظ الفاتكة فهى معنوية .  
ثم أخذ يستفهم صاحبيه فقال :

عرفانى إذا بكيت لديها تسعدانى على البكاتسعدانى

يقول لهما : إذا بكيت عندها هل تتبا كيان معى لبكاتى مساعدة أم لا ، أى : تعلمانى من علوم المشاهدة التى عندكما ما يليق بهذا الموطن ، فإن البكاء من العيون ، وهى دموع حارة ، لأنها عن حزن فتكون علوم مجاهدة .

واذكرا لى حديث هندى ولبنى

وسليمى ، وزينب ، وعنان

يقول لهما : عللانى بذكر أمثالى وأشباهى ، ولكن بذكر المحبوبات منهم لا بذكر المحبين لمن إثارة لذكرها على ذكرى وراحة لى بسماع ذكر من يناسبها ، ولهؤلاء المذكورين من المحبوبات حكايات ، وطول ذكرها لا يسع هذا الشرح لها ، وقد أفرد الناس لها أما كن فى كتب الآداب فى

حكايات هند صاحبة بشر ، ولبنى صاحبة قيس بن الدريج ، وعنان جارية الناطقي ، وزينب من صواحب عمر بن أبي ربيعة ، وسليمى جارية في زماننا رأيناها وكان لها محب يهواها .

والإشارة بهند إلى مهبط آدم عليه السلام وما يختص بذلك الموطن من الأسرار ، ولبنى : إشارة إلى اللبانة وهي الحاجة ، وسليمى : حكمة سليمان بلقيسية ، وعنان : علم أحكام الأمور السياسية ، وزينب : انتقال من مقام ولاية إلى مقام نبوة .

والإشارة إلى من كمل من النفوس التي استحققت الأنوثة بحكم الأصالة فإذا كملت لم يبق بينها وبين الرجال إلا درجة الفضل ، ووقع التساوى في درجة الكمال من حيث ما هو كمال ، لا من حيث كمال ما ، كما يقول : ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض )<sup>(١)</sup> ، فمن حيث ما هي رسالة ، فلا فضل ، إذ الاسم يعم هذه الحالة ، ومن حيث ما هي رسالة بأمر ما ، وقع التفاضل .

ثم زيداً من حاجرٍ وزرُودٍ خبيراً عن مراتع الغزلان  
ثم أخذ يطلب منهما بعد ذكر هؤلاء الأشخاص بطريق الإشارة والتنبيه  
للأماكن التي تعمرها هذه الحكم المطلوبة بهذا العاشق ، فقال : زيداً لي في

(١) من الآية ٢٥٣ سورة البقرة .

حديثكما ذكر حاجر ، وهي الأسباب المانعة عن إدراك أى مطلوب كان  
ما حاجرهُ أى مانعه .

وزرود : ضرب من البين ، لكن فيه مجاورة من غير ألفة ، فإن زرود  
رملة ، والرمل يتجاوز ولا يلتف ، ولكن مع هذا فى هذه الأما كن مرعى  
لهؤلاء الغزلان التى هى العلوم الشوارد التى لا تنضبط ولا يتصور بها ،  
فكانه يطلب الحالات التى تحسنها .

واندبانى بشعرِ قيسِ وليلى وبمىِّ والمُبْتَلَى غَيَّـلان

يقول : واندبانى بشعر المحبين مثلى فى عالم الحس والشهادة كقيس وهو  
الشدة وقلم الإيجاد فنبه بقيس عليها ، فإن القيس الشدة فى اللغة ، والقيس  
أيضاً الذكر ، وليلى من الليل ، وهو زمان المعراج والإسراء ، والتنزلات  
الإلهية من العرش الرحمانى بالألطف الخفية إلى السماء الأقرب من القلب  
الأشوق ، وبمى : وهى الخرقاء التى لا تحسن العمل ، ومن لم يحسن العمل  
كان العامل غيره ( والله خلقكم وما تعملون )<sup>(١)</sup> أى ما يظهر على أيديكم  
من الأعمال التى هى مخلوقة لله تعالى . وغيلان هو ذو الرمة ، والرمة الحبل  
العتيق . والحبل السبب الذى طولبنا بالاستمسك به والاعتصام ، ونسبته إلى  
القديم أمر محقق ، فإنه حبل الله وهو القديم الأزلى .

(١) الآية ٩٦ من سورة الصافات .

وذكر الغيلان ، وهو شجر مشوك يتعلق بمن قرب منه ، ويمسكه أن يزول عنه حبا فيه وإيثارا ، وفيه من الراحة كون هذا الشجر مختص بالفيافي التي لا نبات فيها ، المهلكة بقوة رمضائها وحرها ، فليس فيها ظل لسالك إلا هذه الشجرات ، شجرات أم غيلان ، فيجدها في ذلك المقام رحمة فيلقى عليها بثوبه ويستظل فتمسكه بشوكها عن أن تمر به الرياح فينكشف لحر الشمس ، فكذلك ما يجده من الألفاظ الخفية الإلهية في مقام تجريد التوحيد وتنزيه التقديس ، فأوقع التشبيه بالمناسب من هذا الوجه فلهذا سألهما أن يذكر له هؤلاء الأشخاص من المحبين ليجمع بين حال المحبة وعلم حقائق هؤلاء المذكورين لأنهم كانوا محبين ثم قال :

طال شوقي لطفلة ذات نثر ونظام ، ومنبر ، وبيان  
من بنات الملوك من دار فرس من أجل البلاد من أصبهان  
وصف هذه المعرفة الذاتية بأنها ذات نثر ونظام ، وهما عبارتان عن المقيد والمطلق ، فمن حيث الذات وجود مطلق ، ومن حيث المالك مقيد بالملك ، فافهم ما أشرنا إليه في هذا ، فإنه عزيز ما رأينا أحداً نبه عليه قبلنا في كتاب من كتب المعرفة بالله تعالى .

وأما قوله : ومنبر ، يعني درجات الأسماء الحسنى ، والرقى فيها التخلق بها فهي منبر الكون ، والبيان عبارة عن مقام الرسالة لغزنا هذه المعارف كلها خلف حجاب النظم بنت شيخنا العذراء البتول شيخة الحرمين وهي من العالمات المذكورات .

وقوله : من بنات الملوك لزهادتها ، فالزهاد ملوك الأرض ، فستمر ما يريد  
من المعارف بذكر دارها وأصلها ، يشير من بنات الملوك يعني أن هذه المعرفة  
لها وجه بالتمييز ، فإن الملوك من باب الإضافة .

وقوله : من دار فرس ، يقول : وإن كانت عربية من حيث البيان فهي  
فارسية عجماء من حيث الأصل لأنه لا يتمكن في الأصل بيان عزته وتعلق  
العلم به فذكر أصبهان لأنه بلدها من الأصلة فينسب من الحكم إليها على  
قدر ما يعرف من خصائصها كل عارف فهو يرجع للمعارفين بها فقال :

هي بنتُ العراق ، بنتُ إمامي وأنا ضدها ، سليمان يمانى

يقول : العراق أصل الشيء أى هذه المعرفة عن أصل شريف له التقدم  
بما ذكر من الإمامة ، وأنا يمان من حيث الإيمان والحكمة ونفس الرحمن  
ورقة الأفتدة ، وإنما جعله ضداً لما ينسب إلى العراق من الجفا والشدة  
والكفر ، فهو ضد ما ينسب إلى اليمن ، لأن ضد العراق إنما هو المغرب  
لا اليمن وإنما اليمن مقابلة الشام ، فالضد الذى أشار إليه إنما هو ما يناسب  
الشارع إلى الجهتين ، وهى محبوبة فلها الجفا والبعد والغلاظة والقهر وإنما محب  
فمنى النصر والإيمان والرقوة واللطافة استعطافاً لرضى المحبوب واستلطافاً به ،  
ولما كانت هذه المعرفة المخصوصة تصطم العبد عن شهوده وتظهر فيه بضرب  
من القهر والغلبة فتمحو رسومه وتذهب سائر علومه كانت فسبة العراق  
إليها أولى من غيرها من الأماكن .

ثم قال :

هل رأيتم يا سادتي أو سمعتم أن ضدّين قط يجتمعان ؟؟

يقول : الإشارة بالضدين حكاية الجنيد حين عطس رجل بمحضرتة فقال:  
الحمد لله ، فقال الجنيد : أمها رب العالمين ، قال الرجل : ومن العالم حتى  
بذكر مع الله ، فقال الجنيد : الآن يا أخى فقل له فإن المحدث إذا قورن بالتقديم  
لم يبق له أثر ، فإذا كان هو فلا أنت ، وإن كنت أنت فلا هو ، سبجات  
وجبه لو كشفت عنها الحجب لأحرقت ما أدركه بصره .

لو ترانا برامة نعطى أ كؤسا للهوى بغير بنان<sup>(١)</sup>

يقول : لو ترانا في مقام المحاورة تتعاطى أ كؤوس المحبة من قوله : ( يجبههم  
ويحبونه )<sup>(٢)</sup> .

وقوله : بغير بنان ، تنزيه وتقديس وتنبيه على أن الأمر معنوى غيبي  
خارج عن الحس والخيال والصورة والمثال .

والهوى بيننا يسوق حديثاً طيباً مطرباً بغير لسان  
يريد ما أراد القائل بقوله :

تَكَلَّمْنَا فِي الْوَجْهِ عَيْونَنَا فنحن سكوت والهوى يتكلم  
تشير فأدرى ما تقول بطرفها وأطرق طرفي عند ذلك فتعلم  
وقوله طيباً إدرا كان للطعم والشم ، يشير إلى مقام الأرواح والأذواق

(١) البنان : أطراف الاصابع .

(٢) سورة المائدة من الآية ٥٤ .

فأخبر أنه يورث طرباً ، فإن الغالب إنما يسوق الطرب السماع وما يتعلق  
بالفهوانية ، والغرض ما ذكرناه من الشم والذوق فيقع الطرب فيه بالخاصية  
وقوله : بغير لسان ، تنزيه كاليث الأول ، وقوله : يسوق حديثاً ، ولم  
يقبل يقود ، فإن المتكلم خلف كلامه ما هو أمامه فمنه يكون للسامع ، فلهذا  
جعله سوقاً ، وقوله : حديثاً إشارة إلى قوله : ( ما يأتيهم من ذكر من  
ربهم محدث )<sup>(١)</sup> ، والبينية هنا الفرق بين المقامين والحقيقتين لا بينية مكان  
ولا زمان .

لرأيتم ما يذهب العقلُ فيهِ يمنُ والعراقُ معتنقان  
يقول : لو رأيتم هذه الأحوال التي نحن فيها ، لرأيتم مقاماً وراء ظهور  
العقل ، وهو اتحاد صفة القمر بصفة اللطف ، إشارة إلى ما قال أبو سعيد  
الخرازي<sup>(٢)</sup> ، وقيل له : بم عرفت الله ؟ فقال : بجمعه بين الضدين وهو  
الأول والآخِر والظاهر والباطن من وجه واحد لا بد من ذلك خلافاً لما  
تعطيه قوة العقل ، فإن العقل يدل عليه من حيث مبلغه أنه أول من وجه

(١) من الآية ٣ من سورة الأنبياء .

(٢) العارف الكامل أبو سعيد الخراز أحمد بن عيسى من أهل بغداد .  
صحب ذا النون المصري وأبا عبد الله النجاشي وأبا عبيد البصري ، وصحب أيضاً  
سرياً القطي وبشر بن الحارث وغيرهم ، وهو من أئمة الصوفية وجلة مشايخهم  
وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد قيل إنه من أول من تكلم في علم الغناء  
والبقاء ومن كلامه : إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم وله  
مؤلفات عدة منها كتاب الصدق .

كذا وآخر من وجه كذا ، وظاهر من وجه كذا وباطن باعتبار كذا ،  
وليس الأمر كذلك ؛ فإن القوى التي خلق الله الانسان عليها ما تعدى  
حقائقها ، فقوة الشم لا تعطى سوى إدراك العطر والنتن ، وكذلك كل  
قوة ، والعقل أيضاً لا يعطى سوى ما تقتضيه قوته في نظره في دليله لا غير ،  
والسر الرباني يعطى أيضاً ما يليق به وما في قوته فقد يستحيل أمر ما  
بالنسبة إلى العقل ولا يستحيل ذلك بالنسبة إلى الحق ، وهذا المحكوم  
عليه لا بد أن يكون مجهول الحقيقة عند العقل لكن العقل يزعم أنه يعرفه  
وهذا محال ، ومن الدليل على ذلك أيضاً أن العقل لا شك جاهل بحقيقة  
الحق سبحانه غير عارف بذاته من حيث الصفات الثبوتية ، ومع هذا ينفي عنه  
بدليله فيما يزعم أن الحق تعالى لا يكون ظاهراً من الوجه الذي يكون باطناً  
فلا ينبغي أن يتحكم في معرفة الله من حيث الذات بالعقل وحظ العقل معرفة  
كون الحق إلهاً أوجدنا . ونحن مفتقرون إليه في إيجادنا واستمراره  
فاعلم ذلك .

كذب الشاعر الذي قال قبلي وبأحجار عقله قد رمانى  
يقول : كذب العالم من طريق الشعور بالأمر لا من طريق التصريح ،  
فإن العقل يعلم شيئاً من طريق التصريح ويعلم أشياء من طريق الشعور  
أنها مشعور بها ، ولمكن يتوقف فيها لعدم الوضوح لما هي عليه من العزة  
وقوله : بأحجار عقله أى بدلائل عقله بحيث أن يرد ما هو مقدور للحق أو  
( ٨ - ذخائر )



واجب إلى عين هذه الصفة ، فيعترض على ويقول : هذه مخيلة دليل العقل وهو صادق فإن دليل العقل مخيلة لا دليل الحق من إيراد الكبير على الصغير من غير أن يصغر الكبير أو يوسع الضيق ، ثم ضمن في هذه التصيدة هذين البيتين لبعض الشعراء لاجتماعهما في المعنى فقال : يرى ناراً كما رأى موسى عليه السلام :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان  
هي شامية إذا ما استهلت وسهيل إذا استهل يمانى

يقول : الثريا سبعة أنجم وسهيل نجم واحد ظاهر يمني والثريا شامية ، يقول إن الذات لا تقبل الصفات السبعة<sup>(١)</sup> المدلول عليها عند النظر من حيث الزيادة لكن من حيث النسبة ، والشام موضع الكون ، والثريا هي الظاهرة في الشام ، كذلك الصفات من الحق هي الظاهرة في الخلق وعليها تقوم الدلالات والذات لا دخول لها في الخلق كما لا يدخل سهيل في الشام ، فإن قيل فما يصنع بقوله تعالى : « كنت سمعه وبصره » ، فقد دخل ، قلنا : نعم ما قال كنت ذاته وإنما ذكر الصفة فيقول بسمعى يسمع وببصرى<sup>(٢)</sup>

---

(١) يشير إلى صفات المعاني السبعة وأنها ليست بعين ولا بغير الذات كما بين في موضعه من علم الكلام .  
(٢) يعنى أنه يجعل التوفيق حليفه فيما يرضيه ، وأما فيما سواه فكما قال تعالى : ( وإذا مروا باللغو مروا كراما ) .

يبصر كما قال الشارع في الرفع من الركوع ، إن الله قال على لسان عبده  
« سمع الله لمن حمده » ويكفي هذه الإشارة لأصحابنا بل للمنصفين من النظار .

\*\*\*

### وقال رضى الله عنه

أيا روضةً الوادى أجب ربة الحمى  
وذات الثنايا الغرُّ يا روضةً الوادى  
وظللٌ عليها من ظلالك ساعة  
قليلاً إلى أن يستقرَّ بها النادى

الوادى هو الوادى المقدس يريد مقام التقديس ، وكفى بالروضة عن  
الشجرة التي ظهر النور فيها لكم موسى عليه السلام ، وربة الحمى حقيقة  
موسى عليه السلام فهي إشارة للعارف إلى مرتبة موسوية ورثها منه ، والحمى  
يريد مقام العزة التي تمنع ذاته من الوصول إليها ، وقوله : وذات الثنايا الغر  
إشارة إلى إشراق المباسم واختصها بالذكر لأنه في مقام المناجاة ، والكلام  
محلّه الفم وهي صافية من الأقداء والقلوح يريد مقام الصفاء والطهارة ،  
وقوله : أجب فإن الحقيقة الموسوية كانت طالبة ناراً فلذا قيل أجب ، ثم  
خاطب الروضة في البيت الثانى ، فقال :

وظلل عليها من ظلالك ساعة قليلاً إلى أن يستقر بها النادى  
يقول : هذه الروضة هذه ربة الحمى ظلل عليها من أفنان أغصان

معارفك قدما يظل ما هو من جانبها أى أنه يخاطب من خارج بحكم  
الجهة إلى أن يقع الأُنس بذلك وتهيأ المحل للقبول، فيقوم له النداء والخطاب  
من ذاته من غير نظر إلى الأعيان من خارج، واستقرار النادى بها ثبوتها في  
الطمأنينة بذلك وقد بين ما ذكرناه في باقى القصيدة فقال :

وتنصبُ بالأجواز منك خيامها  
فما شئتَ من طلّ غداءٍ لِمُنَادٍ  
وما شئتَ من وبل وما شئتَ من ندى  
سحاب على باناتها رأمح غاد  
وما شئتَ من ظل ظليل ومن جنى  
شهى لدى الجانى يَميسُ بمياد  
ومن ناشدٍ فيها زرُود ورمها  
ومن منشدٍ حادٍ ومن منشدٍ هاد

يقول إذا ثبت فى مقام الطمأنينة ضربت لها خيام أعمالها بالمقامات  
العظمى التى عبر عنها بالأجواز ، وقوله : فما شئت من طل ، يريد الشذا  
والندى ، ، والشذا هو ما نزل من الطل بالنهار والندى ما نزل من الطل  
بالليل ، وهو ما يتنزل عليه من أوائل المعارف بطريق اللطف فى غيابات  
الغيب والشهادة ، لأنه لا يدرك نزوله بالحس متى يظهر فى المحل منه القدر  
الذى يدركه الحس والمناد الفصن الناعم ، يقول : وفيه غداء للنشأة الإنسانية  
التي خلقت فى أحسن تقويم واختصت بالحركة المستقيمة على سائر المولدات ،

وقوله : وما شئت من وبل تنزل أعظم فيه شفاء لأن فيه راحة اشتقاق من الاستبلال الذي هو الشفاء ، فكأنها معارف تنزل جهالات بوجودها فإن المعارف قد تنزل على قلوب ساذجة ما فيها شيء أصلا ، وقد تنزل على قلوب فيها تشكيك وتردد فذلك مرض ، وقد تنزل على قلوب فيها جهالات وهي مصممة عليها على أنها علوم ، فيبين له هذا النزول حاله فيرجع ، وهذا لا يسمى مرضا لأن من شرط المرض الإحساس به ، فيطلب به الدواء رغبة في الشفاء وهذا لا يكون في القلوب إلا لأهل التشكيك والحيرة ، وأما المصم على اعتقاده وشبهته فلا يقال فيه صاحب مرض وإنما هو ميت فهذا التنزيل يحويه كما قال (أو من كان ميتا- يعني بالجهل - فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس) <sup>(١)</sup> الآية ، وقوله : وما شئت من ندى قوله (يسبح له فيها بالغدو والآصال) <sup>(٢)</sup> فهذه نزلات هذه الأعمال المخصوصة بهذه الأوقات ، لأنها أزمان نزول الندى وهو مقام الجود يمر به سحاب العناية على باناتها اختصر البان من غيره لما فيه من إشارة التنزيه والتفرقة والتمييز بين الحقائق ، وأيده بقوله : رَأْحٌ وَهُوَ الرَّجُوعُ بِالْعَشِيِّ وَالْفَادَى الْمُبَكَّرُ ، يقول إنه يذهب بكرة ويعود عشية إلى ما منه غذا كما بين الزمانين هو مقدار عمر السالك والحال والمقام ، وإلى الله ترجع الأمور

(١) من الآية ١٣٢ من سورة الأنعام .

(٢) من الآية ٣٦ من سورة النور .

وتصير الأمور إشارة إلى هذا المقام وإليه يرجع الأمر كله ، فسمى رجوعاً  
لكونه منه خرج وإليه يعود ، وفيما بين الخروج والعود وضعت الموازين ومد  
الصراط ووقعت الدواعي وظهرت الآفات وكانت الرسل وجاءت الأدواء  
فمنهم المستعمل لها والآخذ بها والتارك لها ، قوله : وما شئت من ظل ظليل ،  
إذ ما كل ظل يكون ظليلاً لكل مستظل بل لآحاد بقوله إلا صاحب  
هذا المقام الحمدي الموسوي فإنه يظله كل ظل فكل ظل فهو له ظليل  
لاستغراقه المقامات كلها ، ويظهر هذا في موزونات الأعمال بما لها من  
الثواب كما سبق بلال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجنة من مداومته على  
الوضوء من كل حدث والصلاة عقيبه ، وقوله : وما شئت من جنى وهو  
الاستثمار ، مما يتلقاه الملقى إليه من الملقى كالمرید من شيخه وأستاذه وكان النبي  
من الملك وهكذا ما يلقي يكون المناد الملقى الذي هو العلم وما يحمله من  
المعارف كالثمر فيه والجاني هو المحصل لهذه الثمرات من هذه الأغصان بيد  
اللطيف لا بيد القهر على طريق الألفة لأنه قال شهبي عند الجاني لأن فيه  
نيل الغرض ، وقوله : من ناشد ، الناشد الطالب ، زرود ورملمها ، يشير إلى  
المعارف الشوارد التي لا تنضبط للعالم إلا وقت الشهود خاصة ويقولون  
ثلاثة رابعهم كلبهم وخمسة وسبعة ، ثم قال : ( ما يعلمهم إلا قليل )<sup>(١)</sup> وهم  
الخارجون من البشرية إلى عالم الأرواح واللطائف ، وقد تقدم الإشارات

(١) من الآية ٢٢ من سورة الكهف .

بالرمل ما هي ، وقوله : ومن منشد حادٍ وهاد ، الحادي هو الذي يسوق  
الركاب من خلف والهادي هو الذي يقودها من أمام ، فالسائق هو الإشارة  
للآتي بالزجر والتهديد والرهبوت<sup>(١)</sup> فهو عبد القهار ، والهادي هو الإشارة  
للآتي بالرغبوت والأنس والملاطفة والوعد الجميل فهو عبد اللطيف ، فإن  
الناس يوم القيامة الكبرى إنما هم عبيد الأسماء الحسنى الإلهية ، فمنهم عبد  
نعمة ومنهم عبد نقمة ومنهم عبد تنزيه وتقديس وما أشبه ذلك ، يقول :  
فكان هذه المقامات كلها حاصلة لمن نودي في هذه الروضة بالوادي المقدس ،  
فتدبر ما أشير إليه تسعد إن شاء الله تعالى .

\*\*\*

### وقال رضى الله عنه

عُجْجٌ بِالرَّكَائِبِ نَحْوَ بَرَقَةٍ تَهْمَدُ  
حيثُ القَضِيبُ الرُّطْبُ والرُّوضُ الندى  
حيثُ البروقُ بها تُرِيكُ وميضُها  
حيثُ السحابُ بها يروحُ ويغتدى

يقول للهادي : مل بالركائب ، والركائب هي الإبل ، وقد يعبر بالإبل  
عن السحاب كما ورد في تفسير قوله تعالى : ( أفلا ينظرون إلى الإبل كيف

(١) الرهبوت والرغبوت مبالغة في الرهبة والرغبة .

خلقت<sup>(١)</sup> قيل أراد السحاب ، وهي المرادة هنا في هذا البيت ، ويدل عليها قوله برقة شهيد فجاء بالبرق ، وشهد موضع باليمن على ما قيل ، والبرق أبدا عند صاحب هذا القول مشهد ذاتي يذهب بالأبصار لا يكاد يتحقق ، والقضيب الرطب ، نشأة الاعتدال في جميع الأشياء ، والروض الندى هو المقام الذي يظهر فيه هذا النشاء الاعتدالي ، والندى إشارة إلى ما فيه من اللين والجود ، ثم أكد أنه أراد بالسحاب الركائب بقوله حيث البروق بها تريك وميضها ، أي تريك لمعانها فيكون حجاباً عليها ، فكثير من الناس يزعمون أنهم يرون البرق وإنما يرون سنا البرق ، وقد تقدم تفسير: حيث السحاب بها يروح ويفتدى، وقوله: سحاب على باناتها رائح غادي .

وارفع صَوُّيْتَكِ بِالسُّحَيْرِ مُنَادِيًا

بالببيض والغبيد الحسان الخرد

من كل فاتكةٍ بطرفٍ أحورٍ

من كل ثانيةٍ بجيدٍ أغبيدٍ

يقول: السحير لا يكون إلا في مقام الخطاب بالحروف في عالم المواد من من حضرة التمثيل والمثال ، وشرطه أن يكون له وجه إلى حضرة الأنوار ووجه إلى حضرة الظلم وهي الحجابان اللذان يمنعان السبعات أن تحرق الكائنات فإن السحَرَ والسُدُفة هو اختلاط الضوء والظلمة ، وأراد برفع

(١) الآية ١٧ من سورة الغاشية .

الصوت هنا البيان بما هو المراد من هذا الخطاب ، هل الوجهين معاً أو وجه واحد ، وقوله : منادياً ، إعلام بالبعد ، والبيض : كل حكمة إدرسية وردت خطاباً من السماء الرابعة يكون فيها من العلوم ما في الشمس من الحقائق التي أودع الله فيها ، والبيض جمع بيضاء وهو من أسماء الشمس ، والغيد الذي فيه ميل إلى عالم الكون بالأمداد ، أى كل حقيقة لها تعطف بالكون كالأسماء الإلهية ، والحسان يعنى من مقام المشاهدة والرؤية ، وقوله : الخردم الذين عندهم الحياء ، وقال عليه السلام : « الحياء من الإيمان » فأراد أنه علم إيماني أى نتيجة الإيمان ما هو نتيجة الفكر إذ نتيجة الفكر عن مقدمات كونية نازلة ونتيجة الإيمان هي وهب إلهي وكشف رباني ذاتي ولا سيما في هذا الموضع الذي قرنه مع الحسان وهو مقام المشاهدة ، ثم أخذ يصف أيضاً مراتب هذه العلوم التي استفادها في طريقه فقال :

\* من كل فاتكة بطرفٍ أحورٍ \*

من كل علم مشاهدة ورد على صاحب الخلوة فحال بينه وبين نفسه فغيبه ، وجعل هذا الطرف الذي دل على المشاهدة أحور والحور في العين الشديد شديد بياضه الشديد شديد سواده ، يقول : خالص ما فيه شبهة ولا مزج فخلص لمن قام به ، وإن جعله من الرجوع من حار يحور فهو ميل إليه بضرب من المحبة والغنج لتقع به اللذة ويكون أمكن في العقل في قلب المشاهد وضرب آخر من العلوم في قوله من كل ثمانية أى عاطفة ، يقول هذه المعرفة والحكمة لها عطف وحنان على من تعشق بها ، ولهذا أكد



بأغيد وهو الميل وذكر الجيد وهو العنق وأراد به عالم النور وهو ما لهم في ذلك العالم من الطول والفضل على الغير كما قال عليه السلام : « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » أى لهم ظهور وتمييز على الناس يعرفون به فإن العنق هو الذى كان محل مجرى النفس موضع التنفس إلى الفم فى الأذان ففيه امتداد فلهذا نسب الطول وجعله أجراً له فى ذلك المحل .

تَهْوَى فَتَقْصِدُ كُلَّ قَلْبٍ هَائِمٍ يَهْدِي الْحَسَانَ بِرَاشِقٍ وَمَهْنِدٍ  
تَعْطُو بِرَخْصٍ كَالدَّمَقْسِ مَنْعَمٍ بِالنَّدِ وَالْمَسْكِ الْفَتِيْقِ مُقَرَّمَدٍ (١)

يقول إن هذه الحكمة لما كانت عالية الأوج سامية المكانة وصفها بالهوى الذى هو النزول من أعلى إلى كل قلب متعلق هائم أى حائر فى طلبها لجهله بمكانها ، ثم وصف هذا القلب بأنه يهوى الحسان وهى هذه الحكم التى ذكرناها من مقام المشاهدة ، وقوله : براشق ، أى تقصده معناه ترميه براشق يريد سهم اللحظ ، ومهني من كونه سيفاً فمصيبه بالراشق وتقطعه عن غيرها بكونه سيفاً ، ونسبه إلى الهند موضع الحكم الأول لأنه محل مهبط آدم عليه السلام الذى كان ينبوع الحكمة فأول موضع انفجرت فيه ينابيع الحكمة كان الهند على لسان آدم عليه السلام ، وقوله : تعطو

(١) الرخص - بفتح الراء - اللين الناعم . الدمقس - كهزبر - الإبريسم  
أو الفز أو الكتان ، الند : طيب . الفتيق : للشرق . المقرمد بفتح المشاءة  
وسكون الراء كل ما يطلى به للزينة .

برخص ، يقول تناول بيد النعمة على هذا العبد والقبول والإشارة لمثل ما ورد في الخبر : « إن الصدقة تقع بيد الرحمن في ربيها » ثم وصف هذه اليد بالدمقس فهي منزهة عن الشوب بالألوان ، فإن الدمقس هو الحرير الذي ماتصبغ بلون غير لونه الذي خاق عليه فوصفها بالتنزيه ووصفها بالنعومة وهو اللين إشارة إلى يد العطف والحنان والرفق في تناول ، ثم نعتها بالطيب الخالص والشوب بغيره وهو الند وجعلها ملطخة به ، فهي عبارة عن التخلق بأخلق الإلهية والأسماء الحسنى ، فإن الند أخلاط من الطيب فالتخلق بها في حق العبد ، والإشارة هنا بمقرمذ أي هي موصوفة بهذه الأشياء المذكورة وكذلك هو قال الله تعالى ( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها )<sup>(١)</sup> وهي في حق العبد تخلق فاعلم ذلك :

ترنوا إذا لحظت بمقلة شادين يعزى لمقلتها سواد الإمد

يقول رؤيتها رؤية من لا يحصل في اليد منه شيء ولكن بعين كلاء أي تنظر في سواد وهو الغيب الذي لا يدرك ما فيه إلا هو سبحانه ، وأراد بالملاحظة هنا ملاحظة من يدعو قلوب المحبين إلى حسن جماله ، فما أراد اللحظ المطلق فإنه لا يقع به الفائدة في العالم أصلاً وإنما الفائدة من جانب الحق لعباده بكل ما أعطى التقييد ، فإنه إذا تقييد تميز وتعينت المرتبة وعرف الفرق بينه وبين من لم يحصل له هذا المقام ، وذكر المقلة دون اسم آخر من

(١) من الآية ١٨٠ من سورة الأعراف .

أسمائها لأن فيها معنى العوض ، وقد جاء في الحديث في الذباب إذا وقع في الطعام « أن يمقل » أى يغمس كله « فإن في جناحيه الواحد داء وفي الآخر دواء من ذلك الداء » وقوله : يعزى ، يقول تنسب الأشياء إليها ما تنسب هى لشيء فإن الأشياء متعلقة بها .

بالغنج والسحر القتل مكحل بالتية والحسن البديع مقلد<sup>(١)</sup>  
هيفاء ما تهوى الذى أهوى ولا تف للذى وعدت بصدق الموعد

يقول إذا تجسدت المعانى فى عالم المثال وظهرت صوراً فى الجسم المشترك كما أخبر عليه السلام من أن « الزهراوين البقرة وآل عمران يأتیان يوم القيامة لهما لسانان وشفقتان يشهدان لمن قرأها ، ومعلوم حقيقة الكلام وأنه معنى من المعانى جثمانياً كان أو غير جثمانى ، وكالدين فى صورة القيد والعلم فى صورة اللبن والإنسان فى صورة العمدة ، فيقع النعت من الناعت والوصف من الواصف لهذا المعنى على هذه الصورة التى يظهر فيها له فى عالم المثال فيوصف بما توصف به الصورة التى يتجلى فيها ، ولما كان الغنج فتوراً فى العين وتوصف العين بالسحر لأنها تحول بين المرء وقلبه ، فكل علم حال بينك وبين ذاتك من جهة الجمال فى رحمة الغناء ونزول الطاف فيشار بهذه الصفة إليه إذا جعلها تجلية فى صورة عين . وقوله بالتية ومعناه الخيرة أى عند وصفه تحير الناظر فيه عن إدراك حقيقته ، والحسن البديع يزيد الجمال

(١) السحر - بكسر وسكون الحاء - كل ما لطف مأخذه ودق .

وهو بديع عندنا لا في نفسه كما قال تعالى : ( ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث )<sup>(١)</sup> يعني عندنا لا في نفسه فهو محدث النسبة لا محدث العين وكنى عنه بالإبداع أى لم يظهر على مثال سبق . وقوله مقلد ، يعم الجنين وهما العطفان عطف اليمين باليمين واليسار باليسار ، كتقليد السيف والقلادة ومروره على الصدر والقلب فيعطى من أسرارها ما يختص بها ذلك الموطنان وكان فيه اعتصام فإنه قد عم الجنين والظهر والصدر ، ولا يؤتى على الإنسان إلا من هذه الجهات الأربع وهو الذى قال إبليس حسبا أخبر الله تعالى به عنه : ( ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم )<sup>(١)</sup> ، فهذا هو تقليد العصمة لأن الحسن البديع مشغل للناظر فيه عن نفسه وعن سواه فيعتصم بلاشك ، وقوله : ما تهوى الذى أهوى ، يقول : لا تتقيد بإرادة أحد لنزاهتها وعلو مجدها ومكانتها ، فإن اتفقت الإرادات منى ومنها ، فمن حيث أثرها فى ، لا من حيث أثرى فيها ، وقوله : ولا تف للذى وعدت بصدق الموعد ، يصفها بالعمو والكرم والتجاوز ، فإن الوعد هنا يريد به الوعيد بالشر فإن العرب تقول وعدته فى الخير والشر ، ولا تقول أوعدته إلا فى الشر خاصة ، فأراد بالوعد هنا الشر والكريم يوصف بالوفاء والخير وخلف الوعد بالشر للتجاوز والعمو ، كما قال :

(١) من الآية ٢ من سورة الأنبياء . (٢) من الآية ١٧ من سورة الأعراف .

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إبعادي ومنجز موعدى  
فمدح نفسه بالعفو والتجاوز ، وذلك من الكرم العميم والفضل الجسيم .  
سحبت غدירתها شجاعاً أسوداً لتخيف من يقفو بذاك الأسود  
والله ما خفتُ المنونَ وإنما خوفاً من الموتُ فلا أراها في غد  
يقول بلسان الأدب : إن هذه الجارية أرسلت ضفيرة شعرها خلفها مثل  
الحية لتخيف بذلك من يقفو أثرها ، فقال هذا المحب : ما خفت من الموت  
وإنما أكره الموت من أجل إن مت فلا أراها .

القصد من ذلك في باب المعرفة ، يقول : إن هذه المعرفة أرسلت غدירתها  
يعنى الدلائل والبراهين ، وشبهها بالضفيرة لتداخل المقدمات بعضها في بعض  
كتداخل الضفيرة ، وجعلها سوداء إشارة إلى عالم الجلال والهيبة ، فيخاف  
السالك أن تحرقه سطوات أنوار الهيبة فيتوقف ، ثم نبه في البيت الثاني  
بقوله : وما خوفاً من الموت ، وإنما خوفاً من الموت ما بعده من المشاهدة  
المتعلقة بهذه النكته المتغزل فيها ، فتوقفت حتى أحصل من القوى الإلهية  
والبواعث الربانية ما أقابل به هذا التجلي الجلالى .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

سُحَيْرًا أَنَاخُوا بَوَادِي الْعَمِيقِ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ فَجٍّ عَمِيقٍ

فَمَا طَلَعَ الْفَجْرَ إِلَّا وَقَدْ رَأَوْا عِلْمًا لَا يَخَافُونَ نَبِيًّا<sup>(١)</sup>

يقول: إن أهل هذه المعرفة لما أدلجوا في معارجهم ، وسرّوا لنيل مقاصدهم ، وقطعوا كل مسلك بعيد في نفوسهم بالسفر البعيد الذي ندبهم الحق إليه ، وأمرهم في قوله: ( فَرِّئُوا إِلَى اللَّهِ )<sup>(٢)</sup> ، وذمّ من يتربص عن هذا السفر بقوله: ( قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ )<sup>(٣)</sup> الآية إلى قوله: ( أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا )<sup>(٤)</sup> ، فجعل البركة في الحركة منه ، وإليه نزلوا في السحر نزول المسافر إذا أدج ليستريح ، وتسمى تلك النومة العسلية لما فيها من اللذة ، فهو نزولهم للاستراحة في آخر طريق معرفة ما أودع الله في ليل هياكلهم من الحكمة المتعلقة بالحقائق الإلهية ، وجعل السحر موضع الفصل بين هذه الحقائق الليلية الهيكلية وبين حقائق الأرواح النورية المعبر عنها بالملأ الأعلى فأناخوا في هذا المقام ، وهذا يسمى الوقوف ، ولم يسلك سلوكاً آخر لتحصيل فوائد آخر ، فإن الله تعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا )<sup>(٤)</sup> ، وجعل الإناخة بمطايا الهمم في وادي العقيق الذي

(١) العلم: الجبل ، النبيق - بكسر النون - أرفع موضع في الجبل .

(٢) الآية ٥٠ من سورة الذريات .

(٣) الآية ٣٤ من سورة التوبة .

(٤) من الآية ١١٤ من سورة طه .

هو موضع الإحرام بالحج والعمرة ، فجعله مناخ حرمة محمدية لأنه ميقات أهل المدينة الذين نبه عليهم بلسان الإشارة أن لا نهاية لما يطلبون ، فليرجعوا ، فإن رجوعهم سفر لاقتناص علوم لم ينالوها في العروج فما لهم غاية يقفون عندها ، وللتنبية في ذلك بهم قوله تعالى : ( يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا )<sup>(١)</sup> ، وأهل يثرب هم الحمديون من العارفين ، ولكن من باب الإشارة بالآية ، لا من باب النص والتفسير ، فلا نغلط فيما أشرنا إليه في ذلك .

ثم قال : لما أخذوا تلك الراحة في السحر طلع الفجر ، أى ظهر الأمن من عالم الأمر الناظري ، ولكن ظهور علم من ذلك ، أى إشارة دليل ، ولكن في محل النفع والرفعة ، وهو النيق .

يقول : فما ظهر لي في عالم الأمر لنفسه ، وإنما لاح لي علماً ، أى دليلاً على ما يناسب ذلك الإبداع اللطيف من الحقائق الإلهية ، والجبل المذكور هنا في هذا البيت الذي هو العلم عليه ، وهو الجسم ، وذلك هو الروح ، أى ظهر له في عالم الأمر من نفسه فإنه أتم في المعرفة .

إذا رامه النَّسْرُ لم يستطع فمن دونه كان بيض الأنوق

(١) الآية ١٣ من سورة الأحزاب .

عليه زخارف منقوشةٌ رفيع القواعد مثلُ العُقوق

يقول : الأنوق الرخم ، والعقوق قيل : هو قصر عظيم فوق جبل عالٍ ، وقيل غير ذلك ، وقوله : إذا رامه النسر لم يستطع ، إشارة إلى الروح البرزخي الذي هو أقرب إلى الملاء الأعلى من غيره من الأرواح المدبرة ، يقول : هذا العلم الذي لاح له لا يستطيع الرقي إليه هذا الروح المكنى عنه بالنسر والأنوق ، لما لم يكن في الطير من يفرخ في موضع أعلى منه ولا أحى خوفاً على بيضه ، كانت العرب تضرب به الأمثال في كلامها لعلوه وارتفاعه ، وكنى عنه بالبيض أي صفة النتاج التي تكون عنه هذه الأرواح البرزخية ، ثم وصف العلم بأن عليه زخارف منقوشة ، يريد بها التجلي بالخلق الإلهية ومنقوشة ثابتة ، وشبهه بالعقوق لارتفاعه وعلوه .

وقد كتبوا أسطراً أودعوها      الأمان اصَّبَّ غريبٍ مشوق  
له همةٌ فوق هذا السماء      ويوطأ بانخف وطء الحريق  
ومسكنه عند هذا العقاب      وقد مات في الدمع موت الغريق

شرحه بلسان الأدب يقول : هذا العاشق إن همته على علوها أنزل عن الحب عليه وسلطانه عليه من الذل أن يوطأ بانخف ، ثم تغالى في ذكر كثرة دموعه أنه مات غريقاً فيها مع سكناه في هذا الموضع .

المقصد : يقول وقد كتبوا أسطراً أودعوها ، يريد الكتابة الإلهية  
( ٩ — ذخائر )



من « كتب ربكم على نفسه الرحمة »<sup>(١)</sup> بكم في مقام العزة الأسمى ، وقوله :  
ألا من لصب ، يريد مائل إلينا بالحجة غريب من قوله عليه الصلاة والسلام :  
« فطوبى للغرباء من أمتي » ، والغربة مفارقة الوطن ، ووطن الكون عبارة  
عن وجوده لربه وغربته نزوحه عنه إلى وجوده لنفسه مع مفارقة العين  
لا بد من ذلك ، وقد أشرنا في المفاريد لنا في هذا المعنى بقولنا :

إذا ما بدا الكونُ الغريبُ لناظري

حننت إلى الأوطان حنّ الركايب

وقوله : مشوق ، طالباً للقاء المحبوب بضرب من الهيجان ، وقوله :

\* له همة فوق هذا السماك \*

يقول : إن همته فوق الكون ، أي لا تعلق لها به ، ولكنه مع هذا  
يوطأ الخف إشارة إلى ما ندب إليه من التواضع طلباً للرفعة في قوله عليه  
الصلاة والسلام : « أي من تواضع لله ، أي من أجل الله ، رفعه الله » ،  
وقوله : ومسكنه فوق هذا العقاب ، البيت ، يقول : وإن كان محله  
في هذا الوقت من الرفعة ، بمثل ما وقعت به الكناية في عالم الأجسام ،  
فإن المعارف المشهدية من باب الحب قد طمى سيلها حتى غطى هذا المقام  
الأسمى على رفعتة عن هذا المقيم فيه ، وأفناه عن مشاهدة نفسه بهذا المشهد  
فكفى عنه بالفرق والموت .

(١) من الآية ٥٤ من سورة الأنعام .

١ قد أسلمه الحب للحادثات بهذا المكان بغير شقيق

يقول : قد أسلمه مقام الصفاء للحادثات ، فإن البلاء إنما يرد على الأمثل فالأمثل ، وقوله : بهذا المقام ، يعنى المقام الذى تقدم ذكره ، وقوله : بغير شقيق ، أى ماله مؤنس هناك إلا عارف مبتل مثله فشغله بنفسه لسروره بذلك ، أو صبره يحول بينه وبين رؤية غيره بحكم الشفقة أو شبهها .  
ثم قال :

فياواردين مياه القلب ويا ساكنين بوادى العقيق<sup>(١)</sup>  
ويا طالباً طيبة زائراً ويا سالكين بهذا الطريق

يقول : يا أهل الحياة المنشأة من الأعمال ، يريد حياة العلم من قوله تعالى (أومن كان ميتاً فأحييناه)<sup>(٢)</sup> وقال : (وجعلنا من الماء كل شئ حى)<sup>(٣)</sup> وجعله مكتسباً من أجل أنه نسبة للقلب وهو البئر ، والإنسان فيه تعمل وهو حفره لاستخراج الماء .

ثم خاطب القطان بوادى العقيق ، وهم الذين اكتسبوا العلم من الحرمة

(١) القلب : البئر قبل أن تبني بالحجارة . العقيق : الوادى الذى مشقه السيل ، وهو اسم لعدة مواضع ، منها العقيق الأعلى عند مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مما يلى الحرة إلى منتهى البقيع وهو مقابر المدينة .

(٢) من الآية ١٢٢ من سورة الأنعام .

(٣) من الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

التي قامت للحق يقلوبهم ، وأشار إلى الوادي لأمرين : لانخفاضه يريد التواضع ، ولأنه مسيل الماء فهو مسيل الحياة العلمية ، وإنما قلنا لا ميقات الحرمين بالحج والعمرة ، ثم خاطب طلاب المقامات اليتربية باسم طيبة من طاب يطيب ، وقوله : « طوبى لهم » هو من ذلك . وقوله : زائراً ، أى مائلاً إليها لعلمه بشرفها على غيرها لأنه الميراث الأكل .

ثم خاطب السالكين وهم أهل السلوك بهذا الطريق ، يريد الصراط المستقيم الذي قال فيه تعالى : (وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) <sup>(١)</sup> فخاطب أربعة أصناف من الخلق ، لأرفع مقامات فقال لهم :

أَفِيقُوا عَلَيْنَا فَإِنَّا رِزْنَا بُعِيدَ السُّجَيْرِ قَبِيلَ الشُّرُوقِ

يقول : لا تشغلكم أحوالكم التي أضعفتكم وأفنتكم عن أن تفيقوا للنظر من حالنا ، لتعلقنا بكم وطلبنا المعونة على ما نحن بصدده بهمتكم ودعائكم وقوله : فإننا رزنا ، من الرزية ، يقول : أخذنا عنا <sup>(٢)</sup> ولم نصل إليه ووصول من حصل بيده المسكاة لعزته ، وقوله :

\* بعيد السجير قبيل الشروق \*

وهو زمان العروج من النزول الإلهي إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من

(١) من سورة الأنعام الآية ١٥٣

(٢) أى عن أنفسنا .

الليل في طلوع الفجر ، يقول : انقضى الوقت ولم نحصل على المطلوب ،  
وجعل ذلك رزية فقال :

بيضاه غيداء بهتانه توضع نشرأ كمسك فتيق

يقول : رزئنا بنقد بيضاء أى فيها شك ، يريد هذه الصفة الذاتية التي  
هى مطلوبة ، وقوله : غيداء ، يقول مع كونها جليمة القدر لها ميل إلينا وهو  
النزول الذى ذكرناه ، ومع هذا فلا نحصل منه ما يضبطه علم ، أو عقل ،  
أو وهم ، أو خيال ، والبهتانه : الطيبة الريح .

يقول : إن لهذه الصفة فى قلوبنا طيباً ونشراً ، يقول : وإن لم نشهد  
ذاتها فإن لنا منها ما لنا من المسك رائحة ، وإن لم نشهد عينه ، وهى هذه  
الآثار الإلهية التى فى قلوب العباد ، غير أن كل واحد ليس له مشم لإدراك  
ما هى عليه من العطرية والذشر الطيب ، وشبهها بالمسك لأنه أطيب الطيب ،  
ولا سيما إذا كان مفتتاً فهو أطيب وأليق بالمشام الإنسانية ، ولو كان ثم  
ما هو أطيب من تلك الرائحة أوقع التشبيه به فقال :

تمايل سكرى كمثل الغصون تنتها الرياح كمثل الشفيق

يقول : تمايل سكرى ، أراد تمايل وهو النزول كما ذكرناه ، وقوله :  
سكرى يشير إلى مقام الحيرة لأن السكران حيران ، فإن الميل إلينا لا يكون  
إلا بقدر ما يقع به التفهم عندنا مما يناسب ، كأحاديث الضحك والفرح  
والتبشيش وما أشبه ذلك .

وقوله : كمثل الفصون ، لأنها محل الثمر ، أى ميلها للإفادة ، وقوله :  
ثنتها الرياح ، أى أمالتها الهمم بطلبها إياها ، فإنه تعالى يقول : ( ادعوني  
أستجب لكم )<sup>(١)</sup> ، و « من تقرب إلى شبراً تقربت منه ذراعاً » فقربك  
شبراً أدى تقريبه إليك ذراعاً ، شبراً لشبر جزاء وللشبر الآخر جزاء ،  
والشبر الآخر الزائد للمنة الإلهية والفضل الخارج عن الكسب ، وقوله :  
كمثل الشقيق ، وهو الحرير الخام الذى لم تدخله صنعة آدمى يقول : أى  
أنها على ما هي عليه .

برِذْفٍ مهول كدعص النَّقا تخرج مثل سنام الفتيق  
يشير إلى ما أردفه من النعم المعنوية وغير المعنوية على عباده ، وقوله : مهول ،  
فمن فكر فى ذلك عظم عليه وهاله ما أردفه سبحانه من جسيم مننه التى لا طاقة  
للعبد على القيام بشكرها ، وشبهها بكثيب الرمل لارتكاب بعضها على  
بعض وتصرفها وكثرتها وتمييز بعضها من بعض كما تنفصل دققة الرمل من  
الرمل ، أى لا تمزج فتختلط فلا تعرف .

ثم شبه حركتها فى قلوب العارفين بها مثل سنام الجمل العظيم فى الرفعة  
والسمن ، فإنه دهن كله ، والدهن ممد الأنوار للبقاء ، فكذلك هذه  
العلوم إذا قامت بقلوب من قامت بها ، أورثتها البقاء الأبدى فى  
النعم الأبدى .

(١) من الآية ٦٠ من سورة غافر .

فما لا لامني في هواها عذول ولا لامني في هواها صديق

يقول : لا تساعها لا تتعاقى غيرة العباد بها لأنها مع كل أحد كالشمس  
لو اتفق أن تهواها القلوب لقطعت بأسها من مماسة ذاتها لنزاهتها وعلوها عن  
مقام مجيئها ، ولنالت منها مقصودها بمجرد النظر على الانفراد لأنها متخيلة  
لكل عين ، فلماذا لا تصح الغيرة ، على محبوب بهذه الصفة ، فإن المصلي  
يناجي ربه ، وكل شخص في رؤيته على انفراده يناجي ربه بقلبه فلا يقع  
في ذلك ازدحام ، فلا غيرة ، فلا لوم من عاذل ولا من صديق  
أصلا ، ثم قال :

ولو لامني في هواها عذول لكان جوابي إليه شهيقي

يقول : ولو تصور اللوم من أحد إليّ في حبي إياها لكان جوابي  
الإعلان بالبكاء والزفير ، يريد أن الحال مني محبة بأني لا أسمع عذلك فيما  
جئت به .

ثم قال :

فشوقي ركابي وحزني لباسي

ووجدني صبورحي ودمعي غبوقتي

يقول : فشوقي ركابي إليها وهو الذي ينزلي عليها بقول الحق تعالى :  
« أين المشتاقون إلى أنزهمهم في وجهي ، وأرفع لهم الحجاب حتى يروني

فطوبى لهم ثم طوبى <sup>(١)</sup> . ما أحسن تلك المناظر العلى بالمقام الأجلى  
والمكانة الزلنى .

ثم قال : إن وجدى وغازى الذى هو سبب حياتى ، والصبوح شرب  
الغداة ، والعبوق شرب العشى ، ولهم رزقهم بكرة وعشياً ، كما للمحجوبين  
النار يعرضون عليها غدواً وعشياً .

\*\*\*

قال : وأنشدنى بعض الفقراء بيتاً لا يعرف له أخا وهو :

كل الذى يرجو نوالك أمطروا

ما كان برقك خلباً إلا معى

قال : فأعجبني وقفوت معناه ، فعملت أبياتاً فى هذا الروى وضمنتها هذا

البيت بكامله إجابة لذلك الفقير رحمه الله فقلت :

قف بالطلول الدارسات بلمع وانذب أحببتنا بذاك البلمع <sup>(٢)</sup>

الطلول : أثر منازل الأسماء الإلهية بقلوب العارفين هنا ، والدارسات

---

(١) يعنى ذلك فى الجنة جعلنا الله منهم بفضلهم وكرمه ومنه سبحانه وتعالى :

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا » ،

أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) اللمع : السراب ، واسم جبل .

التغييرة بالأحوال لا تتقالها من حال إلى حال بسبب تولعها ، واندب يقول :  
وابك أحببتنا ، يعنى الأسماء الإلهية بذلك البلقع ، يعنى قلبه المنعوت  
بالتجريد وإفراغها من السكان الذين كانوا عمروها ، وهى الخواطر الإلهية  
والمملكية خاصة .

قِفْ بالديار وناجها متعجباً منها بحسن تَلَطْفٍ بتفجع

يشير بالديار إلى المقامات ، وقوله : نادها متعجباً لعدم النازل فيها مع  
ما يراه من حسنها وبهاؤها وقوله بحسن تَلَطْفٍ بتفجع ، يقول يستنزلها فيها مع  
مقام اللطف بحال المكلف بها الحزن لها لما هى عليه من عدم النازل ،  
ثم أخذ يذكر ما قال لها :

عهدى بمثلى عند بانك قاطفاً ثمر الخدود وورد روضِ أِينع

يقول : كم شهدت من محب مشتاق بروضك ، يقطف من ثمار معارف  
القيومية ، يعنى التخلق بها ، فإن أصحابنا اختلفوا فى التخلق بالقيومية ،  
ومذهبنا التخلق بها ، ومذهب ابن جنيد القبر كفى واتباعه لا يصح  
التخلق بها ، وقوله : وورد روضِ أِينع ، ما تحمله الوجنات من الحمرة يشير  
إلى مقام الحياء ، وقوله : أِينع يريد أنه نتيجة مراقبة ومشاهدة طرا بطروها ،  
كما قال الجناب الإلهى : ( ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث ) ، أى  
عندنا لظروه فى وقت نزوله ، وإن كان قبل ذلك موجوداً لكن ليس  
عندنا ، ثم ذكر البيت الذى ضمنه فى هذه القصيدة :



كل الذي يرجو نوالك أمطروا ما كان برقك خلباً إلا معي  
يقول : كل من طلب منك أمراً ناله غيرى ، وذلك لعدم العناية ،  
وفيه أيضاً إشارة في حق نفسه إلى مقام عالٍ ناله لم ينله أحد غيره من  
أمثاله ، لأن البرق مشهد ذاتي ، فإذا أمطر فهو ما يحصل في قلب المشاهد  
من المعارف التي تشعر ، فنبه على أنه مشهد ذاتي في حجاب ممثل ، كما قال  
في حق جبريل عليه السلام : ( فتمثل لها بشراً سوياً )<sup>(١)</sup> ، فأفادها عيسى  
بهذا التمثيل ، كما أفادها ولأء بالمطر في المشهد البرقي فنون المعارف إلا أنا ،  
يقول : فإن برقك خلب ، أى ليس يتحصل من هذا المشهد الذاتى علم  
في نفس المشاهد ، لأنه تجلى في غير صورة مادية ، فلم يكن للخيال ما يضبطه  
به ، فلم يكن للعقل ما يعقله ، إذ لا يدخل تحت كيف ولا كم ولا حال  
ولا نعت ولا وصف ، لكنه في المقام الأول أليق بالعاشق ، والمقام الثانى  
أتم للمعارف ، ثم أخذ ينبه على شرح المقام الأول أن التجلى إنما كان  
في الحجاب الممثل فقال :

قالت نعم قد كان ذاك الملتقى في ظل أفنانى بأخصب موضع  
إذ كان برقى من بروق مباسم واليوم برقى لمع هذا اليرمع  
يقول : قد قالت له هذه الصفة التي تجلت له : صدقت قد كان ذاك الملتقى  
مع المحبين من أمثالك وأشباهك في ظل أفنانى ، أى في رحمة عواطفى ،

(١) من الآية ١٧ من سورة مريم .

بأكثر علم نافع بمقام تشبيهه ، وإن كان قدسياً ، إذ كان برقي يقول : إذا كان التجلي منى في صورة مثالية حسنة جميلة من مقام الابتهاج والسرور بظهور المباسم التي عنها ظهر هذا التجلي فهو سبحاتها دائماً معك ، فالتجلي في صورة جمادية فإن اليرمع حجارة براءة ، وهي في العادة غير معشوقة ، يقول : فتجلت لك في مقام لا يتقيد بالحبية والعشق لأنه لا صورة له .

فاعتب زماناً ما لنا من حيلة في دفعه ما ذنب منزل لعلع  
يقول : لا عتب إلا على الزمان ، يعني الحركات الفلكية الجارية بفراق الأحباب ، يشير إلى قوله تعالى : ( ومنكم من يرد إلى أرذل العمر )<sup>(١)</sup> ، وهو الهرم السكان عن مرور الأزمان ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، وهو فراق الأحبة ، أي أن المعارف محبوبة له وقد حال بينه وبينها كروور الأدوار فلا ذنب للمحل وإنما هو الذي أخلقه بعد جدته .

فَعَذَرْتَهَا لِمَا سَمِعْتَ كَلَامَهَا تَشْكُو كَمَا أَشْكُو بَقَلَبٍ مُّوَجَّعٍ  
يريد قوله تعالى على لسان نبيه : « ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقاءي » يريد أن ما سبق بكونه العلم ، ولا بد من كونه فتفتن لما أشرنا ولنا في هذا المعنى :

يحن الحبيب إلى رؤيتي وإني إليه أشد حنيناً  
وتهوى النفوس ويأبى القضا فأشكو الأنين ويشكو الأنينا

(١) من الآية ٥ من سورة الحج .

وسألتها لما رأيت رُبُوعاً مَسْرَى الرياح الذاريات الأربع  
يقول : وسألتها لما رأيت ربوعها ، يعني المحل ، تخترقه الأهواء الأربعة  
الجنوب والشمال والصبحا والدبور ، ويشير إلى ما يأتيه من الأهواء من بين  
أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ، يريد عالم الأنفاس والأرواح  
التي تنسمت من هذه الجهات من منازل الأسماء الإلهية .

هل أخبرتك رياحهم بمقيلهم قالت نعم قالوا بذات الأجرع  
حيث الخيام البيض تشرق للذي تحويه من تلك الشمس الطالع  
يقول : هل أخبرتك هذه السمات الإلهية حيث قالوا ، يشير إلى مشهد  
قوله عليه الصلاة والسلام : « ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة »  
وهو وقت القيولة ، ويؤيد ذلك قوله : قالوا بذات الأجرع ، أي لما فيه  
من تجرير الغصص بقوة سلطانه على المحل فيلجئون خوف الاحتراق من  
سبحات الأنوار إلى الخيام البيض ، يريد الحجب النورانية التي على السبحات  
الوجهية ، قال : وأتوار هذه الخيام ليست منها ، وإنما هو مما تحته من  
شمس المعارف بأفاق قلوبهم ، فمن ذلك إشراقها وبياضها .

\* \* \*

وقال رضى الله عنه

واحرباً من كبدى واحرباً واطرباً من خلدَى واطرباً  
فى كبدى نار جوى محرقة فى خلدَى بدر دجى قد غربا  
لما كان الخلد محل شاهد الحق القاسم به قال : واطرباً لسروره

بما شاهدته وبين البيت الثاني ذلك لأنه مفسر له فقال : في كبدى نار  
جوى محرقة ، يشير به إلى الاصطلام ، والحرب الذى يشكو منه  
هو خوف التلف على نفسه بفساد هذا الهيكل الذى بواسطته اكتسب  
العلوم الإلهية ، وإن كان أكثر النفوس تطلب التجرد منه والاتحاق  
بعالمها البسيط ، ولكن عند المحققين إنما تطلب التجرد عنه حالاً وفناء  
لا انفصال علاقة لما لها بوجوده من المزيد فيما هى سبيله ، فهذا شكا  
الحرب ، وقوله : فى خادى بدر دجى ، الدجى إشارة إلى الغيب فإنه  
الليل ، وهو محل الستر ، والغيب ستر ، وقوله : قد غربا ، رجح جانب  
الستر على جانب الكشف ، أى غرب عن عالم الحس وطلع فى الخلد بداراً  
يريد كامل النور إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « ترون ربكم  
كما ترون القمر ليلة البدر » صفة كالية .

يامسكُ يا بدرُ وياغصنَ نقا  
ما أورقا ، ما أنورا ، ما أطيبا

سماها مسكاً لما تعطيه من الأنفاس الرحمانية اليمينية لإظهار العلوم الحمدية  
وسماها بداراً لما توصف به من الكمال وما ينسب إليها مما يليق بها فى  
اعتقاده العلم بما لا يليق بها من التنزيه والتقديس بمنزلة الكسوف والنقص  
الذى يطارأ على البدور ، وذلك راجع إلى شاهد الحق فى قلب كل أحد  
بحسب ما هو الشاهد عليه لاقتضاء دليله واعتقاده أو إلهامه ، وليس

الاستمداد الذي فيه من النور الشمسي لمصالح الكون ، فشاهد الحس في قلب العبد مستمد من النور الالهي الذاتي ، وسماه أيضاً بدرأ لكونها مرآة لمن تجلى فيها ، وهو من باب ظهور الحق في الخلق وبالعكس أيضاً ، وسماها غصن نقا للصفة القيومية التي لها أوصاف القيومية منها إلى النقا الذي هو كدس الرمل يحد بين الوصل ، وهو المعنى الذي أظهر فيه هذه الصفة القيومية ، وظهرت فيه وبما فيه من العلو والنشر على الأرض لما فيه من العزيمه عن مراتب الكون وبما يطراً على النقا من ذهاب الرياح به عند هبوبها هو ما تعارضه هذه العلوم الرملية من الأهواء النفسانية في أوقات ما وتلك أوقات الغفلات ، مثلاً كمن يعلم قطعاً أن الله هو الرزاق وأنه وقد سبق عامه بأن ما هو لك ليس لغيرك فتأتى الأهواء النفسانية بالخواطر الطبيعية فتحول بينك وبين هذا العلم ، فتضطرب عند النقد وتسمى في طلب ما قد فرغ لك منه فهذا هو ذلك وقوله : ما أروقا ، يريد ما يلبسه غصن القيومية من الأسماء الالهية التي بها تجمله في قلوب العباد كما أن الأوراق ملابس الأغصان . وقوله : ما أنورا يريد البدر من قوله : ( الله نور السموات والأرض )<sup>(١)</sup> والمثل المثل . وقوله : ما أطيبا يريد المسك وهو ما تعطيه الأنفاس التي ذكرناها من المعارف والأخلاق الالهية لهذا العبد المتصف بها .

(١) من الآية ٣٥ من سورة النور .

يَا مَبَسْمًا أَحْبَبت منه الْحَبَّابَا وَيَارُضَابَا ذقت منه الضَّرْبَا (١)

يشير إلى ما أراد عليه السلام بقوله : « إن الله يضحك » حتى قالت العرب لا عدنا خيراً من رب يضحك ، وشبه المبتسم بالحبيب وهو ما يظهر على وجه الماء وهو راجع إلى ريح والماء سر الحياة فهو ما يظهر على الحياة الإلهية من العلوم الرحمانية عند هبوب الأنفاس كما قال تعالى : ( أو من كان ميتاً فأحييناه ) (٢) يريد العلم من الجهل وقوله : ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) (٣) فهذا ذلك . وقوله : ورضاباً يشير إلى علوم الهوانية والمناجاة والكلام والحديث والسمر ، ولكن من العلوم التي تعقب اللذة في قلب من قامت به ، فإنه ما كل علم يكون عنه لذة . والضرب هو العسل الأبيض فشبه الرضاب به للحلاوة والبياض كما شبه النور الإلهي بنور المصباح وإن بعدت المناسبة ولسكن اللسان العربي يعطى التفهم بأدنى شيء من متعلقات التشبيه .

يا قمرأ في شفق من خفري في خده لاح لنا منتقبا

شبهه بالقمر وهي حالة بين البدر والحلال فهو مشهد برزخي مثالي صوري

(١) المبسم بكسر السين الثغر رضب ريقها بفتح الأول والثاني رشفه والضرب بفتحين العسل الأبيض .

(٢) من الآية ١٢٢ من سورة الأنعام .

(٣) من الآية ٣٠ من سورة الانبياء .

بضبطه الخيال والشفق هنا الحمرة من أجل الخفر الذي هو في الحياء ، والحياء يعطى الحمرة في الحدود والله حي ، كما أخبر عليه السلام ولما كانت حمرة الخفر في الوجه لذلك ذكر الحدود دون غيره . وقوله : لاح لنا منتقبا ، الإشارة إلى ما أشار عليه السلام بالحجب الالهية النورانية الظلمانية وسيأتي في البيت الثاني معنى ما ذكرناه ، ثم قال :

لو أنه يسفر عن بُرُقه كان عذاباً فلماذا احتجبا

الإشارة بالأسفار والعذاب والحجاب ، للإشارة إلى قوله عليه السلام إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها أحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره وهو مشهد عظيم نزيه لا يبقى أثراً ولا عيناً ولا كوناً فما احتجب إلا رحمة بنا لبقاء أعياننا فإنه في بقاء عين الكون ظهور الحضرة الالهية وأسمائها الحسنی وهو جمال الكون فلو ذهب لم تعلم ، فبالرسوم والجسوم انتشرت العلوم وتميزت الفهوم وظهر الاسم الحى القيوم ، فسبحان من أرسل رحمته عامة على خلقه وكونه لشهود صفته وعينه .

شمس ضحىً في ذلك طالعة غصن فقا في روضة قد نُصبا

قوله شمس ضحى يريد وضوح التجلى عند الرؤية ، والفلك عبارة عن الصورة التى يقع بها التجلى وهى تختلف باختلاف المعتقدات والمعارف ، وهى حضرة التبدل والتحول فى الصور وهذه القوة الإلهية والصفة الربانية تظهر أعلامها لأهل الجنان فى سوق الجنة الذى لا يبيع فيه ولا شراء وقد يصل إلى هذا

المقام هنا بعض العارفين كقضيبي البان وغيره في الصورة الحسية ، وأما في الصورة الباطنة فهي أحوال الخلق كافة، وأراد بطلوعها ظهورها لعين المشاهد وقوله : غصن نقا فهي الصفة التيوممية ، في روضة يريد روضة الأسماء الإلهية لا روضة العلوم . وقوله : قد نصبا ، إشارة إلى التخلق بهذه الصفة خلافاً لابن جنيد وغيره ممن يمنع التخلق بها ، وأجمعنا على التحقق إلاّ أني أمتنع إدراك التحقق بالشيء إذا امتنع التخلق به ، إذ التخلق بالشيء هو الدليل الموصل إلى التحقق به ، وما لا يتخلق به فلا يتحقق أصلاً ، إذ لا ذوق يدركه لكن قد نعلم علم علامة أو إشارة لا علم ذوق وحال ، وقوله : قد نصبا ، كأنه يفهم منه أن نصبه أثر فيه وليس كذلك ، وإنما كشفنا هذا الرأي له في هذه الروضة بعد أن لم يكن له كاشفاً هو نصب في حقه ، كما قال تعالى : ( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث )<sup>(١)</sup> يعني عندهم لا في نفس الأمر ، كما يحدث الآن خبر عندنا من الملك ، وكان قد تكلم به منذ شهر مثلاً فحدثه الآن عندنا لا في نفس الأمر .

ظَلَّتْ لَهَا مِنْ حَذَرٍ مُرْتَعِبًا وَالْغُصْنِ أَسْقِيَهُ سَمَاءَ صَدِيًّا  
 يقول : لما كانت عزيزة المنال ، لا تتقيد بالمثال ، خفت من الحجاب بالمثال من الالتفات الغرضي النفسي ، فصرت أشهدا في كل شيء وقبل

(١) من الآية ٣ من سورة الأنبياء .



كل شيء من حيث تعلق ذلك الشيء بها في ثبوته قبل وجوده لا من حيث هي مجردة عن تعلق التشبيه بها ، ومن كونها غصناً أسقيه سماء يريد مطراً وغيثاً إشارة إلى ما تكون به الحياة العرفانية ، وصيباً نازلاً من أعلى ، يشير إلى أنه يأخذ من العلوم منة وفضلاً لا كسباً وتعملاً ويسقيه ليثمر عنه ما تعطيه قوته من المعارف المحمولة فيه .

إن طلعت كانت لعيني عجباً أو غربت كانت لحيني سبباً

إن طلعت كانت لعيني متعلق بطلعت ، والعجب الذي يقع منه حيث أدرك الخسيس على حساسته النفيس على نفاسته ، ولكن يسهل هذا الأمر عند من وقف عند قوله تعالى : ( كنت سمعه وبصره ) فما أدركه سواء ولا سمع كلامه غيره ، قال تعالى : ( ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ولا هم يسمعون )<sup>(١)</sup> ، ولما غاب هذا القائل عن هذا المشهد ، لذلك ذكر هذا ، وقد يريد بقوله فإن كنت في شك وهي لا تطلع فلا يكون عجباً وقوله : أو غربت كانت لحيني سبباً ، ينبه على صفة عشقية يموت للنقد شوقاً ، كما ذكره المحبون في كلامهم .

مذ عقد الحسن على مفرقها تاجاً من التبر عشت الذهبا  
الحسن مشهد عيني في مقام الفرق التي تميز فيها العبد من الرب ،

(١) من الآية ٢١ من سورة الأنفال .

وهو الفرق الثاني المطلوب ، وهو أعلى عند المحققين العارفين بالله من المقام في عين الجمع ، فإن الجمع على الحقيقة إذن بالتفرقة ، فإنه يؤذن بالكثرة ، ولا كثرة في العين ، فهو راجع إلى جمعك به عند أخذك منك ، وقوله : تاجاً ، زينة إلهية خارجة عن مقام الاستواء ، والذهب صفة كمال لـ كمال مراتب المقامات ، فإن الذهب حاز صفة كمال الاعتدال ، وهو أشرف المعادن ، وجعله تبراً ، أى لم تدنسه أيدي الكون بالتخليص ، فإنه في تبره أشرف في حقنا ، لأن ظهوره لنا بنا هو الذى يصح ويوجد ، وأما ظهوره لنا به فلا يصح ، فالطمع في غير مطعم جهل ، وجعله عشقاً من العشقة للعلاقة التي بين العبد والرب في الدقيقة التي ينزل فيها إلى قلبه بالمعرفة .

لو أن إبليس رأى من آدم نور محيّاها عليه ما أبى  
قيل لإبليس : اسجد لآدم ، فغاب عن لام الخفض التي هي إشارة إلى لام الإضافة ، واحتجب العلم عنه بذكر آدم ، فلو رأى اللام من قوله لآدم لرأى نور محيّا هذه الذات المطلوبة لقلوب الرجال ، فما كانت تتصور منه الإبادة عما دعاه إليه ، فاحتجب إبليس واستكبر بنظره إلى عنصره الأعلى عن عنصر آدم الترابي ، فلما رأى الشرف له امتنع عن النزول للأخس ، وما عرف ما أبطن الله له فيه من سبحات الأسماء الإلهية والإحاطة .

لو أن إدريس رأى ما رقم الحسن بخديها إذا ما كتبها

إدريس : من الدرس ، وهو العلم المكتسب مقام أيضاً شريف ،  
يقول : لو أن صاحب العلم النظري الإلهي رأى ما كتبه بالرقم العياني الإلهي  
بوجه هذه الصفة المطلوبة ما طلب اكتساب علم ولا كتب علماً أصلاً ،  
فإن كل علم مندرج في هذا المشهد العظيم العياني ، ثم قال :

لو أن بلقيس رأت رفرها ما خطر العرش ولا الصرحُ بياً

حقيقة برزخية بين الإنس والجن ، ورفرفها : مرتبتها ، والهاء تعود  
على هذه النقطة المطلوبة الذاتية ما خطر لها عظيم مقامها الذي هو سرير  
ملكها ، ولا الصرح السليمانى لها ببال ، إذ هوها في عظيم ماتراه في علو  
مرتبتها ، وهذه الحقيقة البرزخية يشهد لها السالك عند انفصالها عن تُرَابِ بَيْتِهِ  
إلى ناره من حيث اجتماع طرفي الدائرة لا على ما يقتضيه الترتيب الطبيعي  
عن الانفصال عن التراب إلى الماء إلى الهواء إلى النار ، وقوله : بيا ،  
حذف اللام للدلالة عليها فيما يقتضيه الكلام ، وإنما حذف اللام لمعنى آخر  
ليبقى حرف الباء خاصة وهو مقام العقل الذي هو في ثانی مرتبة من الوجود  
كما أن الباء في المرتبة الثانية من الحروف ، فكأنه يقول إذا أقيمت هذه  
الحقيقة البرزخية في مقام التملك لمرتبة العقل التي هي أقصى المراتب فيكون  
ذلك عرشها وحالها صرحها لم يخطر لها ببال ، فكيف إذا كانت مع  
صورتها البرزخية ، ثم قال :





يا بانه الوادى أرينا فننا في لين أعطاف لها أو قضا  
 ريح صبا يخبر عن عصر صبا بحاجر أو بمنى أو بقبا  
 يخاطب ميل الكون إلى جناب الحق يقول : إني ميلك ونعمتك من  
 ميل حضرة الحق إليك ونعمتها وظهور أنوارها عليك ، وذلك لأن ميلك  
 إليها ميل افتقار واستفادة وميلها إليك ميل غناء وإفادة فلا نسبة إلا من  
 حيث النقيض وذكر الفن لما في لفظه من الفنون ، وهى أنواع المعارف ،  
 وذكر القضب لملها القضيبي يشير إلى المعارف الذوقية ، وذكر الأعطاف  
 وهو جمع عطف ، وهو العطف الإلهي التي تتضمنه الرحمة الشاملة المطلقة  
 التي وسعت كل شيء وبها حاج إبليس سهل بن عبد الله<sup>(١)</sup> التستري ،  
 فقال له : التقييد صفتك يا سهل لا صفته ، فإن الله لا يحجر بعد السعة ،  
 ولكن يقسم أنواع المشارب على عباده فيعطى قوماً من وجه ما ، ويعطى  
 آخرين من وجه آخر ، فلا يتقيد على الحق شيء تعالى الله عن ذلك علواً  
 كبيراً فرحمته المتقين من باب الوجوب الإلهي الذي أوجبه على نفسه ورحمة  
 غير المتقين من باب المنة والفضل ، كما كان التقوى للمتقين من باب المنة

(١) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع التستري  
 تخرج عن خاله محمد بن سوار ولقى أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم توفي في  
 المحرم سنة ٢٨٣ هـ قال أبو تيم: عامة كلامه في تصفية الأعمال ، وتنقية الاحوال  
 عن المعايب والإللال ومن كلامه أصولنا ستة أشياء : التمسك بكتاب الله تعالى ،  
 والافتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال ، وكف الأذى ،  
 واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق .



والفضل ، إذا فرحته على بابها وسعت كل شيء ، وقوله : ريح صبا تخبر عن عصر صبا يقول نسيم روح المعارف من جانب الكشف والتجلي أخبر عن أوان زمان الشباب الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول المطر ، فكشف رأسه عليه الصلاة والسلام حتى أصابه المطر ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنه حديث عهد بربه ، فهذا أشار بعصر الصبا ، وفيه أيضاً من اشتقاق الصبا من الصبابة وهي الميل ، فكأن هذه الريح تخبر عن أوان الميل بالأعطاف الإلهية ، قال : ووقع أخبار هذه الريح في مقامات مختلفة منها مقام الحرمة ومقام تمييز الأشياء بحقائقها بعضها عن بعض فكنى عنه بحاجر من التججير ، ومنها مقام التمني مع وجود الطهارة والزكاة فكنى عنه بمنى ، ومنها مقام الراحة والتجريد فكنى عنه بقبا ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها في كل سبت ، والسبت حلق الرأس ففيه مقام التجريد ، ثم قال :

أو بالنقا فالمنحني عند الحمى أو لعلع حيث مراتعُ الظبي

يقول : أيضاً أو بالنقا ، يشير إلى الكثيب الذي تقع فيه الرؤية ، وقوله : فالمنحني ما يكون من الشفقة الإلهية ، والعطف من باب الرحمة بالكون لبقاء العين عند ظهور العين التي هي الحمى ، فلا تنال مع كونها تشهد ، وقوله : أو لعلع من التولع ، يشير إلى حالة عشقية حيث مراتع الظبي لتشبيه أهل الحسن والجمال بها ، أو لأنها محل الأعراف الطيبة النسر لكون الظبي تحمل المسك في نواجذها فتأكل الطيب وتطرح الطيب .



لا عجبٌ ، لا عجبٌ لا عجباً من عربي يتهاوى العرباً

يفنى إذا ما صدحت قمريةً بذكر من يهواه فيه طرباً

يقول : لا تعجبوا من شيء يحن إلى أصله ويشتاق إليه ، وقوله :

\* يفنى إذا ما صدحت قمرية \*

كنى بالقمرية عن نفس عارف مثله قد فوهت بأمر علوى أشاقه إلى ما جاء

عنه ، وقد أشار إلى هذه القمرية بعض العقلاء<sup>(١)</sup> بقوله :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وكان الصدح من هذه الحمامة بلسان الأنس والجمال فكان فناؤه طرباً لحسن

السماع بذكر من يهواه .

\* \* \*

وقال رضى الله عنه

بالجزع بين الأبرقين الموعد فأنخ ركائبنا فهذا المورد

لما كان الجزع منعطف الوادى أشار به إلى العواطف الإلهية ، وجمله

بين الأبرقين ، وقد ذكرنا أن البرق مشهد ذاتى وسناه للشاهد الذاتى الذى

يحصل فى نفس المشاهد عند الرؤية ، والموعد ما وقع عليه الوعد كما قال

(١) هو عمر بن الفارض .

تعالى : ( جنات عدن ) وهي جنة الإقامة فصفة الجنة التي وعد الرحمن مقام اللطف عباده مقام العبودية بإضافة الاختصاص بالغيب ، أو يريد مقام الإيمان .

قال أبو يزيد رضى الله عنه : أنتم أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، ونحن أخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت ، من حيث الخبر الإلهى على اللسان النبوى . وقد يريد بالغيب حالة أوان أخذ الميثاق على النفوس ، فكان غيباً ، أى فى عالم الأمر والملكوت ، إنه كان وعده مأتياً حقاً صدقاً على المعنى .

وقوله : ( فأنخ ركائبنا ) إن أراد جنة الحس والمحسوس ، فالركائب هنا هى الهياكل الحاملة للطائف الإنسانية ، والمورد هو ما ينزلون عليه من النعيم الدائم الملبوذ للنفوس والأعين ، وإن أراد جنة المعانى فالركائب هنا مطايا الهمم ، وقوله : أنخ ، أى لا تتعدى الهمم ما تعلقت به مطالبها ، والمورد عبارة عن بلوغها أمنيتها ، وهو سر الحياة الدائمة ، فإن كان لها أمر فوق هذا فهو خارج عن الموعد من باب المنة والفضل الإلهى الذى لا يدخل تحت حصر ولا حد .

ثم قال :

لا تطلبن ولا تنادى بعده يا حاجر ، يا بارق ، يا شهيد

يقول : إذا وصلت إلى هذا المورد على التفسير التالى لا نطلب بعده



أمراً آخر ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس وراء الله مرمى ،  
وليس وراء الله منتهى ، وماذا بعد الحق إلا الضلال » .

وأما تخصيص الحاجر والبارق والتهمد فإن المنع واقع عند بلوغ هذا  
المورد والندا بعد فكأنه نقيض حاله لو نادى بالحاجر وكذلك البارق فإنه  
في مشهد ذاتي وكذلك التهمد فإن البرق متصل به مضاف إليه ، كما قال  
طرفة بن العبد :

\* نخولة أطلال ببرقة تهمد \*

فأراد هنا يابرة تهمد فحذف والضمير الذي بعد يعود على الوصول كأنه قال :  
بعد الوصول لا بعد المورد إذ لا بعدية هناك .

والعب كما لعبت أو انس نهْدُ وارتع كما رتعت ظباء شرْدُ  
في روضة غناء صاح ذئابها فأجابه طرباً هناك مفرْدُ

كنى بالروضة عن الحضرة الإلهية بما تحويه من الأسماء المقدسة والنعوت  
والعب تصرف حالات متنوعة ، وهي انتقالات هذا العبد من اسم إلى  
اسم بحالة الأنا والجمال والذوق ، ولهذا قال : العب وارتع ، وأوقع التشبيه  
بالأوانس لما ذكرناه ، والنهد لأنها محل الرضاع ، واللبن الفطرة التوحيدية  
التي طلب النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة منها كما أمره الحق تعالى ، وأشار  
إلى ميازيب العلوم التوحيدية الفطرية .

وأوقع التشبيه أيضاً في الذوق بالظبي الشرذ لبعدها من الأغيار فتأني

الأما كن التي لم تدنمها الأقدام فتطيب مراعيها وتصفو مشاربها ، وكأنه  
دله على علم التنزيه والتقديس ، وكفى بالغناء عن الفهوانية ، والذئاب  
الأرواح اللطيفة .

وقوله : فأجابه طرباً ، من مقام السرور والابتهاج ، والمفرد النفس  
الإنسانية من حيث ما لها في تلك الحضرة من الصور ، فإن للنفس الإنسانية  
في كل حضرة وفلك ومقام صورة ، وقد نبه على ذلك عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما في تفسيره المنسوب إليه .

رقت حواشيهَا وَرَقٌ نَسِيمَهَا فَالغَيْمُ يُبْرِقُ وَالغَمَامَةُ تُرْعِدُ

يقول : لطفت معاني ما تحمله من الظرف والأدب ، ولطف عالم  
الأنفاس منها ، وقوله :

\* فالغيم يبرق والغمامة ترعد \*

إشارة إلى حالتين : مشاهدة وخطاب « وجاء ربك في ظلل من الغمام »<sup>(١)</sup>  
و « كان الله في عمام ما فوقه هواء وما تحته هواء » والحديث مشهور عند  
العلماء ، وفيه روايتان المد والقصر ، واستشهدانا به في هذا المعنى إذا كان  
بالمد لا غير .

---

(١) في ظلل من الغمام ، أى الغمام المتراكم ، وفي بمعنى الباء ، أى يأتهم  
بظل الغمام .

وَالْوَذْقَ يَنْزِلُ مِنْ خِلَالِ سَحَابِهِ كَمَا دُمُوعٌ صَبَّ لِلْفِرَاقِ تَبَدُّدُ

يقول : وتزول المعارف الإلهية من خلال السحاب ، يعني أبواب التجلي ودقائقه في المقام الغامى ، ويشبهه بدموع الصب أى تنزل محبة وشوق تخصصاً له على مقام الخلة والاصطفاء والتبديد المنسوب إليها أى أنها خارجة عن حكم ما يقتضيه الكسب ، فهو فوق الموازين لأنه تعالى يقول : ( وما ينزله إلا بقدر معلوم )<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ( وإلكن ينزل بقدر ما يشاء )<sup>(٢)</sup> .

وَاشْرَبْ سُلَافَةَ خَمْرٍهَا بِخَمَارِهَا

وَاطْرَبْ عَلَى غَرْدٍ هُنَالِكَ يُنْشِدُ

قال الله تعالى : ( وأنهاراً من خمر لذة للشاربين )<sup>(٣)</sup> ، وصرفه إلى المعانى والمعارف التى يكون عنها السرور والابتهاج والفرح وإزالة الغموم والتجريد من الكم والكيف والهياكل الظلمانية ، والتنزه عن ملاحظة الأكوان الجسمية والجسمانية مطلوب الأفاضل من العلماء الإلهيين ، وجعل الخمر سلافة ، يقول : ما فيها تعمل ، ولا درستها أقدام ، ولا استخراجها معصار ، لكن صدرت عن أصلها بقوة أصلها ، فظهرت فى عينها لعينها

(١) سورة الحجر الآية : ٢١ . (٢) سورة الشورى الآية : ٢٧ .

(٣) سورة محمد الآية : ١٥

فلم تشهد سوى ذاتها وأصلها الصادرة عنه ، فهي علوم ربانية ومعارف مقدسة إلهية تورث ما ذكرناه .

والغرد الذي ينشد هنالك هو الناطق الذي ينتجه الذكر الجامع ، فتسمعه اللطيفة الإنسانية في ذاتها فتلتذ بسماعه ولا سيما إذا تحمل معارف يخاطبها بها مثل هذا الخطاب الذي ورد به على هذا الشخص في هذا الحال بما ذكره في البيتين بعد هذا وهما :

وسلافة من عهد آدم أخبرت عن جنة المأوى حديثاً يسندُ  
إن الحسان تَفَلَّنَهُمَ من ريقه كالمسك جاد بها علينا الخردُ

هذا ذكر ما جاء به الناطق الغرد المنشد في خطابه في نعت هذه العلوم الخمرية ومرتبته والتنبية على أصابها وأصل عطريتها وقدمها ، وإنها من جنة المأوى ، أي من الحضرة التي تأوى نفوس العارفين في أوان التربية ، وقوله : إن الحسان ، يعني الأسماء الحسنى تَفَلَّنَهُمَ ، أي من محل الكلام والفهوانية والألسن والخرد مقام الحياء ، والخفر فيه إشارة إلى المشاهدة ، ولا سيما وقد تقدم ذكر الحسان ، ثم جعلها من باب الجود والمنة ، لا من باب الكسب والطلب ، فقال : جاد بها ، وقوله : كالمسك ، يجمع بين الشم والذوق .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

يا أيها البيت العتيقُ تعالى نورٌ لكم بقلوبنا يتلّالا

البيت العتيق القديم ، وهو قلب العبد العارف التقيّ النقيّ الذي وسع الحق سبحانه حقيقته ، وقوله تعالى يقول : ارتفع لكم نور من القلوب شعشعاني وظهر على الألسنة والعيون والأسماع وسائر الجوارح ، فكان العبد في هذا المقام يسمع بالله وبه يبصر وبه يتكلم وبه يبسط وبه يسعى ويتحرك ، فإن القلب من الجسد مثل النقطة من المحيط في الوسط ، فالمحيط منها من كل جانب علواً ، فلماذا قال تعالى : أى اطلب العلو من معدن انبعاثه فيلقى الجوارح فيصرفها بحسب ما تعطيه من الحقائق فما تعالى منه إلى العين قيل فيه هذا الحق بصره ، وإلى الأذن قيل هذا سمعه ، وإلى الرّجل قيل هذا سعيه ، فتاب من هذه صفته في الخلق مناب الحق ، فكان خليفة حق في أرض صدق لإقامة ميزان عدل عن امتنان وفضل .

أشكو إليك مفاوزاً قد جُبْتُها

أرسلت فيها أدمعي إرسالاً

يصف حاله في سلوكه وسفره وما قطع في طريقه من الرياضات والمجاهدات التي كنى عنها بالمفاوز ، وقوله : أرسلت فيها أدمعي إرسالاً حالة شوقية للقاء المحبوب والظفر بالمطلوب .

أُمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَلَدَّ بَرَاحَةٍ أَصِيلُ الْبُكُورِ وَأَقْطَعُ الْأَصَالَ

يقول : تركت الراحات وأخذت بالعزائم والشدائد لبلوغ المقصد ،  
فإن الهمم تعلقت بعظيم عزيز الحى الطريق إليه وعرة صعبة وعقبتها كؤود  
فليس يوصل إليها إلا بالاتضاع .

إِن النِّيَاقَ وَإِن أُضِرَّ بِهَا الْوَحَى

تَمْرِي وَتَرْفَلُ فِي السَّرَى إِرْفَالًا

يقول : الهمم وإن أعيت لعزة المطلوب فإنها مع ذلك لا تفتقر ، فإن  
الأدلة العقلية تريد أن تحيرها لتقصير الأدلة عن تعقلها بما هو المطلوب عليه  
من الحقائق ، فربما يكسل بعض همم العارفين الذى لا ذوق لهم محقق  
فى الإلهية الواقفين مع الوجوب العقلى والجواز والاستحالة والأمر الإلهى  
خارج عن هذا التقييد ، فقد يحكم العقل بإحالة أمر ما وهو محال عقلاً ،  
لكن ليس محالاً نسبة إلهية ، وهكذا فى أكثر أحكامها فقد يدرك العقل  
بعض الأمور من تلك الحثيثة ولا يعرف بقصوره ، فيقول : هذا واجب  
عقلاً أو جائز أو محال ، وهو صحيح من حيث دلالة العقل لا يكون  
إلا هكذا لا من حيث النسبة الإلهية .

هَذِي الرِّكَابُ إِلَيْكُمْ سَارَتْ بِنَا شَوْقًا وَمَا تَرْجُو بِذَلِكَ وَصَالًا

الركاب كل حامل من الإنسان ظاهر أو باطن ، فإن السلوك يعم ذات

الإنسان عملاً وهمة ، فهي تحمل المشتاق وما ترجو وِصَالاً ، واللطيفة الإنسانية المحمولة أولى بالمشتاق التي ترجو الوصال ، وإن كان لهذه المراكب وصول من حيث ما هي ، ولكن الوصول الذي لأجله تسلك بها إنما هو اللطيفة الإنسانية ، ولا علم للمراكب بذلك فإنها تحت التسخير ، وبمحكم التسخير تمشى ولو كشف الغطاء لبدت الحقائق لكل ذى عين ، كما أشرنا إليها فهينئاً لأهل الكشف ، ثم قال :

قطعت إليك سباسباً ورمالاً      جداً وما تشكو لذلك كلالاً  
ما تشكى ألم الوجى وأنا الذى      أشكو الكلال لقد أتيت محالاً

يقول : هذه المراكب الكثيفة واللطيفة ارتكبت هذه المشاق ، ولم يظهر عليها أثر إعياء ولا وهن ، وأنا مالى فيها سوى الأمر والتدبير ، والنظر بمحكم السياسة لإقامة هذه النشأة واكتساب المعارف ودعوى المحبة ، ثم أشكو الضجر والإعياء لقد أتيت محالاً فى دعواى .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

بين النقا ولفاع      ظباء ذات الأجرع

يقول : بين كثيب المسك الأبيض الذى تكون فيه الرؤية والتولع به فنون من المعارف الملازمة إليها لمقامات التجريد وأحواله من قامت به

جرعته النقص العظيمه هيئانا وشوقاً إلى المعروف التي هي دلالة عليه ،  
إذ لا بدّ لكل علم من معلوم هو متعلقه وإن كان عينه لكن من حيث  
ما هو الشيء كذا خلاف كونه من حيث أمر آخر ، ثم قال :  
ترعى بها في خمرٍ خمائلاً وترعى

يقول : هذه المعارف المشبهة بالظبي ترعى ، أي تتناول بحقيقتها من قوة  
من قامت به لغلبة سلطانها عليه ، والخمر الشجر الملتف المتداخل بعضه  
في بعض إشارة إلى عالم الامتزاج والتداخل منه ، والخمائل مثل ذلك إلا أنه  
قابل امتزاجاً بامتزاج ، أي لكل ثمر قطف ويد تقطف من جنسها لا تقدر  
يد أخرى تتناول ذلك ، وسببه الاتساع الإلهي ، أي لا يتكرر شيء  
في الوجود ، فإنه يودي إلى الضيق والحقائق تأتي ذلك .

ما طلعت أهلة بأفق ذاك المطلع  
إلا وددت أنها من حذرٍ لم تطلع

يقول : ما طلعت أهلة ، أي تجليات في مثل أحوال الهلال المرتقب هنا  
لطلب الشهود بأفق ذاك المطلع ، يعني ذلك الكتيب الذي ذكره بلفظ  
النقا ، وقوله :

إلا وددت أنها من حذرٍ . . .

يقول : من خوف على فناء المشاهد في نفسه عن نفسه فتذهب عينه ،  
( ١١ — ذخائر )



والفرض بقاؤه لنفسه بربه ولربه بربه لا بنفسه لنفسه ولا لربه بنفسه ووجه آخر وهو أنه قد تقرر أن التجلي على ما هو المتجلى عليه في نفسه لنفسه محال حصوله لأحد فلا يقع التجلي إلا من دون ذلك مما يليق بمن يتجلى له فيخاف على المتجلى له أن يعتقد أن الأمر في نفسه لنفسه على ذلك بعينه فتحصل الإحاطة وحصولها محال كما ذهب بعض النظائر في معرفة الباري سبحانه إلى أن معرفتنا به ومعرفة جبريل له ومعرفة بنفسه سبحانه على السواء وما أبعد هذا من العلم<sup>(١)</sup> الصحيح :

وَلَا يَدَّتْ لَامِعَةٌ مِنْ بَرْقِ ذَاكَ الْيَرْمَعِ<sup>(٢)</sup>  
إِلَّا اشْتَهَيْتْ أَنَّهَا لِمَا بِنَا لَمْ تَلْمَعِ

يقول: ولا بدت لامعة يشير إلى تجلي جمادى يقابله نور شعشعاني كقابلة نور الشمس لهذه الحجارة الملس البراقة ومحلمها الأرض كما أن محل الأهالة السماء فيقول إنه سواء كان التجلي علوياً أو سفلياً طبيعياً أو غير طبيعي لا أريد أن يقع لما ذكرنا في التفسير قبل هذا ولهذا قال: (لما بنا لم تلمع) يشير إلى ما ذكرناه في التفسير على الوجه الثاني من أن يعتقد أن الأمر في نفسه كما تجلى له .

يَا دَمَعَتِي فَاَنْسَكِي يَا مُقَلَّتِي لَا تَقْلَعِي

(١) بل هو بعيد كل البعد .

(٢) اليرمع حجارة رخوة إذا فتت انفتت .

يا زفرتي خذ صعدا يا كبدى تصدعي

يخاطب عالم النزول والصعود كما ورد في الخبر ( يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار ) فما يصعد منه فهو الهمة وما ينزل إليه فهو المعارف الوهبية والتي تأتي بها الملقيات ، وقوله ( يا كبدى تصدعي ) خزانة الغذاء حقيقة ميكائيلية يقول لمقسم الأرزاق ورزق كل عالم بحسب مشاكلة والتصدع التفرق على حسب العالم الذي يتغذى منه كأفواه العروق الملتقمة من الكبد ما تعطيه من الدم في تلك المجارى ( فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم )<sup>(١)</sup> .

وأنت يا حادى أتند فالنار لين أضلعي  
قد فنيت مما جرى خوف الفراق أذمى  
حتى إذا حلّ النوى لم تلق عينا تدمع

يخاطب داعى الحق الذى يدعو الهم إليه بالتوجه يقول لا تعجل فإن نيران الحب قد أنضجت كبدى ثم أتى في حال الفراق مع رغبتى في حصول المشاهدة والاتصال أفكر في البينونة عن تلك الحالة فأبكي لها قبل وقوعها حتى لو وقعت لم تجد العين دمة ترسلها عند الفراق لأنها فنيت تلك الرطوبات لهذه النار وعظم حرارتها وكثرة ما أرسلته من العبرات خوف البين .

(١) سورة البقرة من الآية ٦٠

فَارْحَلْ إِلَى وَادِي اللّوِي مَرَّتَهُمْ وَمِصْرَعِي  
إِنْ بِهِ أَحْبَبْتِي عِنْدَ مِيَاهِ الْأَجْرَعِ

يشير إلى مقام العطف كنى عنه باللوى والرقة فإن اللوى حيث يلتوى الرمل ويرقق ، يقول ذلك المقام هو مرتع لهم وهو مصرعى فإن بتعطفهم على أفنى وأذوب بل أموت دهشاً وحيرة عند ذلك العطف الإلهي وقوله ( إن به أحبتي ) يعنى بمقام اللوى فإن العطف إنما هو منهم بهم لا بغيرهم وقوله : ( عند مياه الأجرع ) يقول لا يحصل لك هذا العطف الإلهي إلا بعد تجرّيع الفصص في الرياضات والمجاهدات فحصولها مقرون بحصول هذه الفصص بل هي التي تنتج عن هذا العطف واللفظ والرقة والحنان .

وَنَادِهِمْ مَنْ لَفَّتِي ذِي لَوْعَةٍ مُودَعٍ  
رَمَّتْ بِهِ أَشْجَانَهُ بِهِمَا رَسْمٌ بَلْقَعِ

يقول : ونادهم أى الأحبة من لفتي من الفتوة ذى لوعة حرقه الشوق مودع يريد حالة الاتصراف من المشاهدة إلى ذاته كما ورد في رؤية الجنة إذا تجلى الحق لعباده ورأوه وهم بالكثيب في جنة عدن يقول ردوهم إلى قصورهم، وقوله ( رمت به أشجانه ) أى أحزانه بهما حالة التجريد في حالة السلوك وحالة الحيرة في حالة حصول المعارف والرسم بقية الأثر والبلقع الخراب يقول : إن هذه الحيرة حصل منها على ما بقى فيه من الأثر الذي لا يمكن زواله إذ لو زال زالت عينه وجعله خراباً لما أثرت فيه الرياضات

والمجاهدات والمعارف والتجليات من الأحكام التي أذهبت منه كل ما لا يليق  
بظهورها عليه فصار خراباً منها لا أنه خراب في نفسه بل ذلك الخراب هو  
العارة على الحقيقة ثم قال :

يا قرأً تحت دُجى خذ منه شيئاً ودع  
وزوديه نظراً من خلف ذاك البرقع  
لأنه يضعف عن درك الجمال الأروع

الدجى هنا كناية عن الصورة التي يقع فيها التجلى قرأً إذا كان الدجى  
ظل الأرض فظلها صورة طبيعية ، وقوله : خذ منه شيئاً غير معين يريد  
ما يناسبه ودع ما لا يناسبه لتجل آخر مثل التحليل في الإسراء بتركه عند  
كل عالم ما يناسبه إلى أن تبقى اللطيفة الربانية المنفوخة فيبقى عند الحق بالحق  
بما شاء الحق ثم يردّها إلى عرشها وملكها فتنفصل فتأخذ من كل عالم  
ما تركت عنده حتى تنزل إلى الأرض وقد انتظم ملكها وقام عرشها  
فتستوى عليه بالتدبير وقوله وزود به يقول لصورة القمر نظرة أى مشاهدة  
وذكره بلفظ الزاد لوقوع السفر عنه بعده وقوله :

\* من خلف ذاك البرقع \*

أى اجعل له علامة يعلم بها أن تلك الصورة المتجلى له فيها حجاب عن عين  
الحقيقة فيعرف ما رأى ومن رأى وأيضاً فإنه يضعف الممكن عن إدراك  
الجمال الأزلى وجعله أروع أى أنه مهاب يخاف من سطوته .

أو عَالِيهِ بِالْمُنَا عساه يحيى ويمى

ما هو إلا ميت بين النقا ولعلع  
فمت ياساً وأسى كما أنا في موضعي

يقول: عليه بالمتى، عديه موعداً حسناً بما يلائم غرضه مثل قوله أوف  
بعهدكم فإنه يحبي نفسه بذلك ويعي ما يقال له فيلزم الآداب وما ينبغى فإن  
المتى مما تحبي به النفوس ولا سيما إذا كانت من صادق جواد على الإطلاق  
فإنه ميت بين المسكاة الزلني بالكثيب الأبيض وبين الولوع به والتعلق  
لأنه حمل شهود المحبوب وقوله فمت ياساً من تعلق الإدراك بحقيقة  
المطلوب وأسى على ما فات من زمن جهالتى بما ينبغى فإنه من طمع فيما  
لا مطمع فيه خسر الوقت وشهد الحال عليه بجهله وقوله ( كما أنا في  
موضعي ) أى لم أحد حيث أضع قدم الانتقال على الحالة التى أنا عليها إذ  
لا ابن ولا كم ولا كيف بل تنزيه مجرد، ثم قال:

ما صدقت ريح الصبا حين أتت بالخدع  
قد تكذب الريح إذا تسمع ما لم تسمع

يريد ريح عالم الأنفاس المخبرة بالكوائن التى تودعها حضرة  
الطيب أو الكلام وجعلها للصبا وهو موضع الشروق يقتول ما صدقت  
أخبار التجليات حين أتت فيها بصور التشبيه إذ لا يشبه شيئاً ولا يشبه شياً\*  
فكانها أخبار أتت بالأمر على خلاف ما هو عليه فجعله مثل الخديعة وقد  
يظهر فى الشريعة مثل هذا وهو قوله تعالى: ( ليس كمثل شىء ) ثم قال

عليه السلام للسوداء<sup>(١)</sup> «أين» الله؟ فأشارت إلى السماء فجعل الخطاب عنه تعالى كخطاب من يسأل عنه من التحيزات إذ المتحيز هو الذي يقبل ظرفية المكان فقال عليه السلام أعتقها فإنها مؤمنة فما كلف أمته أكثر مما تسعه أفهامهم وسماء إيماناً وما قال فإنها عالمة فإنه سبحانه لا يتمحيز وقولها: في السماء تحيز فالإيمان يقبل هذا القول والإيمان سبب سعادى وضعة الشرع للخلق وللإيمان يستغنى به عن العلم ولا يستغنى بالعلم عن الإيمان وقوله: قد تكذب الريح إذا تسمع ما لم تسمع مثاله الريح إذا هبت بيد حنين تسمع آذان الناس أصوات كؤوسات ومعلوم أنه مائم كؤوس تضرب ولا طبل فما نقلت صحيحاً وإنما تلك الأصوات انزعاجها والهبوب وأما كن مجوفة تعطى تلك الأصوات فعلى الحقيقة أنها أعطت صوتاً في آذان السامع لا غير والحاكم عليها بأن ذلك صوت طبل أو غيره ليس ذلك وإنما أخطأ أن كان ذلك خطأ الحاكم على ذلك الصوت بأنه كذا

(١) هذه الرواية من تصرف الرواة وقد أخطأوا فيها الخطأ الكبير فإن العرب كلهم يعتقدون أن الله في السماء ولم يخرجهم ذلك من الشرك بل قال صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وبهذا يتبين خطأ من قال أين الله؟ وقد جود حديث الجارية الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة فذكر من طريق ابن شهاب الزهري عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: «تشهدين أن لا إله إلا الله» الحديث فقالت نعم.

وكذا كل ما يعطيه الحس من المغاليط ليس على الحقيقة نسبة الغلط إلى الحس وإنما الغلط للحاكم وهو امر آخر وراء الحس .

\* \* \*

بأبي الغصون المذائلات عواظنا والعاظفات على الخدود سَوَافِئًا  
المرسلات من الشعور غدائرا اللَّيِّنَاتِ معاقدا ومعاظنا

قوله بأبي إشارة إلى العقل الأول يفدى به النعموت التي تحمل المعارف الإلهية للعارفين بطريق العطف الإلهي للعطف المقدس كما قال تعالى : ( قطوفها دانية )<sup>(١)</sup> وقوله العاظفات على الخدود صفة وجهية ، سوافائا رتبة إلهية لها في القلوب لدغ وحرقة توجب اصطلام العبد على نفسه هياناً وعشماً ، وأقام هذه الصفات في الكناية عنها مقام المخدرات المقصورات فأخذ يستعير لها مما هو حقيقة لمن كنى بهن عن ذلك فقال أيضاً المرسلات اسم فاعل والغدائر اسم مفعول هي المرسلات من الشعور كنى به عن العلوم الخفية والأسرار المكتومة التي لا يستدل عليها إلا بضرب من التلويحات البعيدة لنزاهتها وجعلها غدائر على تقاسيم هذه المعارف على مراتبها إذ ليست على مرتبة واحدة وقوله : (الليينات معاقدا ومعاظنا) يقول إنها وإن كانت صعبة للرام من حيث نزاهتها إذا رماها نحن من حيث نحن فهي سهلة التناول

(١) من الآية ٢٤ من سورة الحاقة

لكرمها وعطفها ونزولها إلينا جوداً ورحمة كما قال تعالى : ( آتيناها رحمة  
من عندنا وعلمناه من لدنا علماً )<sup>(١)</sup> فلم يذكر له تعمل في تحصيل شيء من  
ذلك وجعل الكل منه امتناناً وفضلاً والمعاهد المذكورة هنا تداخل صفات  
الخلق وصفات الحق وانعقاد الصفتين . به كما وردت الأخبار في ذلك  
ولكنها عند هؤلاء المعتنى بهم الذين كشف الله عن بصائرهم غطاء العمى  
وسهل عليهم معرفة ذلك بالكشف الإلهي فلأن ما قوى من ذلك  
عندهم عرفوه .

الساحبات من الدلال ذلذلا اللابسات من الجمال مطارفا  
الباخلات بحسنهن صيانة الواهبات متالداً ومطارفا

لما أقيمت هذه المعارف للعارف من حضرة المثال كما أقيم المعلم في  
صورة اللبن نعمتها بما تنعت به تلك الصورة المتجلى فيها فقال إنها تجر أذيالها  
تياً ونخوة وعجباً لعلو منصبها ومكانتها ، والمطارف الأكسية المخططة  
فقال : إنها ليست ضروباً متنوعة من الزينة والجمال وذلك لتنوعات  
وجوهها ومتعلقاتها وقوله الباخلات بحسنهن صيانة الإشارة بذلك إلى  
الخبر « لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظالموها » فهي لا تستحق أن تكون  
عند من لا يعرف قدرها لأنها علوم مشاهدة لا علوم نظر واستدلال  
والمشاهدة لا تعطى لكل أحد وقوله : (الواهبات متالداً ومطارفا) وذلك لما

(١) من الآية ٦٥ من سورة الكهف .



لما عز شهودها على أكثر العقلاء وعلى كل من تقيد في تحصيل العلوم بطريق النظر الذي هو الفكر الصحيح والاستدلال وهبتهم من خلف الحجاب الأقدس معرفة مأخذ الأدلة بطريق الفكر الصحيح والاستدلال لأهل هذا الشأن خاصة فعرفوا منها على قدر ما أعطاهم نظارهم الذي هو هبتهم فكفى عنها بالمتالد والمطارف وهو المثال المحدث والقديم ، فعبر بالقديم عن كل عالم علم أمراً ما بدليل نصبه غيره ، فاستفاده هذا المتأخر عنه والحديث هو الذي امتن الله عليه في علم ما ينصب دليل لاح له من فكره الصحيح لم يستفده من غيره في أصل وضعه ، فعن هذا كنى بالمتالد والمطارف .  
ثم قال :

أَلْوَنَاتُ مَضَاحِكَا وَمَبَاسِمَا الطَّيِّبَاتُ مُقْبَلًا وَمَرَّاشِفَا  
النَّاعِمَاتُ مَجْرَدًا وَالكَاعِبَاتُ مُنْهَدًا وَالْمَهْدِيَاتُ ظَرَايِفَا

وصفها بحسن المبسم عند التبسم والضحك إشارة إلى الفهوانية وإلى حصولها عنده من مقام الأنس والجمال والمودة كما كانت الإشارة من الحق تعالى لمحمد عليه السلام في نزول جبريل عليه السلام في صورة دحية وكان أجمل أهل زمانه فإنه يشير إلى أنه أي محمد ليس بيني وبينك إلا صورة الجمال تأنيساً له وتعريفاً بما له عنده وكان من جمال دحية أنه لما ورد المدينة ما رأته حامل إلا وضعت حملها من حينها من هيبة جماله فناء فيه وانخلاعاً وقوله ( الطيبات مقبلا ومراشفاً ) هو ما كان منه له من القبول عند الخطاب والمراشف هو ما ارتشفه منها عند المشاهدة ، والمشاهدة والخطاب لا يجتمعان

عندنا لأن حقيقة منها تغنيه عن غيرها ، فلمزالا يجتسمان أبدأ ، وقوله :  
(الباغات مجرداً) يشير إلى ما اكتسبه من العلوم من حاسة اللمس في حضرة  
المثال والتخييل إذا وقع التجلي المعنوي فيها وقوله : (الكاعبات منهداً)  
وهو التي صار نهدها كالكعب وهي أحسن ما تكون فيه الجارية يشير  
إلى أن محل حمل المعارف تجلي له ليشهد كيف يتحمل المعارف الإلهية فيه  
حتى تؤديه المعارف المعتبرة به في أوان تربيته القدرة له عند الله تعالى أخذه  
من هذا الوجه وهو مشهد عزيز ينظر إليه قوله تعالى ( ما أشهدتهم خلق  
السموات والأرض ولا خلق أنفسهم )<sup>(١)</sup> وهو صورة تعلق القدرة بالمقدور  
حالة الإيجاد والمانع من ذلك معلوم عندنا لا يسع هذا الشرح بسطة المنازعة  
الخصوم فيه وقوله : (المهديات طرائفا) هو ما ألت عليه من معرفة نصب  
الأدلة على ما يحاوله من تحصيل العلوم لا غيره ، ثم قال :

الخالباتُ بكل سحرٍ مُعجِبِ      عندَ الحديثِ مسامعاً ولطائفِ  
السانراتُ من الحياءِ محاسناً      تسبي بها القلبِ التقى الخائفِ

يقول إنها تخطف العقول عن أصحابها عند إيرادها عليه ما تسمعه من  
الخطاب العجيب والكلام الحسن فلا تترك له سمعاً يسمع به بعد هذا كوناً  
من الأكوان من حيث كونه لكن من حيث ما هي فيه ، فبهذا يسمع

(١) من الآية ٥١ من سورة الكهف .



حديث الأ كوان كما ورد فيمن أحبه الحق تعالى في قرب النوافل فيكون الحق تعالى : « سمعه وبصره ولسانه ويده » والخبر المشهور في الصحيح، واللطائف جمع لطيفة وأراد بها نفس السامع فإنه من اصطلاح القوم في العبارة عنها أن يقولوا لطيفة الإنسانية يريدون بها السر الذي به كان الإنسان إنساناً وقوله ( الساترات من الحياء محاسناً ) إشارة إلى الحجب التي بينك وبين هذه العلوم والتجليات والحياء المنسوب إليها إنما هو حياء من الله تعالى يستحي أن يتجلى للقلوب المشغولة بغير الله في غالب حالاتها وتشتغل بالله في بعض حالاتها فهم في هذا المقام بمنزلة المؤمنين في حالة قوله تعالى : ( وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً )<sup>(١)</sup> فلماذا قرن الحياء هنا بالستر ، قال: وهذه المحاسن إذا تجلت لقلب التقى الخائف أخذته عن نفسه وهيمته فيها كما ورد أيضاً في الجانب الإلهي عنه تعالى أنه قال ( وسعني قلب عبدي المؤمن ) التقى فلا بد من تطهير القلب وعمارته بهذه الصفات وحين تحصل له هذه السعة يحصل له شهود هذه المحاسن . ثم قال :

المبدياتُ من الثغور لآلياً تشفى بريقها ضعيفاً تالفاً  
الرامياتُ من العيون رواشفاً قلباً خيراً بالحروب مُثاقفاً  
يقول أظهروا من الحضرة الفهوانية جواهر العلوم الكبريائية فإن

(١) من الآية ١٠٢ من سورة التوبة .

الأؤلؤ هو الجواهر الكبير والمرجان ما صغر منه وقوله : ( تشفى بريقنها )  
 يقول إذا حصلت له هذه المعارف أذهبت علم الجهالات والشبه والشكوك  
 وقوله ( الراميات من العيون ) يريد الملاحظة العلوية من هذه العلوم  
 والرواشق أصابت قلوب من رميت عليه وقصدت به لأنها لا تخطيء وقوله  
 ( قلباً خبيراً بالحروب مثاقفاً ) يريد خبرته بطريق التباس العيون في حضرة  
 التمثيل كما قال تعالى ( وكان عرشه على الماء ) جاء رجل إلى النبي صلى الله  
 عليه وسلم وقال له يا رسول الله : رأيت البارحة الحق تعالى على عرشه ، قال  
 له : وأين كان عرشه؟ قال على البحر ، قال : ذلك عرش إبليس ، وانظر معرفة ،  
 إبليس ما أبدى له عرشه إلا على الماء ليلبس عليه ويعتقد فيه أنه ربه تعالى  
 فيسمع منه ما يلقي إليه ليزيله عن الإيمان ، فلماذا توصف قلوب العارفين  
 بالخبرة وبالثقاف والحذر من هذا الالتباس كما هي الشبه في حق النظائر التي  
 تأتيهم في صورة الأدلة وليست بأدلة ، ثم قال :

المطلعاتُ من الجيوب أهلةٌ لا تَلَقَيْنَ مع التمامِ كواسِفا  
 المنشآتُ من الدموعِ سجايباً المسمعاتُ من الزفيرِ قواصفا

كنى بالجيوب عن الحجب والملابس التي هي النعوت العلوية المقدسة  
 وقوله ( أهلة ) يشير إلى تجلى أفقى مطلوب ، وقوله لا يعترى تلك الأهلة  
 كسوف أى لم يبق لها شهوة طبيعية تحكم عليها فتحجبها عن المناظر العلى  
 لأن سبب كسوف الهلال إنما هو ظل الأرض في ترتيب نشأة العالم ، وإن

كان الكسوف سببه التجلي الإلهي فيخضع فيظهر ذلك الخشوع عليه فيسمى كسوفاً ، ذكر النسائي في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكسوف فقال : ما تجلى الله لشيء إلا خضع له ، فنبه بالمعنى الحاصل في القمر ، والشمس عند هذا السبب الوضعي في سباحتهما في الأفلاك ، كما قدرها سبحانه ، كما قال : ( والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ) فلا يتناقض ما يعطيه الخبر وما ذكره علماء هذا الشأن من الأسباب في ذلك ، وقوله : ( المنشآت من الدموع سجائباً ) البيت بكماه يشير إلى أثرها في المكلفين بها المهيمين فيها المحبين لها ، إلى أن هذه حالاتهم . ثم قال :

يا صاحبي بمهجتي خصانةٌ أسدت إلى أيادي عوارفا  
 نظمت نظام الشمل فهي نظامنا  
 عريبةٌ عجماء تلهي العارفا

يقول هذا العارف إن هذه المعارف التي وصفها هي منتهى منها معرفة واحدة لطيفة برزخية ، ولهذا جعلها خصانة ، يقول إنها أوقفتني - صولها على معرفة ذاتي بذاتي لربي ولذاتي ، فجمعتني على وجمعتني بربي فانتظم شملي بنظمها فهي عريبة بي مني وعجماء فيما عرفتنى من ربي لأن المعرفة الإلهية إجمالية لا يمكن فيها تفصيل إلا بتشبيهه والتشبيه محال فالتفصيل محال فكما لا تشبيه كذلك لا تفصيل ، وإذا انتفى التفصيل فلا إجمال ، وإنما

يذكر الإجمال توسعة في الخطاب لفهم السامع إذ العبارات المصطلح بها تضيق عن تفهيم ما لا يدرك بها إلا ذوقاً ومشاهدة ، وقوله : ( تلهى العارفا ) ، يعني عن معرفته وعن نفسه بمشاهدته ، لأن العلم بالشيء وشهوده لا يجتمعان . ثم قال :

مهـارنـت سـآت عـليـك صـوارمـاً      وـيرـيـك مـبـسـمـهـا بـريـقـاً خـاطـفـاً  
يـا صـاحـبـي قـفـاً بـأ كـنـافـ الحـمـي      مـن حـاجـرٍ يـا صـاحـبـي قـفـاً قـفـاً

يقول: هذه الحقيقة إذا نظرت إليك أثرت فيك تأثير الصوارم في الجسوم يريد ما تعطيه من آثار المجاهدة والمشاق ويريك مبسمها بريقاً خاطفاً يقول يعطيك مشهداً ذاتياً في حال جمال وأنس ، لكنه يخطفك عنك ، فلا تبقى معك وقوله يا صاحبي يخاطب عقله وإيمانه يقول لها قفا بأ كناف نواحي الحمى حجاب العزة إلا حمى من حاجر ، أي أنه موضع التججير عن أن يدركه كون ، فالكل من ورائه وقف وعنده منتهى علوم العالمين ومعرفة العارفين .

حـتـى أسـأـنـل أين سـارـت عـيـسـهـم      فـقـد اقـتـحـمـت مـعـاطـبـاً و مـتـالـفـاً  
و مـعـالـمـاً و مـجـاهـلـاً      بـشـمـلـة      تـشـكـو الـوجـي و سـبـاسـبـاً و تـنـائـفـاً  
مـطـوـبـة الـاتـرابِ أـذـهـبَ سـيـرُها

بـحـثـثـة مـنـها قـوى و سـدائـفـاً

أراد بالعيس المهم التي هي مطايا العلوم واللطائف الإنسانية لأن بها

يبلغ المقصود ، كما قال العارف ، والههم للوصول فقد اقتحمت أى ولجت  
الغمرات وارتكبت المهالك التى تورث العطب والتلف منها ما كان معلوم  
لنا أنه متلف وحبنا جسدنا على اقتحامه مع المعرفة ، لأن المعرفة والمحبة  
تورث الشجاعة بك بلا شك ولا ريب ، ومنها ما كان مجهولاً لنا حتى  
حصلنا فيه فأتلفنا ، أى رميت نفسى من حبها فيما أعلم وفيما لا أعلم ،  
يقول : إنه لم يفكر فى عاقبة ولا خير فى حب يدبر بالعقل ، وقوله : بشملة  
كناية عن همة معينة منه لأمر مخصوص وقع له التعشق به ، وقوله : تشكو  
الوجى ، يعنى الحفا ، أى أنها لما حصلت بالوادى المقدس قيل لها : اخلع  
نعليك ، وكانت محمدية ، فشكت الحفا لمناسبة الطهارة فى النعل ، والوادى  
والسباسب والتنايف حالات التنزيه من جانب الحق والتجريد من جانبه ،  
ووصفها بأنها مطوية الأقراب لأنه أقوى فى سيرها وانهض لها فاستغاث ،  
وقوله : أذهب سرعة سيرها منها قوى ، أى كان لهذه الهمة وجوه كثيرة  
تتعلق بها ، فلما علقها بهذه الوجدانية حجبها عما كان لها من القوى فى تعلقها  
بالكثرة فكانه أضعفها ، كما يضعف البعير إذا ذهبت سدايقه التى هى  
شحمه وقوته . ثم قال :

حتى وقفتُ بها برملة حاجر فرأيتُ نوقاً بالأثيل خوالفاً

يقول : وصلت إلى حالة ميزت لى بين الأشياء وفصلته لى ، ومنعتنى  
أن أنظر إلى غير ما جلته لى ، فكان الذى رأيت نوقاً بالأثيل خوالفاً ،

( أى علوماً أصليّة تنتج علوماً آخر لمن قامت به ، فإن الخوالم النوق العظام التي لها أتباع . ثم قال :

يقتادها قمر عليه مهابةٌ فطويتُ من حذرٍ عليه شراسفاً  
يقول : يقتاد هذه الخوالم قمر حالة شهودية في صورة قمرية في مقام الإجلال والهيبة والشراسف أطراف الأضلاع حيث انحناؤها ، ولهذا قال : فطويت من حذر عليه لئلا يذهب عني فأفقدته شراسفاً كما تحنو على محبوبك إذا حصل عندك ، ولما كان القلب محل السعة الربانية ونعت الحق سبحانه نفسه ، وأنه في قلوب عباده على الوجه الذي يليق بهذا القدر من غير تشبيه ولا حصر ولا تكييف ولا تقييد ، ثم شبه تجليته بالقمر ، وقوله : يقتادها من قوله تعالى : ( ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها )<sup>(١)</sup> ، ثم قال :

قمرٌ تعرّض في الطواف فلم أكن بسواه عند طوافه بي طائفاً  
يمحو بفاضل برده آثاره فتحار لو كنت الدليل القائفاً

قمر تعرّض في الطواف صفة إحاطية كما أحاطة الطائف بالبيت في طوافه منه بي ومنى به من حيث نيتي لا من حيث هويته ، وقوله : يمحو بفاضل برده آثاره ، أى هذه الأدلة التي نصبها دليلاً عليه محابها ؛ (ليس كمثل شئ) ؛ (سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون) ، فأوقف العالم في مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف العارفون ما طلب منهم من العلم به وما لا يمكن

(١) من الآية ٥٦ من سورة هود .



أن يعلم منه فيتأدون ولا يتجاوزون مقاديرهم ، كما قالت اليهود في الخبر النبوي المشهور من كون الحق يضع الأرض يوم القيامة على أصبع والسموات على أصبع الحديث ، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ( وما قدروا لله حق قدره )<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

### وقال رضى الله عنه

بَأَثِيَلَاتِ النَّقَا سَرَبَ قَطَا ضَرَبَ الْحَسْنَ عَلِيهَا طَظْبَا  
وَبَأَجْوَاَزِ الْفَلَا مِنْ إِضْمٍ نَمَمٌ تَرَعَى عَلِيهَا وَظْبَا  
يقول : برؤية الكثيب الأبيض معارف أنتجها الصدق ، وكنى عن الصدق بالقطا ، يقل أصدق من القطا ، قوله : ضرب الحسن ، أى ألبس عليه من آثار المشاهدة ، أى فى حقيقة ، يريد حضرة المشاهدة ، وقوله : وبأجواز الفلا ، يقول : وبمعظم مقامات التجريد والتفريد من إضم ، يشير إلى موضع يعطى التواضع والتنزيه ، يقول : وبهذه الحالة التى كنى عنها بالموضع معارف قد ألفتها النفوس لأنها تتأججها ، فكنى عنها بالنعيم ومعارف لم تألفها النفوس هى شرد لكن انتقادت إليه بحكم العناية الإلهية فكنى عنها بالظبا ، وهذان الصنفان من المعارف مكتسب من مقام التجريد والتفريد .

يَا خَلِيْلِيَّ قَفَا وَاسْتَنْطَقَا رَسْمَ دَارٍ بَعْدَهُمْ قَدْ خَرِبَا  
وَإِنْدَابَا قَلْبَ فَتَى فَارِقَهُ يَوْمَ بَانُوا وَابْكِيَا وَإِنْتَجَبَا  
قوله : يا خليلي يخاطب عقله وإيمانه ، يقول لهما : استنطقا فى موقف من

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

المواقف الإلهية أثر منازل الأحباب بعد رحيلهم عنها وخرابها بعدهم ، فإن  
القلوب إذا فارقت أصحابها متوجهة نحو حضرة الحق التي هي محبوبة لها ،  
تتصف النفس بالخراب لعدم الساكن ، كما قال بعضهم :

ضاع قلبي أين أطلبه ما أرى جسمي له وطنا

كان حزني بعد بعدكم وسروري بعدكم حزنا

وكثيراً ما يذكر الشعراء هذه القصيدة في باب النسب والهوى :

عَلَّه يُخْبِرُ حَيْثُ يَمُومُوا أَلْجَرَءَاءَ الْحَمَى أَوْ لِقَبَا

رَحَلُوا الْعَيْسَ وَلَمْ أَشْعُرْ بِهِمْ أَلِسَهْوٍ كَانَ أَمْ طَرْفٍ نَبَا

يقول : لعله كلمة تراج وتوقع يخبر حيث قصدوا وتوجهوا ، يعني

القلب ، والجرعاء المقام تجرع الغصص من آلام الفوت ، فينتج عندي تجرع

الغصص من آلام الفراق والحلمى موضع يحرم الدخول فيه ، ونيل ما يحويه

من العلوم لنزاهته عن تعلق الكون أم لقباً أم لموضع الراحة الذي هو قبا

فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزوره كل سبت لمناسبة الراحة الذي

هو قبا ، فإن السبت الراحة ، وبها يسمى السبت سبتاً ، وقوله :

رحلوا العيس ، يعني بالعيس الهمم امتطتها القلوب من غير علم مني بذلك ،

ولا أدري السهو كان مني ، أو نبا طرفي عن إدراك ذلك من غير سهو ،

فأخذ يقول :

لم يكن ذاك ولا هذا وما كان إلا وله قد غلبا

قال : ما سهوت ولا نبا طرفي ، وإنما شغلي بحبه حجبتني عنه ،

كما حكى عن مجنون بنى عامر حين جاءته ليلي في حكاية طويلة ، فقال لها :  
إليك عنى فإن حبك شغلنى عنك .

يا هموماً شردت وافترت خلفهم تطلبهم أيدي سبا  
أى ریحِ نسمت ناديتها يا شمال يا جنوب يا صبا

تفرق أهل سبا معلوم وهو المذكور فى القرآن ( ومزقناهم كل ممزق )<sup>(١)</sup>  
يقول : همومى تفرقت كتفرق أهل سبا على المقامات والحضرات بطلب هذه  
البنية المحبوبة التى فارقتهم ومالم تجد فى تسأل ، أى ریح هبت عيها ، يريد  
عالم الأنفاس لتنفس عنه بعض ما يجده من الكرب برائحة تهدي بها إلى  
مشامه من عرف طيبهم المسك ، فيقول لهذه الرياح :

هل لديكم خبرٌ مما نبأ قد آقينا من نواهم نصباً

النصب التعب ، والنوى الفراق ، فأخذ يقول ما قالت له الريح إجابة له  
عن ندائه إياها وسؤاله :

أسندت ریحُ الصبأ أخبارها عن نباتِ الشيح عن زهر الرُّبأ  
إن من أمرضه داء الهوى فليعلل بأحاديث الصبا

يقول : أسندت ریح التجلى حديثاً عطرياً طيب النشر تخبر فيه أن من  
أمرضه الهوى فما له علالة إلا بالحديث فيه وعنه وبما يحدث منه كما قال :

(١) من الآية ١٩ من سورة سبا .

أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَى مَنْ جَنَبَاتِهِ إِنْ الْحَدِيثَ عَلَى الْحَبِيبِ حَبِيبِ  
ثُمَّ قَالَ :

ثُمَّ قَالَتْ يَا شِمَالِ خَبْرِي مِثْلَ مَا خَبَرْتُهُ أَوْ أَعْجَبَا  
ثُمَّ أَنْتِ يَا جَنُوبِ حَدْثِي مِثْلَ مَا حَدَّثْتَهُ أَوْ أَعْذَبَا  
قَالَتْ الشِّمَالُ عِنْدِي فَرَجٌ شَارَكَتْ فِيهِ الشِّمَالُ الْأُذْيَا  
كُلُّ سُوءٍ فِي هَوَاهِمٍ حَسَنًا وَعَذَابِي بَرَضَاهِمُ عَذَابًا

قَالَتْ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ لَرِيحِ الشِّمَالِ وَلَرِيحِ الْجَنُوبِ أَخْبَرَاهُ مِثْلَ مَا خَبَرْتَهُ  
وَأَعْجَبَ وَأَعْذَبَ عَسَاهُ يَجِدُ رَاحَةً ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِلرِّيحِ الدُّبُورَ هُنَا ذَكَرَ وَذَلِكَ أَنْ  
الْحُبَّ لَا يَسْتَدْبِرُ جِهَةَ مَحْبُوبِهِ أَبَدًا أَدْبَابًا وَعَشَقًا فَمَا هُوَ مَعَهُ إِلَّا عَلَى أَحَدِ  
ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ ، إِمَّا الْمَوَاجِهَةَ وَهِيَ الَّتِي كُنِيَ عَنْهَا بِالصَّبَا وَهِيَ الْقَبُولُ أَيْضًا ،  
وَإِمَّا الْجَنُوبَ وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي عَنِ الْيَمِينِ ، وَإِمَّا الشِّمَالَ وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي مِنْ  
جِهَةِ الْقَلْبِ ، فَالصَّبَا تَعْطِيهِ عِلْمُ خَلْقِ اللَّهِ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَالْجَنُوبُ تَقْيِيدُهُ عِلْمُ  
أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهِيَ الْقُوَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الْمَقْرُونُ مَعَهَا السَّلَامُ ، وَالشِّمَالُ تَقْيِيدُهُ عَيْنُ  
الْمَقْرِينِ وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي بَيْنَ النَّبُوَّةِ وَالصَّدِيقِيَّةِ ، وَلَا يَنَالُهُ إِلَّا الْأَفْرَادُ خَاصَّةً  
وَالْخَضْرُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ ، وَهُوَ مَقَامُ عَزِيزٍ مَا يَعْثُرُ عَلَيْهِ كُلُّ  
أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ طَرِيقَتِنَا ، وَأَمَّا أَبُو حَامِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَانْكَرَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ  
قَدَمٌ وَلَا عَرْفَةٌ فَتَخَيَّلَ أَنَّهُ مِنْ تَخَطُّ رِقَابِ الصَّدِيقِينَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، فَقَدْ وَقَعَ  
فِي النَّبُوَّةِ وَأَسَاءَ الْأَدَبَ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ أَبُو حَامِدٍ ، فَإِنَّ هَذَا الْمَقَامَ  
الَّذِي نَبَهْنَا عَلَيْهِ هُوَ بَيْنَ الصَّدِيقِيَّةِ وَالنَّبُوَّةِ وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي وَقَعَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ

في حق الصديق الأكبر بالسر الذي وقر في صدره نطق على المقربين في قلب العارف ، فقال عندي فرج يعرفه ريح الجنوب وهي الأزيب وهي لغة الملكية، وبهذا الاسم تسميها أهل اليمن، قيل وما هو الفرج ، قال إنما يطرأ العذاب على المحبين من عدم الملائمة لما في أغراضهم ، فإذا فنى الحب عن غرضه وكان مع ما يريد منه وبه محبوبه صار كل شيء في هواه حسناً لأنه غرض محبوبه فيه وإرادته كما قيل ، وكل ما يفعل المحبوب محبوب وعذب العذاب منهم في رضاهم كان عنده أحلام من الشهد ، وإذا كان الأمر بهذه المثابة ويكون المحب صادقاً في هذا المقام لم يشكو ما يجد ولا يجد حزناً ولا يشكو تعباً ، فإن إرادته عين إرادة محبوبه ، فقد اتفق له جميع ما يريد ومن اتفق له مراده فهو مسرور ، فلذا قال بعد ذلك ، ثم أخذ يقول في صورة وعدهم :

فإلى ما وعلى ما ولما يشتكى البثّ وتشكو الوصبا  
وإذا ما وعدوكم ما ترى برقه إلا بريقاً خلبا

يقول: إذا وقع الوعد منهم كان مثل برق الخلب وهو البرق الذي ليس معه رعد ولا مطر أي لا ينتج شيئاً كالريح العقيم ، وإن وعدهم هنا إنما هو بمشهد ذاتي ، ولهذا شبهه بالبرق وجعله خلبا لأن المشهد الذاتي لا ينتج شيئاً في قلب العبد لأنه لا ينضبط ولا يتحصل منه سوى شهوده عند خفقانه فإنه يتعالى عن أن يحصره كون أصلاً بخلاف التجلي في الصورة في عالم

التمثل ، فإن الرأى بضبط صورة ما تجلى له ويعبر عنها كما ورد في الخبر من ذلك كثير فيما لا صورة له حسية .

رَقَمَ الْغَيْمِ عَلَى رُؤْدِنِ الْغَمَا مِنْ سَنَا الْبَرْقِ طَرَازاً مُذْهِباً  
فَجَرَتْ أَدْمَعَهَا مِنْهَا عَلَى صَحْنِ خَدَيْهَا فَأَذَكَتْ لَهَا

قوله ( رقم الغيم على رذن الغما ) يريد المعنى الذى تضمنه قوله تعالى ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام )<sup>(١)</sup> وكنى بالغيم عن المغيب ، وقد تبدل الباء ميماً يقال لازم ولاذب وجعله رقماً لنفوده فله الدلالة عليه سبحانه من وجهين فكما يستدل عليه سبحانه فى عالم الشهادة كذلك يستدل عليه فى عالم الغيب كما ورد فى الخبر أن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم فإن الطراز هو العلم الذى فى الثوب مشتق من العلامة وجعله من البرق يريد دلالة ذاتية وجعله مذهباً لأن الذهب أشرف ما يرقم به ويستعمل وجعل الرقم على الرذن وهى الكم محل اليد التى تقع فيها البيعة الإلهية وأوقع الدلالة فى الثوب لكونه يظهر على صورة اللابس ، وقد وسعه قلب العبد المؤمن التقي الورع ، وقد قال ( كنت سمعه وبصره ) فلماذا جعله موضع السلامة عليه فالمقصود أنه يريد إشهاداً ذاتياً خلف حجاب الكون لتحقيق عبد إلهى به محبوب أن الله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وقوله فجرت أدمعها يعنى ما أمطرته الغمامة من المعارف الشهودية فى روضات

(١) الآية ٢١٠ سورة البقرة .

القلوب الإلهية ، فأذكت لها أى أورثت فى القلوب اصطلاما وهيبة وعظمة  
ثم قال :

وردةٌ نابتةٌ من أدمعٍ نرجسٍ تمطر غيثا عَجَبًا

يقول معارف الاصطلام تحرق ولا تنبت ، وهذه قد أنبتت ، وشبهه  
العيون بالنرجس يقول والرؤية تعطى علما بقوله تمطر غيثا من أعجب الأشياء  
لأن المرأى لا ينضبط هنا ولا يحصل فى النفوس منه علم تضبطه النفس عند  
الانفصال من حالة الرؤية لأن المرأى لا يتقيد فلا ينضبط فى العالم التقييدى  
وكل ما سوى الحق فهو مقيد الذات فإنه مرتبط وجوده بوجود خالقه  
إذ لولاه لم يكن ، ثم قال :

ومتى رُمّت جناها أرسلت عِطْفَ صدغيها عليها عقربا

يقول : متى رمت استفادة منها لتحصيل صفة تشرف النفس نسبتها  
منعك من ذلك صفة وجهية تحرقك سبحاتها<sup>(١)</sup> فلا تصل إلى ذلك أبداً .

تشرق الشمس إذا ما ابتسمت ربّ ما أنور ذاك الحبيباً<sup>(٢)</sup>

يقول تظهر العلوم القطبية التى عليها مدار علوم العالم إذا كان من هذه

---

(١) سبحات وجهه أى جلاله وعظمته ، والمعنى لو انكشف من أنوار  
الله التى تحجب العباد عنه شىء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خر موسى  
عليه السلام صعقاً وتقطع الجبل دكا لما تجلى الله سبحانه وتعالى لهما .

(٢) الحبيب بفتح الحاء والباء الموحدة البرد .

الصفة مثل هذا القبول الذي كنى عنه بالتبسم وشبهه بريق أسنانها  
ببريق الحب .

يطلع الليل إذ ما أسدلت فاحما جثلا أثينا غيها<sup>(١)</sup>  
يقول: تظهر العلوم الغيبية من نفوس العارفين إذا ما أسدلت هذه الصفة  
الذاتية حجب الشعور بالأمر الخفية الدقيقة لأن الإشعار بالشئ لا يقتضى  
تحقق العلم .

يتجارى النحل مهما تفلت رُبُّ ما أعذب ذلك الشنبا  
يقول: ما تحقق هذا العارف في نفسه تحققا إلهيا إلى أن وصل إلى المقام  
الذي نبه عليه الشارع بكنت سمعه وبصره صار كلامه حقا محضا ووحيا<sup>(٢)</sup>  
مطلقا والله يقول (وأوحى ربك إلى النحل)<sup>(٣)</sup> يقول فالقلوب التي للمريدين  
في مقام هذا الحيوان المعبر عنه بالنحل إذا تكلم هذا العارف تلتقت منه  
المعارف كتلقى النحل الوحي من عند الله، يقول: وهو وحي سرور وجمال  
وإنس لأنه عذب الجنى فأثمر الحلاوة .

- 
- (١) الجئل بسكون المثناة الكثير الملتف من الشعر والشجر . الأثيت  
الكثير العظيم .  
(٢) الوحي الإلهام وقد بين هذا المعنى بالآية التي ذكرها ولا ينزل الوحي  
إلا على الرسل .  
(٣) من الآية ٦٨ من سورة النحل .



وإذا مالت أرتنا فننا أورتنا سالت من اللحن ظبا<sup>(١)</sup>  
يقول وإذا مالت فمياها ميل الغصن المتمر لتدونا قطونها إفادة الهية فهذا  
هو العطف الإلهي لكن الغصن لا يميله سوى الرياح وهي الهمم منا فتى  
ما تعلقت همة العارف بأمر الههى من جانب الحق أمالت ما تعلقت به إليه  
فناله مقصوده .

كم تناغى بالنقا من حاجرٍ يا سليل العربي العرباً<sup>(٢)</sup>  
ما أنا إلاّ عربىٌ ولذا أعشق البيض وأهوى العرباً  
يقول كم تناغى بالكثيب الأبيض المعلوم عند القوم الممنوع مقامه أن  
تكون لاحد فيه قدم الإحسان وهو المشاهدة والبهت<sup>(٣)</sup> فهلا أشغلت نفسك  
بالاستعداد لما يعطيه مقام ذلك الكثيب عن أن يخطر لك فى الإحسان خاطراً  
أصلاً فأجاب وقال الإحسان الذى أطلب هى من نتائج الأمر الأسمى الذى عنه  
صدرنا وأنا عربى فأهوى من الحسان العربا للمناسبة اللفظية والأصلية  
فلا ينكر على من جرى على ما يعطيه أصله وحقيقته وحاله ، ثم قال :

لا أبالى شَرَقَ الوَجْدَ بنا حيث ما كانت به أو غربا  
يقول لا أتقيد بالمقامات والمراتب وإنما أتقيد بها فحيث ما ظهرت لى  
كنت بحيث هى لأنها مطلوبى ثم أنها تلقى إلى بحسب ما تراه لا بحسب

(١) الظبا جمع ظبة ، السيف وهو طرفه وحده .

(٢) العرب بضمين جمع عروب وهى المرأة الحسناء المتحبة إلى زوجها .

(٣) البهت بفتح الباء الحيرة .

ما أريد فإن العلم لها والأمر ليس لي فلا أبالي حيث يسير بي وجدى الضمير  
في قالوا يعود على من جرى على الوسائط والحجاب .

كما قلت ألا قالوا أما وإذا ما قلت هل قالوا أبا

يقول : كما قلت ألا ينظرون في أمرى عندها عسى أحظى منها بما  
حظى من اعتنى به من الواجدين مثلي ، يقولون أما تنظر إلى وجوهنا كيف  
هي معروفة إليك محجوبة عنها وإن كن أسبابا قد وضعنا لنيل المقاصد ،  
لكنه ما لنا عناية تقتضى ما أشرت به إلينا ، فإن الأسباب ما وضعت أسبابا  
لشرفها على الآخذين الأمور عندها ، وإنما وضعت اختباراً وبلاءً وتمحيصاً  
لكم فإن وقفتم معها لم تعطوا شيئاً إلا بوجودها ، وتتركون في الحجاب  
فإن تجاوزتم عنا إلى من نصبنا فقد فزتم بالمطلوب .

وقوله : وإذا ما قلت هل من وصل للمطلوب واتصال ، فيقولون : قد  
أبا أن يصل إليه من يطلبه بنا لكن من طلبه به وصل إليه كما يقول العارف  
عرفت الله بالله حين يقول المتكلم عرفت الله بمخلوقاته ، فجعل دليلاً عليه  
من ليس بينه وبينه مناسبة ، فمن عرف الله بالله فقد عرفه ، ومن عرف الله  
بالكون فقد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غير .

ثم قال :

ومتى ما أنجدوا أو أتهموا      أقطع البيد أحث الطلابا  
سامرى الوقت قلبى كلما      أبصر الآثار يبنى المذهباً

يقول : إذا سلك قلبى وهو فى مقام المعرفة بالأرواح العلوية ، وأبصر

المعارف التي تحملها حقائق الأرواح العلوية ، وأراد الإفادة منها ، وعلم أنها ما تطأ مكاناً إلا حيي ذلك المكان لوطأتها لأنها أرواح مجردة فحيث ما ظهرت أكسبت الحياة من ظهرت فيه .

يقول : أتبعها أنجذت أو أتهمت ، فقوله : أنجذت إذا ظهرت في الأجساد الممثلة في عالم التمثيل كصورة جبريل في صورة دحية ، وقوله : أتهمت مثل أرواح الأنبياء ، يقول : ظهرت في الأجسام الترابية لا الجسدية البرزخية ، ففي أى باب ظهرت وعرفتها أفتوا أثرها لآخذ منه فأفعل به ما فعل السامري لما قبض من أثر جبريل فيكون عندي همه أحييها وأحيي بها من وقعت له به عناية واعتدلت نشأته واستوت خلقتة ، أعنى في التربية والسلوك ونهباء محله لقبول فيضان الروح نفخت فيه مما حصل لي من ذلك الأثر فحى به فكان تحت حيطتي ، وهذا باب من أبواب من أعطى التصريف فتركه أو ظهر به إن شاء ، وتركه تسليماً وأدبا ، كما قيل لأبي السعود هل أعطيت التصرف ؟ قال : نعم ، وتركناه نظرفاً . يريد لم يكن غرضنا المزاحمة ، بل لله الأمر من قبل ومن بعد ، وشغلي بعبوديتي أولى بي من ظهوري بخلقتة ، هي لمن تجب له لالي فمن وقف مع الأصول كان أكمل في المعرفة ممن حجته هذه الخلع الإلهية ، كما قال أبو يزيد : ليس بي يتمسحون وإنما يتمسحون بحلية حلائنها ربي ، فكيف أمنهم ذلك وذلك لغيري ومن نظر الخلعة التي كساها الحق للحجر الأسود ، وعرف الحجر عرف

( ما أشرنا إليه ، وذلك كان مقام أبو يزيد<sup>(١)</sup> وشيخنا أبو مدين رحمهما  
الله تعالى .

ثم قال :

وإذا هم شرقوا أو غربوا كان ذو القرنين يقفو السببا  
كم دعونا لوصل ال رغباً كم دعونا من فراق رهبا

يقول : هذه الأرواح التي ذكرنا إذا كانوا في مقام حمل الأنوار  
والأسرار التي كنى عنها بالشرق والمغرب ، كان قلبي مثل ذى القرنين أى  
مالك الصفتين ، أقفوا الأسباب التي توصلني إلى نيل ما عندهم به . وقوله :  
كم دعونا ، يقول : وكم سألنا التمكن من الأحوال حتى نحكمها ، فلا نخاف  
فرقة ولا نعد وصلة .

يا بني الزوراء هذا قمر — عندكم لاح وعندى غربا  
حرّبي والله منه حربى كم أنادى خلفه واحربا  
لهفَ نفسى لهفَ نفسى لفتى كلما غنى حم — ام غيبا

يقول : يخاطب أصحاب الميل الكائنين في حضرة القطب الداخلين تحت  
دائرته هذا قمر يشير إلى تجلى ذاتي في هذا المقام .

(١) أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي من أئمة الصوفية وكان يقول إذا  
نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغفروا به حتى  
تنظروا كيف تجدوناه عند الأمر والنهي وحفظ الشريعة .

يقول : عندكم لاح بوجود الإمام القطب ، وعندى غربا ، أى ذلك  
اللعنى الذى ظهر لكم فى الأمام هو باطنى وسرى ، فجعل نفسه من الأفراد  
وكنى بالزوراء وهى بغداد لكونها مسكن الإمام الظاهر صاحب الزمان فى  
عالم الشهادة ليعرف السامع ما أراد هذا القائل .

وقوله : \* حرنى والله منه حربى \* مما يتماهى من سطواته ، وقوله :  
خلفه مع كونه عنده ، يشير إلى عدم الإحاطة وأنه معه فى باب المزيد كما قال  
تعالى : ( وقل رب زدنى علماً ) .

وقوله : ( لطف نفسى ) البيت بكامله ، يتول : واحربى لمن مقامه من  
الفتيان كلما سمع من الأرواح البرزخية ما تحمله من الوحي الذى نالته فى  
غشيانها عند الصلصلة التى هى كسلسلة على صفوان إشارة إجمالية يغيب هذا  
القلب كما غابت ، فلك تلك الأرواح عند ذلك السماع ، ولهذا قال عليه  
السلام : « وهو أشده على » وكان يفنى عن نفسه ، أعنى عن حسه ،  
ويسجى إلى أن يسرى عنه وقد وعى ما جاء به ، وللوارث حظ من ذلك .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

أضاء بذات الأضا بارق من النور فى جوها خافق  
وصلصل رعدُ مناجاته فأرسل مدراره الوديق



يقول : لاح لى مشهد ذاتى بذات الإضاء من تهامة ، يريد بما أضاء لى  
مقام التواضع من الرفعة عنده فإنه من تواضع لله رفعه الله ، فيظهر نور  
الرفعة للعارفين فى عين التواضع ، وهو مقام العبودية ، ولهذا قال : ( فى  
جوها خافى ) لما كانت تتضمنه ، وقوله :

\* وصلصل رعد مناجاته \*

البيت يكاله ، يقول : وخاطبها مخاطبة تعليم وتفهم ، فكست من المعلوم  
التي كنى عنها بالمدرار على حسب ما اقتضاه الشهود .

تَنَادَوْا : أُنِيخُوا ، فلم يسمعوا فصِحت من الوجد : يا سائق !  
ألا فانزلوا ها هنا وارفعوا فإني بمن عندكم وامرق

لما كانت العلوم ليست مطلوبة لأنفسها ، وإنما تطلب من حيث متعلقها  
كان الشغف من العالم بالمتعلق لا بالعلم ، وهو الذى أراد بقوله : بمن عندكم  
يخاطب العلوم فإن عندها متعلقها ، أى بكم أصل إليه ، وقوله : تنادوا  
أنيخوا ، أى اثبتوا ها هنا عند من يطلبكم ويتعشق بكم ، إذ ليس كل قلب  
يطلب هذه العلوم فكأنه مثل الناصح لها ، أى انزلوا فى محل من يهواكم  
ويفرح بقدمكم فتحظون وترفعون ، يريد تبقون عنده ، ألا ترى إلى  
العلوم التي تعطى الأعمال إذا كان صاحبها تاركاً للعمل يمقته علمه ، ويتمنى  
أنه لم يكن عنده ، فإن حياة ذلك العلم إنما هو العمل فكأنه حصل عند من

ليس له بأهل كما ورد « لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها » فقد نسب  
الظلم ان جعل الشيء في غير أهله ، وجعل ذلك الشيء مظلوماً .

بهيفاء غيداء رُعبُوبَةٍ فؤاد الشجى لها تائق<sup>(١)</sup>  
يفوح الندى لدى ذكْرِهَا فَكَلَّ لِسَانَ بِهَا نَاطِقِ

يقول : متعلق هذا العلم صفة إذا تجلت في عالم التمثل كانت معتدلة الخلق  
مائلة لمن يهواها طرية الحسن تموق إليها الأفئدة التي نار الاصطلام تطالع  
عليها ، ومهما ذكرت في مجلس عطر المجلس ذكرها لطيب رِيَّاهَا فصارت  
معشوقة بكل لسان فيرتاح للنطق بها فكأنها صفة تأخذها العبارة وسببه  
كونها ظهرت في عالم التمثل فقيدها النعت لكن يعلم السامع العالم ما أشار  
إليه المعبر في هذا النعت كما عرف ما أشير به في اللبن من حقيقة العلم ،  
والفطرة التوحيدية .

فلو أن مجلسها هضمة ومقعدها جبل حائق<sup>(٢)</sup>  
لكان القرار بها حالقاً وإن يدرك الحائق الرامق<sup>(٣)</sup>

يقول : من علو شأنها يعلو بها كل من قامت به ، يريد أن كل علم

(١) رعبوبة بضم الراء بيضاء حسنة رطبة حلوة أو ناعمة .

(٢) جبل حائق : أى جبل مرتفع .

(٣) رجل يرموق : ضعيف البصر .

يوصلك إلى حيث متعلقه ، ولهذا العلم بالذات الإلهية لا يصح أصلاً لأنه لا يوصلك إليها لعزتها وإنما تصل إليك على قدرك في علمك بها فتمتدح فلو كان مجلسها موضع منخفض ومقعدها جبل مرتفع لكان المنخفض بها مثل الخالق من غيرها والخالق لا يدركه الراق لعلوها ، فكيف إذا اتفق أن تحمل في قلب له من العلو بمنزلة الجبل الخالق ، فأين ينتهي به من الرفعة والشأن قصد علو المكانة كمال قال في علو المكان الإدريسي ( ورفعه مكاناً علياً ) .

فكل خرابٍ بها عامرٌ وكل سرابٍ بها غادقٌ  
وكل رياضٍ بها زاهرٌ وكل شرابٍ بها رائقٌ

يقول فكل قاب خرب بالغفلات وأشباهاها من رؤية الأكوان إذا حلت فيه أو تجلت له بعمر وانقادت إليه جميع العلوم كما ورد في خبر الضربة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فعلم منها علم الأولين والآخرين يقول ( وكل سرابٍ بها غادق ) يقول إذا جئت إلى السراب وهو سراب يتخيل أنه ماء وتكون عندك هذه الصفة فإنك تجده ماء كما طلبته وكما رأيت إذ الماء لا يطلب لعينه وإنما يطلب لما يكون منه فإذا أعطاك السراب ما أعطاك الماء لوجود هذه الصفة ، فقد وجدت الماء أي وجدت المطلوب كما قال ( ووجد الله عنده ) أي عند السراب حين لم يجده شيئاً يعني السراب يقول وهو من الرياض بمنزلة الأزهار التي تعطى لذة العيون والمشام وهي ألطف من الأذواق ( ١٣ - ذخائر )





الطعمية ، أى لها أثر فى عالم الأنفاس والشهود ، وقوله : وكل شراب بها رائق ، أى كل ذوق حصل لك فى مبادئ التجلى ، فإنه يصفو ويروق ويحلو معناه بوجود هذه الصفة .

فليلي من وجهها مشرقٌ ويومى من شعرها غاسق  
يقول : وقد حصل لى بها علم الغيب من شعرها ، وعلم الشهادة من وجهها ، فأشرق ليل هيكلى الطبيعى من نورها ، وصار عالم شهادتى بوجودها عيناً عند النظر ، أى حصل لى من القوة بحيث أن أظهر فى الصورة المختلفة كعالم الغيب ، كما هو الخضر وبعض الأولياء ، كقضيب البان وغيره .

لقد فلتت حبة القلب إذ رماها بأسمها الفالق  
عيونٌ تعودنَ رشيق الحشا فليس يطيش لها راشق  
يقول : هذه النكته فلتت حبة القلب حين رماها بها الفالق سبحانه من قوله : ( فالق الحب والنوى )<sup>(١)</sup> وفالق الإصباح فى حبة القلب عندما فلقها من العلوم والتجليات ، وقوله : عيون ، يعنى المناظر العلوية تعودن إصابة القلوب التى لها تعشق بها وتعلق فهى ترميها بما عندها من العلوم والهبات فتصيبها ولا تخيطها ، فإن الرقيقة الممتدة بين القلوب وبين هذه المناظر متصلة اتصال الدخان بالسراج من رأس الفتيلة .

(١) من الآية ٩٥ من سورة الأنعام .



فما هامةً في خراب البقاع ولا ساق حرّ ولا ناعق  
ياشأم من باذل رحلوا ليحمل من حسنه فائق  
ويترك صباً بذات الاضا قتيلاً وفي جهم صادق  
يقول : لا شيء أشأم من حالة تحول بينك وبين هذه الصفة  
الإلهية التي تحيي القلوب بوجودها ، فإن الحال إذا قام بالقلب ملكه ،  
ويبقى السرّ الرباني الذي أضاء له هذا المشهد الذاتي طريماً لا معين له  
على دوام ما قد لاح له مع صدقه في التوجه إليه ، وذلك للطريان هذا  
الشؤم الذي كنى عنه بالباذل ، وجعله حاملاً لهذه الصفة المحبوبة لكونه  
حال بينه وبينها بحلولة .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

يذكرني حال الشيبية والشرخي

حديث لنا بين الحديثة والكرخ

فقلت لنفسي : [ أبعد ] خمسين حجة

وقد صرت من طول التفكير كالفرخ

تذكرني أكناف سلع وحاجر

وتذكر لي حال الشيبية والشرح

وسوق المطايا منجداً ثم متهماً

وقد حى لها نار القفار مع المرخي

يقول : بعد الوصول إلى مقام إتيان الذكر المحدث بالتنزيل الإلهي يذكر لي حالة السلوك في مقام احترام الحجب المغيبة عنى التي ترفعها الأعمال بما تعطيه من الحقائق والهمم من غير رؤية منى فتدنى إلى العمل على مقام الحجاب من الحالة التي أنا عليها اليوم من العمل على الكشف بإسقاط رؤية الرؤية فكيف غيرها ، وأراد بالخمسين حجة عمر هيكله في زمن هذا القول وقوله : تذكرنى أكناف سلع ، استشراف مدلى من أول تجليات الورث الحمدي ، وتذكرنى حال الشبية والشرح ، أو أن البداية وسوق المطايا بقول ويعنى الهمم علواً وسفلاً ، فأما علواً فمعلوم ، وأما سفلاً فلحديث لودليته حبلاً لوقع على الله ، وقوله : وقد حى لها نار القفار مع المرخ ، أى الأمور التي لا تكون عن الأسباب المحجوبة بغطائها عن ظهور الأمر على ما هو عليه فكأنه أراد في هذه الأبيات يعتب نفسه حيث خطر له هذا الخاطر في حال تمكنه وقوته وعلو مقامه واستدامة كشفه .

\*\*\*

### وقال رضى الله عنه

أطرح كل هاتفةً بأيكٍ على فنٍ بأفنان الشجون  
 فقبكى ألفها من غير دمعٍ ودمع الحزن يهملُ من جفون<sup>(١)</sup>  
 يقول : أطرح كل لطيفة روحانية ظاهرة في صورة برزخية على غصن  
 ثابت بروضة من المعارف الإلهية بحقيقة تناسبها منى تدل على حسرة الفوت

(١) همل الدمع من باب قعد جرى .



حين فاز أمثالي بما فازوا به ، ثم قال : فتبكي ألقها ، يقول : بكاء الأرواح من غير دمع وبكائي بدمع لوجود هذا الهيكل الذي أنتجني فقد شاركها في بكاء من غير دمع لكوني على ما هي عليه من الحقائق من حيث الروحانية وزدت عليها بالبكاء الطبيعي الذي لا مشرب لها فيه ، فكان وجدى متضاعف لهذا السبب فعندى فوق ما عندها ، فكأنه يخاطب الأرواح المفارقة لعالم الطبيعة بعد أن كانت متصلة بها وما قالت شيئاً في زماننا لشغلها بنيل شهواتها .

أقول لها وقد سمحت جفوني بأدمعها تخبر عن شئون أعندك بالذي أهواه علمٌ وهل قالوا بأفياء الفصون يقول لها في حال بكائي بلسان حالي المعبر لها بما أحمله : أعندك بالذي أهواه علمٌ لأنك في مقام الكشف لمفارتك عالم الظلمة وحبسى فيها إلى الأجل المسمى ، وهل لهم ظهور بظلال هذه النشآت الطبيعية فاطلبهم فيها ، فإن الله تعالى يقول : ( وظلالهم بالغدو والآصال )<sup>(١)</sup> أخبر عنهم بالسجود والسجود لا يكون إلا مع الشهود والمعرفة لا مع غير ذلك ، ولا سيما وقد قال بعضهم : أنا الحق ، وقد قال الحق تعالى : ( فبي يسمع وبني يبصر ) فخبيري إن كان الأمر على ما استغفمتهك عليه ، فانظر كيف أرفع الحجاب عن عيني وأشهد ما أفي كوني .

\*\*\*

(١) الآية ١٥ من سورة الرعد .

## وقال رضى الله عنه

عند الجبال من كثيب زرود صيدٌ وأسدٌ من لحاظٍ الغيد  
صرعى وهم أبناء ملاحمة الوغى أين الأسودُ من العيون السود  
فتكت بهم لحظاتهمَّ وَحَبِّدًا تلك الملاحظ من بنات الصيد

يقول: إن القلوب التي لها الإقدام والجرآت كالأسود ولها المنصب العالى من أصلها العالى من أصلها الكريم مع قوتها وكريم أصلها عند ما يتجلى إليها هذه المناظر العلى بالمكانة الزلنى حيث المحل الأزهى يبقون صرعى قتلى هيئاناً فيها قد فتكت بهم تلك اللحظات العلى، وحبذا هي من ملاحظات أقدسية من صفات علوية قدسية منزهة عن ناظر بها كريم ملك، كما قال تعالى: (فى جنّات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) (١).

\*\*\*

## وقال رضى الله عنه

ثلاث بدور ما يزن بزينة خرجن إلى التنعيم معتجرات (٢)  
حسرن عن أمثال الشمس إضاءةً ولبين بالإهلال معتمرات  
وأقبلن يمشين الرويدا كمثل ما تمشى القطا فى ألحف الحبرات

يقول: خرجن من حضرة الربوبية والملكية والألوهية ثلاثة أسماء مقدسة

(١) الآيتان ٥٤ ، ٥٥ من سورة القمر .

(٢) معتجرات : الاعتجار لبسة - بكسر اللام - للمرأة .

يطلبن ظهور آثارهن الذي به نعيمهن ، فكفى عنه بالتنعيم ، وخرجن  
معتجرات من أجل أنوارهن لئلا يدرك من ليس له قوة النظر إليها في  
طريقها فيهلك فلما أردن زيارة القلب المهيباً لقبولها خسرن عن وجوههن  
فبدت أنوارهن ، ولبين رافعين أصواتهن لله تعالى بما يستحق له معتمرات  
يقول : زائرات ، وأقبلن يطلبن هذا القلب الكريم ليشرفنه بزيارتين .  
وقوله : ( في ألحف الخبرات ) يعني عليهم من زينة الأسماء التوابع ، والذين  
هم كالسدنة لهذه الأسماء ، كما يقول لا يكون مريداً إلا عالماً ، ولا عالماً إلا  
حياً فصار كونه حياً مهيمناً على كونه عالماً ومريداً ، وهكذا كل أمر يتوقف  
وجوده على وجود أمر آخر ، فالأمر المتوقف عليه مهيمن على من توقف  
وجوده عليه .

ألا يا ترى نجد تباركت من نجد  
سقتك سحب المزن جوداً على جود  
وحياك من أحياك خمسين حجة يعود على بدء وبدء على عود  
قطعت إليها كل قفر ومهمه على الناقة الكوماء والجل العود<sup>(١)</sup>  
إلى أن تراءى البرق من جانب الحمى  
وقد زادني مسراه وجداً على وجدى

(١) القفر : للفازة لا ماء بها ولا نبات . للهممة : المفازة البعيدة . الكوماء  
ناقة كوماء ضخمة السنام . العود - بالفتح - البعير المسن .

أراد ثرى نجد مركب العقل وسحائب الممارف تسقيه علماً على علم ،  
وخمسين حجة عمر المركب في هذا الوقت ، والتحية : سلام الحق عليه ،  
مردداً بلطائف التحف ، والإشارة بالبهاء للحضرة والقفر والمهمه الرياضة النفسية  
والجاهدة البدنية ، والناقة الكوماء الشريعة ، والجل العودى العقل المجرب  
والبرق المطلوب ، والغضا الإشراف النوراني الذى لحجاب العزة الأحمى ،  
ومسراه لمعانه من جانب الكون ، فإن السرى لا يكون إلا بالليل ،  
والكون ليل .

\* \* \*

### وقال رضى الله عنه

يا خليلي أَمَا بِالْحَمَا واطلبا نجداً وذاك العلماء  
وردا ماء بجيمات اللوى واستظلا ضالها والسلام

يخاطب عقله وإيمانه ، يقول لها انزلا بالحماية الإلهية عند حجاب العزة  
الأحمى ، واطلبا معرفة نجدية يريد علوما وهبية ، وقوله : ( وذاك العلماء )  
يشير إلى معرفة من جهة الدليل ليجمع بين ما يستقل العقل بإدراكه وبين  
ما لا يستقل بإدراكه فيكون ممن أوتى الجوامع ، وقوله : ( وردا ماء )  
يريد معدن الحياة الأزلية ، بجيمات اللوى يقول : بحضرة العطف الإلهي ،  
واستظلا طلباً للراحة في ظلال العلم بالعجز عن درك الإدراك ، وهو مقام

الحيرة فهو الضال ، والسالم : أى فيه السلامة من التقييد بأمر ما والإحاطة به ، فإن الأمر أعز وأعلى من أن يتقيّد بشيء أو لشيء أو تأخذها الإحاطة .

فإذا جئتما وادى منى فالذى قلبي به قد خيما  
أبلغا عنى تحيمات الهوى كلّ من حلّ به أو ساء

يقول : فإذا جئتما موضع رمى الجمرات ، وهو مقام الجماعات ، يريد مواطن الملا الأعلى على مراتبهم ، وحضرات اجتماعات الأسماء لظهور آثارهم لما قد بيناه في بعض كتبنا من محاضراتهم . قال :

\* فالذى قلبي به قد خيما \*

يعنى مجالسة تلك الجماعات العلوية المعنوية الذين أشار إليهم الشارع عن ربه تبارك وتعالى أنه : « إن ذكرنى عبدى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه » فهو ما أشرنا إليه من الجماعات فإن الجمره الجماعة والجمرات الجماعات ومحلها تلك البقعة المخصوصة المعبر عنها بمنى ، ولما كانت هذه الحضرة محل القرية الإلهية كانت هذه البقعة محل القرابين يوم الحج الأكبر ، وقوله :

\* أبلغا عنى تحيمات الهوى \*

البيت بكامله ، يقول لعقله يبلغ إلى خيفه ولإيمانه كذلك سلما منى على تلك الجماعات المقدسة سلام محب لهم راغب فى الالتحاق بمراتبهم إن سبقت له عناية إلهية بذلك . وقوله ( أو سلما ) أى لا تبغى عنى تحية إلا إن رأيتم القبول ممن بلغتماه وإلا فسلما أنما ولا تذكرانى .



ثم قال :

واسمعا ماذا يجيبون به وأخبرا عن دنف القلب بما  
يشتكيه من صبايات الهوى معلنا مستخبرا مستفهما

يقول لها : واسمعا ما يرددن عليكما وأخبراهم عما تعلمان من حالي ودنفي  
بهم وما أشتكيه من رقة الحب ولطائفه إعلانا بذلك ليسمع ذو الرحمة  
منهم فيشفع فر بما قد سبق في العلم أن لا يكون التقريب إلا يشفاعة فيظهر عند  
ذلك رجاء من هذا العبد ، وقوله : ( مستخبرا مستفهما ) عن دوائه فيما  
قد أصابه من مقاساة الحب المانعة عن إدراك المطلوب مع وجود الحجة  
وانتسائها بباطنه وظاهره .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

أحبُّ بلاد الله لي بعد طيبةٍ ومكة والأقصى مدينة بغداد  
وما لي لا أهوى السلام ولي بها إمام هدى ديني وعقدي وإيماني

يقول : أحب المواطن إلى بعد الموطن الذي لا مقام فيه وهو اليربى  
الذي يكون منه الرجوع بالعجز عن الوصول أصلا لتحقيق المعرفة بالجناب  
الأعز ، وهو قول الصديق الأكبر : « المعجز عن درك الإدراك إدراك »  
فما رأى شيئا عند ذلك إلا ورأى الله قبله ، والموطن الآخر موطن

البيت الإلهي المتوجه إليه من كل وجه ، وهو القلب الكامل الذي وسع  
الحق ، والوطن الثالث الأبعد الذي هو مقام التقديس والتنزيه ، يقول :  
أحب موطن إلى بعد هذه المواطن كلها موطن الإمام الخليفة على كافة  
الأنام الذي هو مرتبة القطب ، وذلك لسكمال ظهور صورة الحضرة الإلهية  
فيه من تقييد الأوامر الإلهية بالبسط والقبض ، والحياة والموت ،  
والأمر والنهي ، وأما قوله : ( وما لي لا أهوى السلام ) أراد مدينة السلام ،  
فإن الله يدعو إلى دار السلام ، والله الهادي إليها ، والسلام اسمة تعالى ،  
والعقل والدين والإيمان متعلق به ، فما لي لا أهواه ولي به هذه الأمور  
كلها ، ولكن لا بد من تقدم هذه المراتب الثلاث ، إذ لا يضح وصول  
من غير سلوك فإنه لا وصول .

ثم قال :

وقد سكنتها من بنيات فارس لطيفة إيماء مريضة أجفان  
تحبي فتُحبي من أمات بلحظها

فجاءت يحسني بعد حسن وإحسان

يقول : وهذه الحضرة القطبية الإمامية حضرة التصريف والتدبير ،  
وبها يظهر عالم التدوين والتسطير والتملك والتسخير قد سكنتها أي فيها  
حكمة عجيبة يريد موسوية وعيسوية وإبراهيمية ، وكل ما تعلق بذلك الفن  
من نبي عجمي ، وقوله : ( لطيفة إيماء ) يريد ضعيفة الإشارة ، وقوله :

(مريضة أجفان) يقول : معشوقة المنظر فيها حنان ورقة وتعطف فيرجو الكلف بها أن ينال مقصوده منها لما هي عليه من الحنان ، ولهذا قال تحيي أى تسلم فتحيي بسلامها من أماته النظر إليها عندما لحظته هيبة وجلالا ، وقوله :

\* فجاءت بحسنى بعد حسن وإحسان \*

كما قال لجبريل عليه السلام : « إن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » ، وهذا مقام وإحسان آخر دونه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فألى هذا هى الإشارة بقوله : ( بحسنى بعد حسن ) وأما قوله : ( وإحسان ) هو ما يهبك هذا التجلى الامتنانى من لطائف المعارف وشواهد هذه الفرائد ولآلى الأسرار وجواهر العلوم .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

نفسى الفداء لبيض خردٍ عربٍ  
لعينِ بنى عند ثم الركن والحجرِ

ما تستدلُّ إذا ما تهت خلفهمُ  
إلا بريحهم من طيب الأثر

يقول عند المبايعه الإلهية ، ظهر لى علوم فى صورة متجسدة فى عالم التمثل

حسان ثبتن عن أنفسها بمعلوماتها ، ولكن مقام الإيمان لا من حيث العقل  
ولذلك جعلها خرداً أى حِيَّات وقوله ( ما تستدل ) أى ما تجد دليلاً إذا  
جئت في طلبهم إلا بما تركوه من آثارهم الطيبة في قلوب العارفين الحاملين  
لهذه العلوم ، فإن المعاني إذا قامت بشيء أوجبت له حكمها ووصف الطالبين  
لها بالتيه الذي هو مقام الحيرة لعلوها وعزة إدراكها ، ثم قال :

ولا دجى بي ليلٌ ما به قمرٌ إلا ذكرتهم فسرت في القمر

يقول ولا دجى بي ليل جهالة وذكرتهم إلا أقر ليل جهالتى هذا حال  
سلوك وقد يقول ولا دجى بي ليل حيرة وتيهاً إلا فكان ذكرى إياهم  
سبب لإزالة ذلك التيه والحيرة لوقوفى بهم على حقائق الأمر على ما هو عليه  
ذلك الأمر .

وإنما حين أمسى في ركابهم

فالليل عندى مثل الشمس في البكر

يقول: وإنما حين أمسى صحبة هذه العلوم فلا جهل يعتريني ولا حيرة  
وتكون حيرتى مثل الشمس أى تظهر علومها ومعارف ، وقوله في البكر  
معها راحة فإن الشمس في الظهيرة لا يستطيع المشى إليها لشدة حرها فتكون  
المشتاق عند ذلك ، فلهذا قيد بالبكر .

غازلت من غزلى منهنّ واحدة

حسنا ليس لها أخت من البشر

يقول: تعشقت من هذه المعارف بمعرفة واحدة علوية ذاتية من مقام  
المشاهدة ما لها مثل ولا شبه كما قال ( ليس كمثل شيء ) وقوله من غزلى أى  
الحب صفة لازمة لى وقوله واحدة إشارة إلى عين التوحيد .

إن أسفرت عن محباها أرتك سناً      مثل الغزاة إشراقاً بلا غبر  
للشمس غرتها لليل طرتها      شمس وليل معاً من أعجب الصور  
فنحن بالليل فى ضوء النهار بها      ونحن فى الظهر فى ليل من الشعر

يقول: إذا زالت الحجب التى بينك وبينها ظهرن لك سبجات كالشمس  
صحواً لا يعتريها سحاب كما قال عليه السلام ( ترون ربكم كالشمس بالظهيرة  
ليس دونها سحاب ) وقوله ( للشمس غرتها ولليل طرتها ) هو ما تحمله من  
علوم الشعور أى علوم الرمز والإخفاء مثل أحاديث التشبيه وغير ذلك ،  
وقوله (شمس وليل معاً من أعجب الصور) يقول الجمع بين الضدين لا يتصور  
عقلا وها قد تصور وهو عجب كما قال أبو سعيد الخراز وقيل له بهم عرفت  
ربك فقال بجمعه بين الضدين بقوله تعالى ( هو الأول والآخر والظاهر  
والباطن ) من وجه واحد لا من جهتين مختلفتين كما يقول صاحب علم النظر  
الواقف مع عقله انتحكم على الحق بدليله هيات وأين الألوهية من الكون  
وأين المحدث من حضرة العين كيف يدرك من له شبه من لا شبه له للعقل  
عقل مثله وليس للحق حق مثله محال وجود ذاتين وإلهين لا يشبه شيئاً  
ولا يتقيد بشيء ولا يحكم عليه بشيء بل ما يضاف إليه إلا بقدر ما تمس



حاجة الممكن المقيد إليه غير ذلك من الشمس بعقله فما عرفه كيف يلتمس  
بأمر هو عقله عاجزاً فقيراً مستمداً تعالى الله عن إدراك المدركين علواً كبيراً  
(سبحان ربك رب العزة عما يصفون) (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)  
وقوله ( فنحن في الليل في ضوء النهار به ) البيت بكامله يقول عينه شهادة  
وشهادته عيناً في نفس الأمر نظراً إليه لا إلى عقلك ولا إلى إضافتك  
ولا نسبك وقد أشار صاحب الخلع إلى شيء من هذا في قوله أي اسم أخذته  
من الأسماء كان مسمى بجميع الأسماء وسبب التوحيد ذلك الين وعدم التشبيه  
بالكون وهذا مشهد عزيز لا يناله إلا الأعز من عباده المتوحدين به الذين  
لا نظر لأنفسهم إلا بعينه والمغيب كونهم في كونه الموحد له لا لهم حينئذٍ  
بهذه المثابة عرفت ما أقول فلا تطلب بالعقول مالا يصح إليه الوصول .

### وقال رضى الله عنه

طلعت بين أذرعَات وبصرى بنت عشر وأربع لى بدرا  
قد تعالت على الزمان جلاله وتسامت عليه نخرأ وكبرا  
لما أوقع التشبيه بالبدر جاءه الزمان مذكوراً لارتباطه به في عدة الشهور  
يريد بهذه المذكورة النفس الكاملة ، وقصد ذكر هذا المكان لأنه منتهى  
النبي صلى الله عليه وسلم من الشام وفيه ظهرت عليه آيات في حديث بحيرا  
وسبب إليها صفة الكمال وأعطاها من العدد أ كمله وهو الأربعة فإن فيها  
العشرة ونزهها عن التقييد بالزمان لعدم التحييز ، ثم قال :

كل بدر إذا تفتأه كالأ  
غير هذى فما لها حركات في بروج فما تشفع وترا  
يقول وليس تشبهه من كل وجه وإنما قصدنا صفة الكمال وكونها محل  
التجلى لكونها على الصورة والبدر مجلى الشمس ، ثم قال ( بدر إذا تناهى  
في كماله ) يرجع وينقص ليظهر الشهر بحساب العالم ، وهذه ليست كذلك  
إنما هو كمال لا يقبل النقص لعدم التقييد ، كما أنها لا تقبل الحركة فلا تقطع  
مساحة فلا تشفع وترا يقول إن لها مقام الوحدة والوحدة لا يتصل بها أحد لعدم  
الجنسية لعلو مكانتها وكمالها .

حقة<sup>(١)</sup> أودعت عبيراً ونشراً روضةً أنبتت ربيعاً وزهراً  
انتهى الحسن فيك أقصى مداه ما لوسع الإمكان مثلك أخرى

يقول لما كان محل العلوم الإلهية والمعارف والأنفاس الرحمانية شبيهاً  
بالحقة التي فيها العبير وهو أخلاط من الطيب كذلك فيها فنون من العلوم  
والنشر الرائحة وهو ما لها من التعليم والإفادة لمن هو دونها ، ولذلك شبيهاً  
بالروضة لما فيها من الأزهار والثمار بما يناسبها من العلوم والمعارف والأحوال  
والأسرار والمقامات وقوله ( انتهى الحسن فيك أقصى مداه ) البيت بكامله  
المراد به ما أراد أبو حامد بقوله : وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم  
إذ لو كان وادخره لكان بخلا ينافي الجود وعجزاً يناقض القدرة وهو كلام

(١) الحقة بالضم وعاء من حشب .

محرر لم يفهمه وشرحه هنا لا يليق بهذا المجموع ، وقد ذكرناه في كتاب المعرفة .

\*\*\*

### وقال رضى الله عنه

رعى الله طيراً على بانه قد أفصح لي عن صحيح الخبر بأن الأحبة شدوا على رواحهم ثم راحوا سحر يدعو للنبي عليه السلام وهو الطير على البانه فالبانه نشأته والطير لطيفته حين أخبر بنزول الحق جلا جلاله إلى سماء الدنيا الحديث وفيه حتى يتصدع الفجر ولما كانت القلوب لها أوقات مع الله تعالى وأوقات مع نفوسها وحظوظها نسب الوقت إلى نزول الحق وظهوره في ليل هياكل الطبيعة وفجره ما ينسأخ فيه من التجليات الإلهية بالعالم المصون المخزون وجمل الرواح في السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة والجلال في حين نزولها يريد آية في عالم البرزخ ينظر إلى ذلك من الألوهية على ما هي عليه في نفسها من التنزيه والتقدیس والعظمة والجلال في حين نزولها إلى التبشيش<sup>(١)</sup> والضحك والفرح والتعجب والسبات والمكر ، وأمثال ذلك ، وإلى هذه الإشارة بالسحر .

(١) التبشيش : به آتسه وواصله .



فسرت وفي القلب من أجلمهم جحيم لبيئهم تبستر  
أسابقم في ظلام الدجى أنادى بهم ثم أقفوا الأثر

يقول هذا العارف : فسرت وفي قلبي برحيلهم عنى نار تأجج ، وهى  
التي تطلع على الأفتدة . ثم قال : أسابقم أى أعلو همتى بالسرا إلى محل  
الاستوا الذى إليه تكون الرحلة وللعلم على قدر ما يعطيه الوقت من المعرفة  
بالحلال ، وقوله : (ثم أقفوا الأثر) يريد التخلق بالأخلاق الإلهية والاتصاف  
بالأسماء العبدانية والربانية بحسب الوقت والحال .

ومالى دليل على إرهم سوى نفس من هواهم عطر  
رفعن السجاف أضاء الدجى فسارَ الركابُ لضوء القمر

يقول : ومالى دليل فى سيرى خلفهم سوى ما أجده فى طريقى من  
نفس حبهم إياى ، وهى العناية فإنه قال : ( يحبهم ويحبونه )<sup>(١)</sup> ، فذكر  
محبتة لهم لا محبتهم له ، وقوله : (عطر) يريد طيب الرائحة ، وذلك أن  
الدليل فى المفاوز المهلكة حيث لا علامة يجدها ، إنما يستدل بشم تربة  
الأماكن ، قال الشاعر :

إذا الدليل أمسى استنف أخلاف الطرق

وقوله :

(١) من الآية ٥٤ سورة المائدة .

\* رفعن السجاف أضاء الدجى \* (١)

البيت بكلمه ، المراد بذلك ما أراد بقوله : ( حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ) (٢).

فأرسلت دموعي أمام الركاب فقالوا : متى سال هذا النهر ؟  
ولم يستطيعوا عبوراً له فقلت : دموعي جرين درر  
الركاب والضمير في قالوا يعود على الملائكة المذكورة في قوله تعالى : ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ) (٣) ، وأما قوله :  
\* ولم يستطيعوا عبوراً له \*

لأنها دموع حزن لوقوع بين ومفارقة ، وليس عند الملائكة الأعلى هذا الذوق لعدم الحجاب (٤) ، فلماذا لم تمط حقائقهم عبور هذا المقام المنبه عليه بالدموع .

كأنّ الرعود للمع البروق وسير الغمام لصوب المطر

(١) السجاف - ككتاب - الستر .

(٢) من الآية ٢٣ من سورة سبأ

(٣) من الآية ٢١٠ من سورة البقرة

(٤) قوله : لعدم الحجاب ، رده ما ذكره آنفاً ان الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم ، ويبين هذا الأثر قوله تعالى في حمله العرش : « ويؤمنون به » ولا يكون الإيمان إلا بما غاب عن الحس .

وجيب القلوب لبرق الثغور وسكب الدموع لراكب نهر  
الرجود مناجاة الصالحة ، والبروق مشاهد ذاتية ، والنعام الصور الذاتية  
فيها المتجلى ، والمطر تنزيل العلوم والمعارف ، والمعنى مفهوم من باب  
التشبيه وما تقتضيه صيغة النظم .

ثم قال :

فيا من يشبه لين القُدود بِلين القُضيب الرطب النظر  
فلو عكس الأمر مثل الذي فَلَمتَ لكان سليم النظر  
فإينُ الغُصُون كلين القُدودِ ووَرَدَ الرياض كوردِ الخُفَرِ

يقول : لما وقع في أحاديث التشبيه إلهاق الحق بالخلق بما قد ذكر ،  
وجعله الناس للتشبيه ، وليس كذلك عمدى ، وإنما اللفظ الدالّ على كذا  
من الخلق جعل ذلك اللفظ على الحق لا من حيث ما يقبله الخلق ، فلو أن  
هذا المتأول بعكس الأمر ، ويالحق الخلق بالتنزيه لكان أولى من حيث  
ارتباطه بالحقائق الإلهية ، كما فعلنا نحن حيث شبّهنا لين الغصون بِلين قامة  
النجوب الجميل ، وورد الرياض شبّهناه بورد الخدود ، وجعلنا الأصل  
وألقناه به تشبيهاً من وجه ما هو دونه فالأدنى يلحق بالأعلى بوجه ما للمدح  
لا بعكس الأمر ، فالتبشيش على الحقيقة لله والضحك وغير ذلك ، ثم أطلق  
علينا بمعان تعلقها ، فهي الأصل وله القدم ، وبالأول يوقع التشبيه إذ ولا بدّ

لا هو يشبه بشيء هذا إذا كان التنزل إلى حضرة التمثل ، وأما إذا وقع الأمر بما يناسب الحقائق على ما هي عليه فلا تشبيه ولا تمثيل ، بل كل على ما هو عليه من غير اختلاط .

\*\*\*

### وقال رضى الله عنه

يا أولى الأبواب يا أولى النهى همت ما بين المهابة والمهابة  
من سهى عن السها فما سها من سها عن المهابة قد سها

قال تعالى : ( يتنزل الأمر بينهن ) ففي ذلك وقع الهيمان بهذا العارف ، والمهابة الشمس ، والمهابة بقر الوحش ، فهذا سموأبى وهذا أرضى وبينهما وقع الهيمان لهذا العارف ، وهو الذى أردنا بقوله تعالى : ( الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن )<sup>(١)</sup> ، ثم قال : يتنزل الأمر بينهن ، وقوله :

\* من سهى عن السها فما سها \*

يقول : من غابت عنه الأمور الخفية فلم يدركها فما يقال فيه سهى عنها ، بل هي عزت عليه فلم يدركها كالمشاهد البرقية الذاتية ، وإنما يقع السهو فحين لا يدرك الأمور الجليلة لشغله عنها بأمر آخر إشاراً له عليها كمن

(١) من الآية ١٢ من سورة الطلاق .

لا يرى الشمس وهو فيها يمشي ، فهذا يسمى ساهياً ، ثم قال :

سربه بسربه لسربه فاللهي تفتح بالحمد لله  
إنها من فتيات عرب من بنات الفرس أصلاً إنها  
نظم الحسن من الدر لها أشنباً أبيض صافي كالمها

لما ذكر المها ذكر سرب وهو أيضاً من العالم الترابي الأرضي فقال :  
سربه من السير بسربه ، يعنى بنفسه لسربه من أجل هؤلاء الأحاب  
الذين شبههم بالسرب ويعنى بنفسه ، أى قدم نفسك بين أيديهم قربة  
وهدية ، فإنك إذا فعلت ذلك أحبوك وأثنوا عليك ، فالله الأعطيات  
تفتح بالحمد الثنا لله جمع لهاة ، وقد قيل فى ذلك :

تهدى الأضاحى وأهدى مهجتي ودمي

وقلنا فى ذلك :

وأهدى عنى القربان نفساً معيبة

وهل رىء خلق بالعيون تقرباً

وكان بعض الفقراء يوماً بمنى رأى الناس بقربون قرباناتهم ، وكان فقيراً  
لا شىء له فى الدنيا ، فقال : يا رب كل قد وهبته شيئاً يتقرب به إليك ،  
وليس عند عبدك الفقير سوى نفسه وقد جعلتها فى هذا اليوم قرباناً إليك  
فأقبلها منى ولا ترد قربانى فى وجهى إنك جواد كريم ، فمات من حينه  
وهو واقف .

وقوله (إنها من فتيات) البيت بكامله ، يقول : إنها من المعارف المحدية

وإن كان أصلها أعجمياً ، فإن الله يقول لما ذكر الأنبياء في القرآن ، قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (١) ، والمعجزة في الوضع بالأصل أقدم من العربية ويجمعها الكلام والعبارة المعجزة متقدمة فلماذا قال : ( من الفرس أصلاً ) .

وقوله : ( نظم الحسن ) البيت بكامله ، يقول : إن فهو انيتها معشوقة لها نور عظيم عندما تتجلى لمناجاتها ، والمها هنا حجر شفاف أبيض شبه الثغر به لما وصفها وصف الجواد .

ثم قال :

رابني منها سفورٌ راعني عنده منها جمالٌ وبها  
فأنا ذو الموتتين منهما هكذا القرآن قد جاء بها

كانت العرب إذا حسرت المرأة النقاب عن وجهها لأحد لغير شيء ، عرف ذلك أن الشر ورائها في حقه ، فيحذر وينظر لنفسه ، وقال الشاعر :

\* وقد رابني منها الغداة سفورها \*  
( ثلث مائة ) : وكذا سفور من فلتا له شعر فادبه ، وقد

يقول : إن هذه النكته التي تعشق بها العلوية رأت قد أقام منازعتها في حضرة التمثل ما يناسبها في الصورة ميزاناً بالميزان فعلت أنه يريد أن تخدعه

---

(١) من الآية ٩٠ من سورة الأنعام .

بذلك ليعشق بتلك الصورة فيحجب عن هذه التي فيها سعادته فغارت  
عاليه لأمرين شفقة عليه لئلا يجهل فيشقى ، ولأنها أيضاً يتعطل أثرها إذا  
راحت عنه بقبوله لتلك ، فإن العلم بالشئ يقابل الجهل به وبضاده ، فتسفر  
عن وجهها إعلاماً وليزيد تعشقاً ، فلماذا قال : جمال وبها .

وقواه : ( ذو الموتين ) الموتة الأولى عن الأغيار ، والثانية عن نفسه  
فيمتقي معها بها لا به ، وقوله عن مجيء القرآن بها يريد قوله تعالى :  
( أمتنا اثنتين ) .

قلت ما يال سفورِ راعني موعد الأقوام إشراق المها  
قلت إني في حمى من فاحم ساتراً فلترسليه عندها

في البيت الأول ضمير محذوف دل عليه المفهوم كأنه يقول : قالت  
موعد الأقوام إشراق المها ، يعني ظهور الشمس نبهت على أن العدو الذي  
ذكرناه المعد له صورة مثلها مستعد عنده تجلى ذات هذه المحبوبة له يقيم هو  
تلك للصورة ، وهو الذي كنى عنها بإشراق المها يعني ظهور ذاتها له من حيث  
يريد تحصيلها ، فقال لها ما على منهم فإني في حمى عصمتك فتخفيني في سرادقات  
غيبك فلا يصلون إليّ ، كما قيل في حق الرسول عليه السلام : ( فإنه يسلك  
من بين يديه ومن خلفه رصداً )<sup>(١)</sup> كل هذا حتى لا يلتبس عليه في الإلقاء  
وهو الذي أردنا بقولنا :

(١) من الآية ١٧ من سورة الجن .

( تنزلت الأملاك ليلا على قلبي  
ودارت عليه مثل دائرة القلب )

ثم قال :

شعرنا هذا بلا قافية إنما قصدى منه حرف ها  
غرضى لفظت ها من أجابها لست أهوى البيع إلا ها وها  
يقول : ما لنا تعلق إلا بها ، ولا بالكون إلا من أجلها يشترط أن  
تكون ظاهرة فيه يآية مناسبة كانت كما قال الأول :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

وكما قلنا في صاحب لنا حبشى اسمه بدر :

أحب لحبك الحبشان طرّاً وأعشق لاسمك البدر المنيرا

وأما قولنا : ( بلا قافية ) فإن القافية عند أكثر أهل هذا الشأن في

التقصيدة التي يكون أواخر أبيانها هاء الإضافة أو ضاعها ، إنما هي في الحروف  
التي قبلها وهنا لم يلتزم ذلك فعلى هذا المذهب ، قلنا إنه بغير قافية ، وقد  
قيل غير ذلك .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

ولا أنس يوماً عند وانة منزلى وقولى لركب رائحين ونزل



أَقِيمُوا عَلَيْنَا سَاعَةً نَشْتَفِي بِهَا فَإِنِّي وَمَنْ أَهْوَاهُمْ فِي تَعَلُّلٍ

يقول : ولا أنس يوماً وقوفى فى مقام التقصير والاعتراف بالقصور على ما ينبغى من التعظيم لجلال الحضرة الإلهية ، وقولى لركب الأبرار والمقرين الرأئحين فى مرضات الحبيب والتنزل فى مقام الوقفة للارتحال بعد نيل ما نزلوا له ( أقيموا علينا ساعة نشتنى بها ) بالنظر إلى السعداء أهل العناية والوجد ، فإنى فى تعلل ، يقول اعلل نفسى بذكرهم لما نجده من الشوق إليهم والواو من ومن أهواهم واو القسم أقسم بهم تعظيماً وحتى لا يكون ذكره إلا هم فى قسمه وهو أيضاً من باب التعلل بذكرهم والتقدير فإنى وحق من أهواهم فى تعلل بذكرهم والساعة هنا قدر ما تقع به الراحة فى إقامتهم ولو كانت سنة .

فَإِن رَحَلُوا سَارُوا بِأَيْمَنِ طَآئُرٌ وَإِن نَزَلُوا حَلَّوْا بِأَخْصَبِ مَنْزِلٍ  
وَبِالشَّعْبِ مِنْ وَادِى قَنَاةَ لَقِيْتَهُمْ وَعَهْدَى بِهِمْ بَيْنَ النَّقَا وَالْمِشَلِّ  
يِرَاعُونَ مَرعى الْعَيْسِ حَيْثُ وَجَدْنَهُ  
وَلَيْسَ يِرَاعُوا قَلْبِ صَبٍ مُّضَلَّلٍ

يقول : فإن رحلوا ساروا بأيمن طائر ، أى يقال حسن فى وقت سعيد وإن نزلوا ، يقول : وإن أقاموا فأبذل جهدى فى خدمتهم ، يقول : وبالشعب طريق فى الجبل ، والله يقول : والجبال أوتاداً ، والأوتاد أربعة فى العالم ، يقول : ولقيتهم فى هذا المقام متبرزين ، وقوله : من وادى قناة من بطن

طيبة ، يقول : إنهم محمديون موحدون ( وعهدى بهم بين النقا والمثل )  
وهو ماء بفديك حيث كان مناه ، يقول : وعهدى بهم في رؤية الوسائط  
والأسباب ينظر إلى قوله تعالى : ( ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )<sup>(١)</sup>  
ثم قال : يراعون مرعى العيس ، يقول : مطالب الهم ومقاصدها يراعونها  
حيث وجدانها ولا يراعون قلباً مائلاً إليهم حائراً تأهراً في هواهم .

\* \* \*

### وقال رضى الله عنه

فيا حادى الأجمال رفقا على فتى تراه لدى التوديع كاسر حنظل  
يُخالف بين الراحتين على الحشا يُسَكِّن قلباً طار من صرَّ مجمل  
يخاطب داعى الحق الذى يدعوهم إلى دار السلام ، والأجمال الهم رفقا  
على فتى وصف نفسه بالفتوة ليرعاه ويشفق عليه وينبئه على مقام الفتوة  
ليعامله بها ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « ما كان الله لينهاكم عن الربا  
ويأخذه منكم فهو أولى بكل ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق » ،  
ثم وصف حاله عند الفراق بحالة الذى يكسر الحنظل فى تمر وجهه ،  
كما قال امرؤ القيس :

كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل  
وقوله : ( يخالف بين الراحتين على الحشا ) مثل الصليب ، يشير إلى

(١) من الآية ٣ من سورة الزمر .

اختلاف الحالات فيمسك جانب اليمين بالشمال وجانب الشمال باليمين ليسكن خفقان قلبه مما يجده من ألم مفارقة الجنس وهو يمسكه لأجل المسمى عن اللحاق بهم ، والصرّ والصرير الصوت ، فإنه لا يكون له صرير إلا عند السير ، وطيران قلبه ، يريد برحلته خلفهم لمنزلة البازي المربوط رجله في الكندره<sup>(١)</sup> ، فهو يطير شوقاً إلى الانفساح في فسحات الأطباق الجوية والرباط بالكندرة يمسكه كذلك رباط لطيفته بتدبير هذا الهيكل الذي هو بمنزلة الكندرة للبازي يمسكه إلى أن يأتي أمر الله ، ثم قال :

يقولون صبراً والأسى غير صابر فما حيلتي والصبر عني بمعزل  
فلو كان لي صبر وكنت بحكمة لما صبرت نفسي فكيف وليس لي

يقول : لما رأى المقرّبون والأبرار شوقاً إليهم وحبسوا في ظلمة عالم الأجساد ، قالوا لي صبراً على ما نالك إلى أن يصل وقتك : فقال لهم : إن الأسى غير صابر ، يقول : إن الحزن لو صبر عني ولا نزل بي صبرت فهو لا يبصر فكيف أصبر عنكم وصبري عني بمعزل وليس لي حيلة في تحصيله فإني تحت حكم سلطان الوجد ، ثم إنه لو حل بي صبر ، وكان الصبر يحكم على لما صبرت ، فإن الشوق إلى اخضرة الإلهية ذاتي المعارف والصبر عرضي وأناى يقاوم العرضي الذاتي فما كنت أصبر ، فكيف والأمر

---

(١) الكندرة مجثم البازي ، وجثم الطائر : لزم مكانه فلم يبرحه ،  
أو تلبد بالأرض .

على هذا الحد من كون الصبر عنى بمعزل فكيف وليس لى صبر فلا ملام  
على من هذه حاله .

\*\*\*

### وقال رضى الله عنه

طلعَ البدر في دُجى الشعرِ وسقى الورد نرجس الحور  
غادة تاهت الحسان بها وزها نُورها على القمر  
شبه التجلى بالبدر كما ورد في الخبر ، وشبه الغيب بالدجى ، والشعر  
من الشعور وهو العلم الخفى ، فكأنه يقول : ظهر الجلىّ في الخفى كظهور  
الخفى في الجلىّ ، كما تقول : وجود الحق في الخلق وجود الخلق في الحق ،  
وسقى الورد يعنى حمرة الخد نرجس الحور ، يريد العين بما ترسله من الدموع  
فيقع على حمرة الخدود فيكون كالروضة سقطها السماء ، والعرب تشبه  
العيون بالنرجس الأبيض الذى فى وسطه صفرة ، فكأنه يقول : وسقى  
المشهد الذاتى أو الاسم الجامع روضة الأسماء الإلهية فإنها فائضة إليه ، وهو  
مهيمن عليها ، وقوله : غادة يعنى الصفة الجامعة التى وصفها بالبدر ، وقوله :  
تاهت الحسان بها ، يعنى توابعها من الأسماء وزها نورها ، يعنى وتكبر  
نورها على نور القمر ، وإنما أوقع التشبيه بالقمر للتقريب على الألفهام  
لا من جانب التحقيق ، ثم قال :

هى أسنى من المِهابة سَنًا صورة لا تقاس بالصور  
فلكُ النور دون أخصها تاجها خارجٌ عن الأكر

يقول وهي أعظم نوراً من الشمس ولو وقع التشبيه بها ، وقوله صورة لا تقاس بالصور يريد معنى قوله ( ليس كمثله شيء ) على زيادة الكاف ، وجاء بلفظ الصورة لورود الأخبار في ذلك فكيف فيما أشرنا إليه من هذه المعرفة الذاتية التي تحصل للعبد من حيث المشاهدة في المكشف وقوله ( فلك النور دون أخصها ) البيت بكامله من أراد معناه يعرف معنى قوله تعالى : ( الرحمن على العرش استوى ) والحديث المروي<sup>(١)</sup> « أين كان الله قبل أن يخلق العرش ؟ قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء » فأقرب شيء من المعاني لهذا البيت معنى هذه الآية والخبر ، ثم قال :

إن سرت في الضمير يجرحها ذلك الوهم كيف بالبصرى  
لُعبة ذِكرنا يدوبها لطفت عن مسارح النظر

المعنى في نسبة الجرح إليها عند سريانها في الضمير هو ما يتخياه الوهم في الجنب الأعز من التصور ، فذلك جرح فيه والوهم أطف من الإدراك

(١) ذكره الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات وفيه مجاهيل ومن تماشى بعض أصحاب الصحاح النقل عنه وتفرد به يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدى ولا شأن لمثل هذا الحديث في باب الاعتقاد ، ومعنى عما أو عماء حجاب معنوي يحول دون العلم به وقال الترمذي قال أحمد بن منيع قال يزيد بن هارون وهو راوى الحديث في عماء أى ليس معه شيء اه .

والمعنى كما جاء في الحديث الصحيح كان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره .

الحسي ، فهي منزهة عن إدراك الألف فكيف بالبصر الذي هو أ كشف  
ولهذا يقال في العقائد في جناب الحق كل ما خطر في سرك وتلجلج في  
صدرك أي حصره وهمك فالله بخلاف ذلك ، وقوله لعبة من حيث فرح  
القلوب بها عند نزولها إليها من حيث ما هي القلوب عليه لا من حيث ما هي  
وقوله ذكرنا بذوبها أي إذا وقع الذكر عليها لم يجدها لكون ذلك الذكر  
لا يناسب لطفها ومعناها وقوله : ( لطف ) أي دقت أي عن مجارى الفكر  
فلا تدرك بالأفكار .

طلب النعت أن يبينها فتعالت فعاد ذا حصر  
وإذا رام أن يكيّفها لم يزل نا كصاً على الأثر  
إن أراح المطىّ طالبها لم يريحوا مطية الفكر

يقول لا تدرك بالنعوت والأسماء الواردة عليها فعاد النعت ذا حصر  
لأنه لم يجد محلاً يقبله ، فإذا جاء الخيال بتكليفه ليحمله عليها لم يقبله فارتد  
على عقبه راجعاً ، وإذا أكلت الهمم التي هي المطايا من العارفين في طلبها  
لوقوفهم على عجزهم في ذلك ولأنها لا تنال بالسعائيات لم ترح العقلاء الذين  
يزعمون أن الله يعرف بالدليل مطية فكرهم في استخلاص العلم بها جهلاً  
منهم بما يعطيه المقام الأعلى ، ثم قال :

روحت كل من أشبّ بها نقلته عن مراتب البشر  
غيره أن يشاب رائقها بالذي في الحياض من كدر

يقول : إن كل من تعلق بها تعلق عشق ومحبة وتخلق ونقلته عن مراتب  
 البشر إلى مقام التحول في الصور الذي هو الأرواح المجردة وللمقام الإلهي  
 في التبديل والتحول في الصور في الدار الآخرة ، وهذا خارج عن طبيعة  
 البشر وقوله ( غيرة أن يشاب رائحتها ) خلوص روحانيتها أن يحاط بالذي  
 في عالم الأجسام من كدر الطبيعة وظلمتها .

\*\*\*

## وقال رضى الله عنه

أحبابنا أين هم بالله قولوا أين هم  
 كما رأيت طيفهم - فهل تُريني عينهم

قوله أحبابنا يريد الأرواح العلوية بالأبنية اللائقة بهم فإن الأبنية لغير  
 التحييزات كالأبنية التي سأل النبي عليه السلام بها السوداء الخرساء وأخذ  
 يقسم على المسئولين عليهم بالله الاسم الجامع (أين هم) والجواب هم في قلوب  
 محبيهم وقوله : ( كما رأيت طيفهم ) يريد تجليهم في عالم التمثل والصور  
 ( فهل تُريني عينهم ) يريد حقيقةهم في عالم اللطف والمعاني من غير تجسد ،  
 ثم قال :

فكم وكم أطلبهم وكم سألت بينهم  
 حتى أمنت بينهم وما أمنت بينهم

يقول : وكم طلبتهم لأظفر بهم وانتظم في سلكهم بالتخلص مما أنا فيه  
وكم سألت بينهم ، أي وصلهم والبين هنا الوصل قال تعالى : ( لقد تقطع  
بينكم )<sup>(١)</sup> بالرفع ، أي وصلكم ، وقوله : حتى أمنت بينهم ، أي بعدهم ،  
والبين البعد وهو من الأضداد : وما أمنت بهم ، من البيئية وعدم الأمن  
من أن يحترق بأنوارهم إذا كان بينهم لضعفه وقوتهم ، ثم قال :

لعل سعدى حائل بين النوى وبينهم

لتنعم العين بهم فلا أقول : أين هم

يقول : لعل عناية إلهية سبقت لي في القدم تحول بين البعد وبينهم ،  
وأدركهم فأظفر بالمطلوب وتنعم عيني بمشاهدتهم فلا أقول بعد ذلك أين هم  
لحضورى عندهم وحضورهم عندي .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

بين الحشا والعيون النجل حرب هوى

والقلب من أجل ذلك الحرب في حرب

ليساء لساء معسول مُقَبَّأها شهادة النحل مايلقى من الضرب

رياً المخلخل ديجور على قمر في خدّها شفق غصن على كشب

(١) من الآية ٩٤ من سورة الأنعام .

( ١٥ - ذخائر )



يقول : بين عالم الأخلاط والتداخل والمناظر العلى حرب هوى لافتقار هذا العالم إليها وتعشقها بها ، إذ لا حياة لها إلا بنظرها إليها ولا حجاب لقلوب العارفين عن إدراك المناظر العلى إلا هذا العالم الطبيعي ، والمناظر العلى متأهبة لإدراكات قلوب العارفين ، وعالم الطبيعة يحجبها عن إدراك تلك المناظر فلا تزال المحاربة بينهما ، لكن القلب بين ذلك في حرب وفي شدة لفقده وعدم وجوده مع وجود وجدّه ، وقوله : لمياء ، يشير إلى حكمة علوية من تلك المناظر وصفها بسمرة الشفة إشارة إلى ما عنده من الأمور الغيبية طيبة المذاق ، وذكر شهادة النحل لأنها من الجنس الذى له ذوق فى الوحى الذى هو مطلوب القلوب ، والضرب العسل الأبيض ، فجعله العسل دليلاً عد ما يدعيه النحل من الوحى إليها المشا كل لما تلقيه ، وقوله : ربا الخنظل ، يقول : ممتلئة الساق ، أى عظيّمته من قوله تعالى : ( يوم يكشف عن ساق )<sup>(١)</sup> أى عن أمر فظيع فوصفها بالعظمة ، وقوله : ديجور على قمر ، أى غيب وراء مشاهدة ، فى خدها شفق ، يشير إلى مقام الحياء ، غصن على كذب ، يريد القيومية الظاهرة فى كتب التجلّيات .

حسناء حالية ليست بغافية تفتّر عن برد ظلم وعن شنب  
تصدّ جدّاً وتلهو بالهوى لعباً والموت ما بين ذاك الجدّ واللعب  
يقول : لها مقام الجمال من اسمه الجميل حالية مزينة بالأسماء الإلهية ليست

(١) الآية ٤٣ من سورة ن .

بغانية ، يقول : لم يقتضها أحد لأن الغانية هي المرأة التي لها زوج ( لم يطمئن  
إنس قبلهم ولا جان )<sup>(١)</sup> ، وقوله : تفتت عن برد ، يقول : تمتن بما يبرد  
الأكباد من لهب الشوق والظلم بريق الأسنان ، يريد صافية المشهد والشنب  
طيب ذلك المشهد وحسنه ، وقوله : تصد جداً ، لما كانت عزيزة المنال  
عن الإدراك كنى عن ذلك بالصد ، ولما كان الأمر حقيقة في نفسه أعنى  
عزتها جعله جداً لاهزلاً ، وقوله : وتلهو بالهوى ، أى تجعله في قلوب  
المحبين وتعلقه بها مع كونها تعرف أنه ما يحصل لهم منها شيء فأنزلته منزلة  
اللهو ، وقوله :

\* والموت ما بين ذاك الجد واللعب \*

يقول : إن المحب يموت ويقاسى الآلام بين هاتين الحالتين ، ثم قال :

ما عسعس الليل إلا جاء يعقبه

تنفسُ الصبح معلومٌ من الحقب

ولا تمرّ على روض رباح صعباً

تحوى على كعباتٍ خردٍ عُرْب

إلا أمالت ونمت في تنسّمها بما حملن من الأزهار والقضب<sup>(٢)</sup>

يقول : ما يبطن أمر إلا ويظهر مقابله ولا يظهر أمر إلا ويبطن مقابله

(١) من سورة الرحمن الآية ١٠

(٢) القضب : كل شجرة طالت وبسطت أغصانها . اهـ . قاموس

أبد الآباد ، ولا سيما وقد يسمى الحق سبحانه أزلا بأنه الظاهر الباطن ،  
ولا يحمل على محمل النسب والإضافات هذا هو حد النظر العقلي من طريق  
التنزيه ، وإنما ينبغي أن يحمل على أنه أمر ذاتي هو عين المطلوب الموصوف  
بالوجه الذي يليق وتعرفه من نفسه ، وقوله : ولا تمر ، أرواح التجليات  
على روض القلوب الحاوي على الحكم اللطيفة والمعارف الحسية الحاصلة من  
مقام الحياء والجمال ، إلا أمالت ، يريد عطف القيومية على القاسمين  
بالأكوان ، ونمت ، أي وصلت إلى أسمع القلوب ما عندها من لطائف  
الحكم في تنسمها في هبوبها بما حملن من الأزهار ، يريد نشر المعارف ،  
والقضب مراتب القيومية من قوله تعالى : ( أفمن هو قائم على كل نفس  
بما كسبت )<sup>(١)</sup> ، ثم قال :

سألت ريح الصبا عنهم لتخبرني      قالت ومالك في الأخبار من أرب  
في الأبرقين وفي برك الغماد وفي      برك العميم تركت الحى من كشب  
لا تستقل بهم أرض فقلت لها      أين المفرّ وخيل الشوق في الطلب

يقول : سألت الأرواح التي تعطى الشروق لتخبرني عن منازل الأجابة ،  
كما قال : ونمت في تنسمها فقالت ومالك بذلك من حاجة ، والجواب  
مخذوف ، ثم قالت : هذه الريح تركتهم في الأبرقين مشهدين للذات من  
حيث الشاهد ومن حيث المشهود ، فمن حيث الشاهد يحصل في القلب أثر

(١) سورة الرعد من الآية ٣٣ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٣٣ .

معرفة ، ومن حيث المشهود لا يجد عند الرجوع أمراً ينضبط له ، بل يزول بزوال التجلي قوله : في برك الغماد والغميم ، يريد المقاصد لأنها أما كن بأرض الحجاز والحج القصد على التكرار ، وقوله : عن كئيب ، عن قرب كما قال عليه الصلاة والسلام في المطر لما نزل ظهر له بنفسه صلى الله عليه وسلم حتى أصابه منه ، وقال « إنه حديث عهد بربه فهذا معنى عن كئيب ، وقوله : لا تستقل بهم أرض ، أى لا يثبتون على حال ، يشير إلى التمكن في مقام التلويح وهو أرفع المقامات عند المحققين ، وقوله تعالى : (أين المفر) <sup>(١)</sup> يقول : إن كان عدم الثبوت لهم على حال حتى أعجزوا رجوع عن الطلب ، فلا أفعل فإن خيل الشوق منى في طلبهم ما دمت وداموا والذوام لنا دائم ، فالشوق والطلب دائم سواء ثبتوا بمقام أو لم يثبتوا .

هيات ليس لهم معنى سوى خلدى

فحيث كنت يكون البدر فارتقب

أليس مطلعها وهمى ومغربها قلبي فقد زال شوم البان والغرب

ما للغراب نعيق في منازلنا وما له في نظام الشمل من ندب

قوله : هيات ليس لهم معنى البيت بكامله ، يريد قوله عليه الصلاة

والسلام عن ربه : « ما وسعنى أرضى ولا سماءى . ووسعنى قلب عبدى

(١) سورة القيامة الآية ١٠ .

المؤمن»<sup>(١)</sup>، فهو محل المعرفة بالله ومجلى التجلى الإلهي ، وقوله : ( أليس  
مطلوبها وهمي ) يريد حين تجليها في الصور في عالم التمثل ، ومغربها قلبي ،  
يريد السعة التي ذكرناها وهي المعرفة بالله ، وقوله :

\* فقد زال شومُ البان والغرب \*

فإن العرب تتشائم بالبان لأنه من البين والغرب من الغربية ، كما قال :  
تعد الطائرات لبين سلمى على غصنين من غرب وبان  
فكان البان أن بانت سليمى وفي الغرب اغتراب غير دان  
وقوله : ما للغراب نعيم في منازلنا ، البيت بكماله ، يقول : وإن الناس  
يتشاءمون بنعيم الغراب ، وأنه من مبشرات البين وشتات الشمل ،  
وهنا لا يتصور فإن الذي أهواه في قلبي ، فليس لأسباب البين فيه ندب ،  
أى ليس له أثر في تفريق الشمل ، فإن الحقائق تعطى أن لا حجاب بعد  
التجلى ولا محو بعد الكتابة في القلب .

\* \* \*

وقال رضى الله عنه

حمامة البان بذات الغضا ضاق لما حملتنيهِ الفضا  
يخاطب الحكمة المنزهة بذات الغضا الكائنة بأحوال المجاهدات

(١) هو أثر جليل وليس بحديث كما سبق بيانه .

والرياضات كنى عنها بالفضا ، وقوله : ضاق لما حملته الفضا ، أراد ما أزيد بقوله في الأمانة المعروضة ( فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان )<sup>(١)</sup> ، والذي أراده القائل أيضاً بقوله :

ضاحك عن جمان سافر عن بدر ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

ثم قال :

من ذا الذى يحمل شَجْوِ الهوى من ذا الذى يَجْرَعُ مرَّ القضا  
أقول من وجد ومن لوعة يا ليت من أمرضى مرضا  
مرَّ بيباب الدار مستهزئاً مستخفياً مُعْتَجِراً مُعرضا  
ماضرنى تعجيره إنما أضرَّ بى من كونه أعرضا

يقول : من ذا الذى يحمل آلام الهوى ، ومن ذا الذى يقدر يجرع مرَّ ما يقضى به الله من الأمور التى لا تلائم لطبيعة النفس لا بمعرفة كاملة تحجبه عن تلك المرارة ، كما يجب الدواء المرَّ بما يلتقى فيه من الحلاوة ليسوغ لشاربه لتحصل المنفعة . ثم قال : أقول من وجد ، أى حزن ، ومن لوعة ، حرقة الهوى ، يا ليت من كان سبباً لمرضى يلتزم تمرضى وسياستى فيكون شفاى وشغلى به عن مرضى بمشاهدته ، وقوله : مرَّ بيباب الدار ، يريد الخواطر الإلهية التى تخاطر له من جانب الحق من غير حلول ولا إقامة ،

(١) من الآية ٧٢ من سورة الأحزاب .

بل هي بروق تلوح ، وقوله : مستهزئاً ، من قوله تعالى : (الله يستهزئ بهم<sup>(١)</sup>) ، فلا بدّ من صفات تكون في القلب تعطى حالة استهزاء ، وهي مشورة عند القوم ، وقوله : مستخفياً ، يقول في الغيب معتجراً إشارة إلى الحجب معرضاً ، يقول : يذبه على الصفة التي حجبته عني ، وقوله : ماضراً في تعجيره يقول : لا أنكر الحجب فإنه لا بد منها ، وإنما الضرر الذي وجدته في الإعراض فعلمت أن عندي صفة تقتضي ذلك الأعراض ، ولا أدري ما هي فأزيلها إلا أن ينبهني الله عليها ويوقني إلى معرفتها فأسعى في زوالها فيكون القبول .

\*\*\*

### وقال رضى الله عنه

يا حادى العيس بسلع عرج وقف على البانة بالمدرج  
ونادهم مستعطفاً مستلطفاً ياسادى هل عندكم من فرج  
برامة بين النقا وحاجر جارية مقصورة في هودج

يخاطب داعى الحق اللهم الطالبة معرفته وشهوده ، وقوله : بسلع ، يريد بمقام الإحرام اليثرى عرج : أى أقبل ، وقوله : وقف على البانة ، يقول : وأظهر لى في مقام القيومية والعطف بالمدرج ، يقول : على التدريج لا تلقى

(١) من سورة البقرة الآية : ١٥

إلى الأمر دفعة واحدة فأهلك ، لكن حالا بعد حال ومقاماً بعد مقام مخافة  
الدهش والخيرة ، وقوله : ونادهم ، يريد الأسماء الإلهية بلسان الاستعطاف  
والاستلطاف هل عندكم من فرج ، أى من شفاء لما نالنى فى هواها ،  
وقوله : برامة ، منزل من منازل التجريد والتفريد ، وقوله : بين النقا  
وحاجر ، يقول : بين الكثيب الأبيض وبين الحجاب الأحمى المحجوب  
على القلوب ينله جارية ، يقول : معرفة ذاتية أحادية مقصورة محبوسة  
فى هودج ، يقول : يشار بها ، أى أنها فى قلوب العارفين والقلوب لها  
كالهوادج ومراكب القلوب كالإبل تحت الهوادج ، ثم أخذ يصف هذه  
المعرفة الذاتية .

يا حسنَهَا من طفلةٍ غُرَّتْهَا تضىء للطارقِ مثلُ السُّرُجِ  
لؤلؤة مكنونة فى صدف من شعر مثل سواد السبج

يقول : يا حسنَهَا من طفلة ، أى ما أنعمها وغررتها تجليها فى نورها تضىء  
للطارق الآتى ليلا ، يريد أهل المعارف والإسراءات مثل السرج ليتهدى بها  
فى ذلك المعراج ، وقوله : لؤلؤة ، أى شريفة مكنونة ، يقول : محجوبة  
فى صدف من شعر فى حجاب الغيب المشعور به ، ولهذا يصح طلبها لأنه  
ملا يشعر به لا يصح أن يطلب ولا تتعلق به همة ، ثم قال :

لؤلؤة غواصها الفكر فما تنفك فى أغوار تلك اللجج  
يحسبها ناظرها ظبي نقأ من جيدها وحسن ذلك الغنج



يقول : إن الفكر يفرس في لجة بحرها ليستخرج هذه اللؤلؤة ، وهي لا تخرج بالفكر ، فالفكر لا يزال غائصاً أبداً وهؤلاء هم أهل الأفكار الطالبين تحصيل هذه الأمور من باب النظر والاستدلال ، وهيات لما يطلبون وبعداً لما يرومون ، والله ما تحصل إلا بعناية مجردة ، وسر فارغ عن الأفكار لأنها لا تنال بالسعيات ، ولكن بالعنايات الإلهية حصولها ، فإذا حصلت يحسبها إذا كان تجليها في حضرة التمثل ظبي نقا في التفاتها إليه في الكتيب الأبيض ، وفي حسن كلامها وخطابها الذي كنى عنه بالغنج ، ثم قال :

كانها شمس ضحى في حملٍ قاطعةً أقصى معالي الدرج  
إن حسرت برقعها أو سفرت أزرت بأنوار الصباح الأبلج  
يقول : كأنها شمس ضحى في حمل بيت شرفها ، يريد تجليها في مقام العزة والكبرياء ، وقوله : قاطعة أقصى معالي الدرج ، يقول : إشارة إلى ما يجده الناظر في نفسه من الزيادة والعظمة والكبرياء والعزة في إدامة النظر ، وقوله : إن حسرت ، أى إن رفعت الحجب وظهرت بوجهها طمس كل نور لنورها .

ناديتها بين الحمى ورامةٍ من لفتى حل بسلعٍ يرتجى  
من لفتى متيه في مهمهٍ موله مد له العقل شجى  
يقول : ناديتها في وقت الحجاب بين حجاب العزة الأحمى وبين منازل

التفريد من لفتى من الفتوة ، حلّ بسلع ، منزل من منازل الحرمه الإلهية  
 قد تعلق رجاؤه به ، من لفتى متيه ، أى حائر في عزتها وكبريائها في مهمه  
 في قفر ، يريد حالة الانقطاع موله حيران مدله سكران العقل شجّ محزون  
 على ما فاته .

من لفتى دمعته مفرقةٌ أسكره خمراً بذاك الفلج  
 من لفتى زفرته محرقةٌ تيمه جمالُ ذاك البلج  
 قد لعبت أيدي الهوى بقلبه فما عليه في الذي من حرج  
 يقول : من لفتى ، يشير إلى مقام الفتوة من قوله تعالى : ( سمعنا فتى  
 يذكرهم يقال له إبراهيم<sup>(١)</sup> ) ، وقوله : دمعته مفرقة ، هو ما تعطيه المشاهدة  
 من المعرفة ، ولذلك نسبها إلى الدمع ، وقوله : مفرقة ، أى من حصل  
 في هذا البحر العرفاني ففرق ، يعرفه بأنه بحر لا ساحل له ، وقوله : أسكره  
 خمر مع أنه لذة للشاربين ، وهو كل علم يعطى الابتهاج والسرور بالعلم  
 بالسكالم إذا حصل لهذه اللطيفة الإنسانية ، والفالج تفرق الأسنان ، وهى  
 مراتب في المعرفة ، وقوله :

\* من لفتى زفرته محرقة \*

يقول : اصطلامه محرق وتيمه تعبه ، والباج تفرق الحاجبين وهو المقام  
 الذى بين الوزيرين الإمامين فكانه يشير إلى مقام القطب ، وقوله :  
 \* قد لعبت أيدي الهوى بقلبه \*

يقول : إنه في تصريف الهوى وتحت حكمه فما عليه في الذى يرومه

(١) من الآية ٦٠ من سورة الأنبياء .

على حسب ما وقع له في هواه ، وهو الذي ابتنى عليه الخاطر الأول من  
حرج يقول من جناح ولا إثم .

\*\*\*

ثم قال :

من لى بمخضوبة البنان من لى بمعسولة اللسان  
من كاعبات ذوات خدر نواعم خُرد حسان  
يريد بمخضوبة البنان هو ما استترت به القدرة القديمة بالقدرة المحدث  
على مذاهب أهل النظر واختلافهم في ذلك فيقول : من لى بها ، أى  
بتحصيل علم ما أحالوه من تحصيله لأقف على حقيقة الأمر ، وسبب طلبه  
لذلك هل يصح فيها تجلّ أم لا ؟ وأنا أمتنع وجماعة من أصحابنا والمعتزلة  
لا تمتنع ، ووصوفية الأشعرية متوقفة ، وقوله : من لى بمعسولة اللسان ،  
يريد طيب الكلام ، وقوله : من كاعبات ، أى تحمل علومها وصف  
ذوات صون ، يريد الحجب والستر ، نواعم ما يعطونه من اللطافة ، وهو  
مقام الحياء والجمال . ثم قال :

بِدُورِ تَمِّ عَلَى غصون هنّ من النقص في أمان  
بروضة من ديار جسمى حمامة فوق غصن بان

يقول : هنّ مقام الكمال والتمام الذى لا يعتره نقص ولا جرم ، يريد  
إنهنّ بروضة منقطعة عن الروضات لانفرادها في صفتها ، وبها حمامة لطيفة

روحانية نبوية ظهرت في القيومية المنزهة عن الاشتراك وهو مذهب بعض اصحابنا أن القيومية لا يتخلق بها ، ثم قال :

تموت شوقا تذوب عشقا      لما دهاها الذي دهاني  
تندب إلفاً تدم دهرأ      رماها قصداً بما رماني  
فراق جار ونأى دار      فيازماني على زماني  
من لى بمن يرتضى عذابي      ما لى بما يرتضى يدان

يقول : إنها في مقام الشوق والعشق ، ووصفها بالذوبان والموت ، والمراد ( فاتبعوني يحببكم الله )<sup>(١)</sup> و ( يحبهم ويحبونه )<sup>(٢)</sup> ، وذكرها الألف يريد الصورة الجامعة ، ولما كانت الصور من عالم التمثل كان لها التقييد بالزمان أيضاً في ذلك العالم فعلق الهم على الزمان ، وجعل السهام الصوائب له لأنه محلها وبه ظهرت فراق جار عارف الحجب بنفسه عن ربه بعد أن كان بربه لربه ، ونأى دار يريد دار طبيعته إذا رجع إليها فتحسر من هذا الزمان الذي وقع فيه البين على الزمان الذي كان فيه انتظام الشمل وقوله :

\* من لى بمن يرتضى عذابي \*

(١) سورة آل عمران آية ٣١

(٢) سورة المائدة آية ٥٤

يقول : من لي يوصلها بعد هجرها ، فإن فراق الإطلاق أعظم من  
الفراق الأول لأنه فراق عن خير ، وقوله :

\* ما لي بما يرتضى يدان \*

يقول : سبق العلم بأمر ما يمنع من وقوع غيره ، وهذا باب عظيم واجب  
غلقه وسده بأنه مهلك إلا للعارف المتمكن .

\* \* \*

وقال رضى الله عنه

وغادرَةٌ قد غادرت بغداداً شبيهة الأفاعى من أراد سبيلاً  
سليماً وتلوى لينها فتذيبه وتتركه فوق الفراش عليلاً  
رمت بسهام اللحظ عن قوس حاجب  
فمن أى رَشْقٍ جئتَ كنتَ قتيلاً

قوله : ( وغادرَةٌ ) يشير إلى صنفة مكربة تركت بفنون علومها الغيبية  
التي هي من حضرة الهيبة والجلال ، من أراد الوصول إليها لذيعاً من حبه  
وقوله ( وتلوى لينها ) يريد نظرة عطف من الجانب الأيمن فتذوب لتلك  
النظرة كما قتلته أيضاً من خلف بغدادها ، وقوله :

\* وتتركه فوق الفراش عليلاً \*

الفراش سريره الطبيعي المعبر عنه بالجسم ، وقوله :

\* رمت بسهام الحظ عن قوس حاجب \*

يقول : وهو أيضاً قتيل بما حصل له من المناظر العلى عند الشهود  
بالوسائط وغير الوسائط ، وقوله : ( فمن أى شق ) يقول : من أى ناحية  
جئت كنت قتيلاً يقول لها الأثر فيك من أى ناحية جئتها جانباً أو أماماً  
أى مقابلة أو مدابرة بالملاحظة من أمام ، واللفت من جانب ، والصفائر من  
خلف ، وكلها للمحب أبواب مهلكة فلا راحة .

\* \* \*

وقال رضى الله عنه

بذات الأضا والمأزمين وبارق وذى سلم والأبرقين لطارق  
بروق سـيوف من بروق مباسم

نوافج مسك ما أبيضت لناشق

فإن حوربوا سـلوا سيوف لحاظهم

وإن سولوا هدوا عقود المضايق

فنالوا ونلنا لذتين تسـاويا فملك لمعشوق وملك لعاشق

يقول : لتمام النور وانضغاط النفس بين العالمين وحضرة التجلى الذاتى

من الجانبين ومقام السلم لأهل المعارج من الروحانيين بروق سيوف من

بروق مباسم ، يقول : مكر عظيم فى لطف خفى محبوب بنعمة معشوقة ،

وقوله : ( نوافج مسك ) أى مشاهد طيبة تتعالى عن المشام أن تصل إلى

إدار طيب نشرها ، وقوله : ( فإن حوربوا ) أى نوزعوا من قوله تعالى :  
( كذلك يطبع الله على قلب متكبر جبار )<sup>(١)</sup> ، وقوله : ( ذق إنك أنت  
العزیز الکریم )<sup>(٢)</sup> ، وقوله عليه السلام : « وأعوذ بك منك » ، سلوا :  
يقول جردوا سيوف لحاظهم إشارة إلى القهر والعظمة ، وإن سولوا لم  
ينازعوا هدوا عقود المضائق ، أى حصلوا فى عالم الانفساخ ، وقوله :  
\* فقالوا ونلنا لذتين تساويا \*

من باب ما ورد فى الأخبار من اشتياق الجناب الأعز إلى أهله ، وقوله :  
( تساويا ) يريد مقام الصورة التى خلق عليها فملك لمعشوق وملك لمعشوق ،  
أى لكل واحد فى صاحبه ضرب من التصرف بحسب ما يليق ،  
والأحوال تفسره .

\*\*\*

## وقال رضى الله عنه

رضيت برضوى روضة ومناخا فإن بها مرعى وفيه نفاخا  
عسى أهل وُدِّي يسمعون بخصبه  
فيتخـذونه مربعا ومناخا

(١) سورة غافر آية ٣٥

(٢) سورة الدخان آية ٤٩



رضوى : فيه تنبيه من مقام الرضى ، روضة : أصنافاً من العلوم ،  
ومناخا : مبارك الإبل ، وهى الهمم ، فإن به مرعى أى غذاء الأرواح وفيه  
نفاخا يريد صفاء العيش : وقوله : ( عسى أهل ودى ) يريد إشكاله يبلغ  
الهمم ما هو عليه هذا المحل الأعلى من الخصب فيتخذونه مربعاً لهممهم ،  
ومناخا ومحلا لخط رحالهم لوجود راحة من تعب السفر المعنوى ،  
فإن الأسرار قد تسكل ، ولا سيما إذا كانت حركاتها فى طريق الاستدلال  
ثم قال :

فإن لنا قلباً بهنّ معلقاً إذا ما حدى الحادى بهن أصاخا<sup>(١)</sup>  
وإن هم تنادوا للرحيل وفوزوا

سمعت له خلف الركاب صراخا

فإن قصدوا الزوراء كان أمامهم وإن يمموا الجرعاء ثم أناخا

يقول عن أشكاله الذين تقدموه إلى مقصوده إن له قلباً معلقاً بهم وقد  
كان تعلقه بالأسرار ، ويريد بالرحلة رحلتها عنه فى وقت غفلاته ورجوعه  
إلى حظوظه ، وقوله :

\* إذا ما حدى الحادى بهن أصاخا \*

يقول : إذا مادعى داعى الحق بهم إليه أصاخ هذا القائل المحب لذلك الدعاء

يقول : ( وإن هم تنادوا ) أى يصيح بعضهم لبعض : الرحيل ، من قوله

(١) اصاخ لهم : استمع مختاراً .



تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى<sup>(١)</sup>)، وفوزوا : أى طلبوا الفوز فى مقام التجريد ، سمعت له : يعنى قلبه خلف الركاب يعنى الهمم والقلوب الراحلة عن أبدانها ، صراخا : يريد بكاء عالياً ، وإن قصدوا الزوراء حضرة القطب وسميت زوراء ليلها إلى جانب الحق المشروع ، كان أمامهم يعنى بهمته وقلبه لا بعمله ، فإنه يعجز عنهم فليس للعاجز إلاّ تقدم التمنى ، وإن يمموا قصدوا الجراء موطن المجاهدات وتجرى العنقاص فإنه سلوك عن حجاب ، ثم أناخا يقول : يقيم لا يبرح لأنه لا يطيق حمل تلك المشاق ، وقد يريد أيضاً بقوله ، ثم يعنى الجراء إنه يقيم فى مواطن المجاهدات الشاقة من أجل نيل مقصوده .

ثم قال :

فما الطير إلا حيث كانوا وخيموا

فإن له فى حيم ——— من فراخا

تحارب خوف لى وخوف من أجلها

وما واحدٌ عن قرنه يتراخى

إذا خطفت أبصارنا سبجاتها

أصم لها صوت الشهيق صراخا

يقول : ما تقصد الهمم إلا المواطن التى تناسبها بحكم الأصل فالعارف

أبدأ حينه إلى التحقق كشافاً بالأسماء الإلهية ، وقوله :

(١) من الآية ٢ من سورة المائدة .

## \* تحارب خوف لى وخوف من أجلها \*

يقول : فى قلبى خوفان خوف من أجلى وخوف من أجلها ، وهما قرنان  
قويان ، كل واحد منهما لا يسأل عن صاحبه ، فالخوف الذى من أجلى هو  
على بصرى عند التجلى أن تخطف نوره سبحانه ، والخوف الذى هو عندى  
من أجلها هو على سمعها لئلا يصم من صوت بكائى عليها وجعل المطلوب  
هنا قد تجلى له فى صورة برزخية فى عالم المثال فنسب إليه ما ينسب إلى  
الصور لما نزلت إليها احتاج هو أن ينزل فى العبارة ، وهكذا أوردت  
النبوءات فى كلامها ، ولا سيما وقد ورد : ( ما أذن الله لشيء كإذنه  
لنبي يتغنى <sup>(١)</sup> بالقرآن ) أى ما استمع <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

## وقال رضى الله عنه

إذا ما التقينا للوداع حسبنا  
لدى الضم والتعني حرقاً مُشدداً  
فنحن وإن كنا مثني شخوصنا  
وما ذاك إلا من نحولى ونوره  
فلولا أفينى ما رأيت لى مشهدا

(١) يتغنى بالقرآن . قال الإمام النووى رضى الله عنه : يحسن صوته

فى قراءة القرآن .

(٢) استمع : وهو إشارة إلى الرضا والقبول . والحديث متفق عليه .

الحرف المشدد حرفان مبطون أحدهما في الآخر ، يقول : النفس عند  
المفارقة للجسم تحن بهذه الحالة ، فنحن وإن كنا اثنان في المعنى فما تقع العين  
إلا على شخص واحد وسبب تعشقها به كونها ما نالت الذي نالت من  
المعارف إلا بحبسها فيه واستعمالها له فيما أمرت به من الخدمة الموضوعية  
الإلهية والإشارة هنا أيضاً إلى قوله (أنا من أهوى ومن أهوى أنا)  
والوداع المذكور مع هذه الإشارة هو أن يتميز ما ينبغى له عن ما لا ينبغى  
لمحبوبه فيأخذ هذا صفاته وهذا صفاته ، وقوله (وما ذاك إلا من نحولى)  
يريد أنه من عالم اللطف ونوره يعنى لقوته ذهب ببصره عن إدراكه ولطافتى  
وقوله : (فلولا أنينى) يريد ما أراد المتنبى بقوله \*لولا مخاطبتى إياك لم ترنى\*  
وقال الآخر \* فاطلبوا الجسم حيث كان الأنين \* .

\*\*\*

## وقال رضى الله عنه

وقالوا الشمس بدار الفلك وهل منزل الشمس إلا الفلك  
إذا قام عرش على ساقه فلم يبق إلا استواء الملك

يقول : وقالوا الأنوار الإلهية بدار الفلك يعنى القلب لاستدارته أشار به  
إلى قوله : « وسعنى قلب عبدى المؤمن » وقوله : (إذا قام عرش البيت



بِكَمَالِهِ ، فالإشارة به إلى قوله : ( فإذا سويته ونفخت فيه من روحي )<sup>(١)</sup>  
وقوله ( الرحمن على العرش استوى )<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى ( فسواك فعدلك )<sup>(٣)</sup>  
كل هذا إشارة إلى المعنى ولا بد للملك مهياً من مَلَكٍ يقوم عليه وبه ،  
ثم قال :

إذا خلص القلب من جهله فما هو إلا نزول الملك  
تملكني وتملكته فكل لصاحبه قد ملك  
لكوني ملكاً له بيني وملكي له قوله هيت لك  
يقول إذا قام القلب من جهله في مقام الإخلاص فما هو إلا تنزل  
الروحانيات العلى له عبر عنه بالتخلص من الجهل لقيام العلم به وقوله تملكني  
من حيث أنتى مقيد به ، وتملكته من حيث إنه ليس للأسماء ظهور  
إلا في الممكن ، فمن هذا الوجه أيضاً يكون نسبة صورته تحت حيطه الخبر  
النبوي ، وقد فسر ذلك في البيت الآخر في قوله \* فكوني ملكاً له بين \*  
وهو التقييد الذي ذكرناه قوله ( وملكي له هيت لك ) اظهر الأسماء فإني  
لو لم أخذها لم يظهر لها أثر إذ لا أثر في القدم ولا في القديم ، ثم قال :  
فياحادي العيس عرج بنا ولا تعد بالفلك دار الفلك  
أعلك داراً على شاطئ بقرب المسنى وما عدلك

(١) من الآية ٧٢ من سورة ص .

(٢) من الآية ٥ من سورة طه .

(٣) من الآية ٧ من سورة الانقطار .



يقول: فياداعى الهمم عرج بنا نحو دار الفلك الذى هو القلب لأنه بيت  
التجلى والسعة الإلهية ودار الفلك دار بيغداد موقوف على النساء المتعبذات  
على شاطئ الدجلة بقرب المسنى دار الإمام رضى الله عنه فقال أعللك ، أى  
أورثك ذلك القرب علة الهوى ، وقوله على شاطئ يريد نهر الحياة والصدق  
فإنه فى مقابلة الضد فهو على التفاؤل كما يقال فى اللديغ سليم وفى الزفت بياض  
وكذلك دجلة وإن كانت موضوعة للكذب فإن المراد بها هنا ضد ذلك  
وهو الصدق ، وذلك لإزالة عين الناظر رداً لعينه لئلا تصيبها ، وقوله  
بقرب المسنى مقام القطب إذ كان دار الخليفة ، وما أعللك من التعلل كأنه  
يقول أمرضك وما مرضك ، ثم قال :

فليت الذى بي وحملته من الحب ربّ الهوى حملك  
فليس زرود ولا حاجر ولا سلم منزل أنحكك

يقول لعاذله فليت الذى بي من ألم الهوى وحملته من أثقال المحبة  
يحملك الله أمثالها من غير هذا الباب ، وقوله : (فليس زرود) البيت بكماله  
يقول وما أنحكك ممكناً أصلاً ولا مقام يشير إلى أن حبه لمشهد ذاتى أنزه  
أقدس يتعالى عن التقييد بالأماكن ، ثم قال :

ظلت لحرّ الهوى طالباً سحب الوصال وما ظلك  
أذلك عزّ لسלטانه فليت كما ذلك ذلّ ذلك  
ويا ليت إذ أبى عزة تدلّه ليته دلّ لك

يقول: أقت تطلب لما أصابك من حر الهوى سحابة وصل تظلل عليك



لتنعم وتستريح فما فعل معك ذلك لأنك محبوب ، فلو كشفت قربه منك  
وأنه سمعك وبصرك لم يكن شيء مما ذكرت وقوله ( أذلك عز لسلطانه )  
يقول تجلى لك في مقام العزة فذللت للمقام لاله ، فقد كنت تعرفه وما ظهر  
أى حال ذله مثل ما ظهر عليك عند نجليك في مقام العزة ، فقد يكون ذلك  
طعناً في معرفتك وقوله ( فليت كما ذلك ) يقول كما أ كسبك الذل ليته  
نزل إليك نزول لطف وأنس ويا ليته إذ أبى عزة هذا التنزل ليته يقيمك  
في مقام الإدلال لتنبسط نفسك ويرتاح شرك ولا يبقيك في هذا المقام الذى  
أنت فيه .

\* \* \*

ثم قال :

أغيب فيفنى الشوق نفسى فالتقى      فلا أشتقى فالشوق غيباً ومحضراً  
ويحدث لقياء ما لم أظنه      فكان الشفاداء من الوجد آخراً  
لأنى أرى شخصاً يزيد جماله      إذا ما التقينا نفرة وتكبراً  
فلا بد من وجدٍ يكون مقارناً      لما زاد من حُسن نظاماً مُحَرَّراً

يقول: فى الغيبة يهاكك الشوق ، وفى اللقاء يهلكك الاشتياق فلا يزال  
معدباً ، فهو فى آلام الغيبة يرجو الشفاء باللقاء فإذا التقى يزيد وجده وذلك  
أن التجليات لا تتكرر وأنه ينتقل من عالٍ إلى أعلى فيكون الثانى أعلى  
من الأول عند الرأى فلا بد أن يكون له فيه أثر يحدث عنده مزيد تعلق

ومحبة به فيه ضاعف حبه فيتضاعف شوقه فيزيد ألمه ، وذكر افضة الشخص  
للخبر الوارد .

\* \* \*

ثم قال :

القصر ذو الشرفاء من بغداد لا القصر ذو الشرفات من شداد  
يقول : الحضرة المعامة من حضرة القطب هو المطلوب لأصحاب الهمم في  
المقامات أن ينالوها لأنها حضرة التصرف والاستخلاف والتحكم ظاهراً  
وباطناً لا القصر ذو الشرفات من شداد يقول لا هذه المملكة الدنيوية التي  
لا يدري مالكمها ما يراد به ولا يفرق بين عدوه وحببه ويخاف من دخول  
الخلل عليه ، ويحتاج إلى الآراء ومشورة العقلاء في تديره لئلا يختل عليه  
ملكه ، ثم قال :

والتاج من فوق الرياض كأنه عذراء قد جليت بأعطر ناد  
يقول : والتاج يريد الملك من فوق الرياض ما يحمله من المعارف فكان  
هذا الملك عذراء مجلوة في روضة طيبة الروائح فتكون معشوقة للنفوس  
ويقول الملك والعلم لا شيء أحسن منه ، ثم قال :

والريح تلعب بالفصون فتنتنى فكأنه منها على ميعاد  
يقول : والهمم تتعلق بالقيومية الإلهية فيعطفها عليه جوداً ومئة فكأنهما  
مبتواعدان على ذلك لما رأوا أن تعلقها لا يخيب ، وأنها مهما تعلقت انعطفت  
عليها ، ثم قال :

وكان دجلة سالكها في جيدها والبعل سيدنا الإمام الهادي  
يقول: وكان مقام الحياة في جيد هذا المقام سالكا فلا ينظر إلى شيء  
إلا حيي به ذلك الشيء إما حياة علمية أو حسية أو عملية ، ولما وصف  
الملكة بما توصف به النساء احتاج إلى بعل فذكر الإمام الذي هو الغرث  
وقطب العالم الذي عليه مداره وييده مصالحه وسماه الهادي للتخلف الذي  
عنده ، ثم قال :

الناصر المنصور خير خليفة لا يمتطي في الحرب متن جواد  
يقول: إنه ناصر من حيث الأمة ومنصور من حيث العناية الإلهية  
وقوله ( لا يمتطي في الحرب متن جواد ) يقول: نزوله عن هذا المركب  
الطبيعي ومفارقه له بوقوفه على حقيقته من حيث نسبته لربه ومن ذلك  
الوجه الذي يكون له به الشرف عنده ، ثم قال :

صلى عليه الله ما صدحت به ورقا مطوّقة على مياذ  
وكذاك ما برقت بروق مباسم سحت له من مقلتي عواد  
من خرد كالشمس أقلم غيها فبت بأنور مستنير بادي

يدعو لهذا الإمام وإن كان أعلى منه كما أمرنا بالصلاة على محمد والدعاء  
له بالوسيلة مع كونه أرفع منا عند ربه بل لا مناسبة في الرفة ، وقوله  
( ما صدحت به ) أي ما ذكرته نفس مطوقة محصورة في عالم الطبيعة على  
مياذ إشارة إلى هذا الجسم الذي هو منالها كالغصن لاطائر المفرد عليه



وقوله ( وكذاك ما برقت ) يقول وكذلك ما لاحت له أنوار المشاهدة  
الفهوانية من الجناب العزيز فبكت لها عيني فرحاً أى جرت الدموع لذلك  
من الفرح والسرور ، فقد تجمرت الدموع للسرور من غير بكاء ولا يكون  
البكاء إلا مع الحزن ، وقوله ( من خرد ) البيت بكماله يعنى من أجول من  
مقام الحياء كالشمس إذا ظهرت بعد ارتفاع الغيث فيصفو الجو من الغبار  
فيكون النور أخلص وأصفى ، يقول فنورها مثل هذا النور ، وإن كان  
الممثل به دونه فى المرتبة .

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنيبراس

\* \* \*

ألا يا نسيم الريح بلغ مها نجد بأنى على ما تعلمون من العهد  
وقل لفتاة الحى موعداًنا الحى غدية يوم السبت عند ربنا نجد  
على الربوة الحمراء من جانب الضوى  
وعن أيمن الإفلاج والعلم الفرد  
يخاطب الرقيقة الروحانية التى يتخذها العارفون سفيراً بينهم وبين  
ما يريدونه وقوله ( بلغ مها نجد ) الأرواح العلوية بأنى على ما فارقتهم عليه  
من العهد فى وقت انفصالى عنهم وحبسى فى هذا الهيكل الطبيعى ، وقوله  
( قل لفتاة الحى ) يريد الروح المناسب له من هذه الأرواح خاصة ، وقوله  
( موعداًنا الحى ) يريد حجاب العزة فى مشهد من المشاهد أو عند انفصاله من

تدبير هذا الجسم بالموت ، فأما وأما قوله ( غدية ) أول زمان التجلي وجعله يوم السبت لأنه يوم الراحة والفراغ من الخلق كما ورد في الخبر<sup>(١)</sup> ( عند ربا تجد ) يريد المقام العالى وقوله ( على الربوة الحمراء ) مقام الجمال لأن الذين قسموا الألوان يقولون لون الحمر أجمل وقوله ( من جانب الضوى ) العالى من المراتب وعن أيمن الأفلاج موطن السرور والعلم الفرد حضرة الفردانية التى هى دون الأحدية :

فإن كان حقاً ما تقول وعندها إلى من الشوق المبرح ما عندى  
إليها ففى حرّ الظهيرة نلتقى تخيمتها سرّاً على أصدق الوعد

يقول هذه الحقيقة الروحانية المناسبة له من ذلك العالم الناظرة إليه إن كان حقاً ما تقول فى طلبك إيانا وعندك من الشوق إلى ذلك مثل الذى عندنا إليك فعند الاستواء الذى هو عدم الميل وهو وقت حصول الشمس فى الموقف فىكون نسبتها إلى كل شىء على السواء كالنقطة من المحيط وخيمتها المقام الذى أقوم فيه فينزها على أن ينزلنى عليها على حسب الحال الحاكم فى الوقت وقوله سرّاً يريد مقام الكتم مع ضرب من الالتحام عند

(١) لم يثبت فى الخبر أن السبت يوم الراحة قال ابن كثير فى تفسيره : وقال قتادة : قالت اليهود عليهم لعائن الله خالق الله السموات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتألوه « وما مسنا من لغوب » .

الاجتماع وقوله ( على أصدق الوعد ) يريد وعد المناسبه والحال فإنه أصدق

من وعد المقال ، ثم قال :

فتأتى ونلقى ما نلقى من الهوى ومن شدة البلوى ومن ألم الوجد

أضغاث أحلام ؟ أبشرى منامة أنطق زمان كان في نطقه سعدى

لعل الذى ساق الأمانى يسوقها

عياناً فيهم ———— لدى روضها إلى جنى الورد

يقول فتلقى إلى ونلقى إليها كل واحد مما عنده مما يحتاج فيه إليه

وذكر شدة الاختبار ، فإن الحق جعل هذا تمحيص عباده فقال ( ليلوكم

أيكم أحسن <sup>(١)</sup> عملاً ) وقال لنبلونكم وقوله ( أضغاث <sup>(٢)</sup> أحلام ) يقول

عن هذا الاجتماع مع حبسى في هذا الهيكل المظلم ما أظن يتصور على حسب

ما أريد وما ينبغى إلا بانقطاع العلاقة من جميع الوجوه وقطع الملاقة عن

الجسم والجسد في حق هذا الروح الجزئى محال لأنه أصله وعنه ظهر فقوته

فيه بخلاف الملائ إلا على « أبشرى منامة » يقول : أوحى نبوى أو لسان

الزمان وهو القال ، وذلك لعزة هذا الاجتماع ، يقول كأنه محال وقوعه وإنما

هذا والله أعلم لسان الزمان نطق به أو مبشرة أو أضغاث أحلام أى

لا حقيقة لها .

(١) من الآية ٢ من سورة الملك

(٢) من الآية ٤٤ من سورة يوسف .

ثم قال : لعل هذا يكون كلمة وافقت قدراً ، وقوله : ( فيهدى روضها  
إلى حتى الورد ) يشير إلى يحصل يحصل له من الذوق فعبر عنه بالجنى .

\*\*\*

ثم قال :

ألا هل إلى الزهر الحسان سبيل وهل لي على آثارهن دليل ؟  
وهل لي بنحيات اللوى من مُعرس

وهل لي في ظل الأراكِ مَقِيل

يقول : ألا هل لي إلى هذه المعارف الحاصلة من التجليات الذوقية من  
اسمه الجميل طريق إلى نيلها ، وهل لي دليل على الطريق الموصل إليها ،  
وهل لي بمقامات العطف الإلهي من إقامة وتعريس ، وهل لي في نعيم  
المشاهدة في حضرة التقديس والتطهير نصيب .

ثم قال :

فقال لسان الحال يخبر أنها تقول تمن ما إليه سبيل

يقول : فقال لسان الحال يشهد بأن ذلك لا يكون ، وإن هذا المقام لا يحصل  
إلا لأهل الجد والاجتهاد ، والتوجه الصدق لا يحصل بالتمنى أسلك تصل .

ثم قال :

ودأدى صحيح فيك يا غاية المنى وقلبي من ذاك الوداد عليل  
تعاليت من بدر على القطب طالع وليس له بعد الطلوع أفول

يقول : ما هو تمني بل هو ود صحيح يحملني على ارتكاب الشدائد في  
رضي المطلوب رجاء أن يحصل منه ما يمتن به على ، وجعله منتهى أمله ،  
ووصف قلبه بالعلقة حين وصف وداده بالصحة يريد ما أثر الهوى فيه من  
الشدّة والكرب ، وقوله : ( تعاليت من بدر ) إشارة إلى حصول صفة  
الكمال لها ، وقوله :

\* وليس له بعد الطلوع أفول \*

فيه على أن الحق ما تجلى لشيء ثم انحجب عنه بعد ذلك ، هكذا تعطى  
الحقائق ، ثم قال .

فديتك يا من عزّ حسناً ونحوه فليس له بين الحسان عدل  
فروضك مطلول ووردك يانع وحسنك معشوق عليك قبول  
وزهرك بسام وغصنك ناعم تميل له الأرواح حيث يميل  
وظرفك فتان وظرفك صارم به فارس البلوى على وصول

كنى بالروضة عن مجموع خلقه وبالطل عن مكارمها واستمدادها بظهور  
الأخلاق الإلهية عليها ، وبالورد الينع مشهد مخصوص يهلك كل صفة  
مذمومة وبالحسن المعشوق عن العلاقة التي بينك وبينه ، وقوله  
( عليه قبول ) يريد أنه محبوب لذاته ، وقوله : ( زهرك بسام ) يريد قبول  
قبول المعارف التي على القلب ، وقوله . ( وغصنك ناعم ) يريد حاملاتها  
منك ، وقوله :

\* تميل له الأرواح حيث تميل \*

لا ارتباطها به ارتباط الظل بالشخص ، يسكن بسكونه ويحرك بحركته  
وقوله : ( وظرفك فتان ) يريد مقام الأدب ، وفتان محل الاختبار وظرفك  
صارم مشهور قاطع ، وقوله :

\* به فارس البلوى علىَّ يصول \*

يقول : باعث الحق في العبد اختباراً من الحق له .

\*\*\*

وقال رضى الله عنه

لطيبة ظبي طيء صارم تحرد من طرفها الساحر  
وفي عرفات عرفت الذى تريد فلم أك بالصابر  
وليلة جمع جمعنا بها كما جاء فى المثل السائر

قوله : ( لطيبة ظبي ) مرتبة محمدية يقال لها نظر صائب تجرد ، يقول :  
ظهر من طرفها من نظرها الساحر الحاكم على عالم الامتزاج ، وقوله : ( فى  
عرفات ) مقام الجمعية فى باب المعرفة عرفت الذى تريده منى فلم أك بالصابر ،  
يقول : استعجلت فى قضاء ذلك ، وقوله : ( ليلة جمع ) يقول : أقننا فى  
مقام القربة لجمعنى على ولكن لفتة لأنها ليلة يعنى ثم افترقنا ، فقال :

\* كما جاء فى المثل السائر \*

وهو قولهم :

\* فما سلم حتى ودعا \*

أى كان سلامه وداعاً ، ثم قال :

بين الفتاة يمين فلا تكن تطمئن إلى غادر

منى بمنى نلتها ليتها تدوم إلى الزمن الآخر

تولعت في لعل بالتي تريك سنا القمر الزاهر

يقول : قسم الصفة التي لا قيام لها بنفسها ، فهي مفتقرة إلى غيرها ،

لا يعول عليه لكونها محجوبة عن افتقارها فقد لا يساعدها فيما تريد من

هي مفتقرة إليه ولا تظهر إلا به فقد يكذب يمينها ولا يصدقه ، يقول : من

هذه صفته لا يعتمد على قوله ، ولا تطمئن إليه ، وقوله منى يريد ما كان

يتمنى بمنى مقام الجمع فليته بدوم إلى الزمن الآخر ، وهو مقام الأنفاس ،

وقوله : \* تولعت في لعل \*

أى مقام الفرح بالحب بالتي يظهر في صورة القمر ليلة البدر إشارة إلى

صفة كمال في التجلي .

رمت رامة وصبت بالصبا وحجرت الحجر بالحاجر

وشامت بريقاً على بارق بأسرع من خطرة الخاطر

وغاضت مياه الغضامن غضى بأضله من هوى ساحر

يقول : رمت ما كانت ترومه لأنها رأت الأمر على خلاف ما كانت

تعتقده ، وقوله : ( وصبت بالصبا ) أى ،الت إلى جانب التجلى وحجرت  
منعت المنع بمقام العزة الأحمى ، يقول : إن المراد حصل فإن المنع إذا منع  
كان عطاء ، فإن عدم العدم وجود ، و \* شامت بريقاً على بارق \* الشميم  
النظر إلى البرق ، يقول : أشهدت مشهداً ذاتياً ، وبارق هنا الكتيب ،  
وما فى معناه ، يريد حيث التجلى فهو بارق ، وقوله :

\* بأسرع من خطرة الخاطر \*

يقول : لا يثبت لعزته ، وقوله : غاضت ، أى نقصت مياه الغضا ، يقول :  
خبأة نيران الهوى من غضى ، يعنى نار قلبه التى أضرها هوى هذه الفتاة  
والماء من عادته تجفنه الحرارة فلهذا قال فاض .

ثم قال :

وبانت بيان النقا فانتقت لآلى مكنونة الفاخر  
وأضلت بذات الأضا القهقرى حذاراً من الأسد الخمار  
بذى سلم أسلمت مهجتي إلى لحظها الفاتك الفاتر

وقوله : وبانت ، يقول : ظهرت بيان النقا روضة الكتيب الذى هو  
مشهد الرؤية ، وقوله : فانتقت لآلى مكنونة الفاخر ، يقول : أشهدت فى  
أحسن صورة ، وقوله : ( وأضلت ) رجعت بذات الأضا موضع تجلى  
الأنوار القهقرى إلى خلف يريد رجوعها إلى عالم طبيعتها لئلا تحرقها تلك  
الأنوار ، فسكان الرجوع حجاباً عن ذلك النور المحرق حذاراً من سطوته  
( ١٧ - ذخائر )



وسماه أسداً لشدته ، وخادراً لأن شدة غيره تتحدر عنده كما سمي الشجاع  
بطلاً أي يبطل شجاعة غيره ، وقوله : بنى سلم ، مقام الاستسلام أسامت  
تركت مهجتي حقيقة ذاتي إلى لحظها يريد مشهدها في باب الرؤية الفاتك  
يريد القاتل لأهل الخلوات ، خاصة الفاتر اللطيف بأهل الخلوات ، فإن  
العارفين يهلكون بنظر الحق ويفنون والعامّة لا يطرأ عليهم شيء من  
ذلك مع نظرهم إلى الحق وذلك لعدم المعرفة وهنا سر وهو هلاك نفسك  
على الحقيقة في مثل هذه المشاهدة منك إلا أن يكون الأمر ذاتياً فينشد  
يكون منه ومنك بحيث أنك مستعد للتأثير لا غير .

ثم قال :

حمت بالحمى ولوت باللوى كعطفة جارحها الكاسر  
وفي عاجل عاجت أمرها لتفت من مخلب الطائر  
خورنقها خارق للسماء يسمو اعتلاء على الناظر

يقول : قامت في مقام العزة تخلقاً ، ولوت : أي عطفت بالعطفات  
الإلهية تخلقاً أيضاً ، وقوله : كعطفة جارحها يريد عزمها الماضي الكاسر  
كل عزم كما قلنا :

إذا فل سيني لم تفل عزأمي فلي عزمات شاخداث صوامي

وفي عاجل من المعالجة لتفت من مخلب الطائر ، يقول : ما تحب الأخذ  
وهي في قبضة الأرواح ، وإنما تحب أن تأخذ وهي في قبضة الحق ذوقاً

لا علماء ، فإن الأخذ من الحق قد يكون بوساطة الأرواح العلووية وقد يكون بارتفاع الوسائط .

وقوله : خورنقها ، موضع مملكتها خارق للسماء له أثر في العلويات يسمو اعتلاء على الناظر ، يريد يفوق البصر والإشارة إلى قوله تعالى : ( لا تدركه الأبصار )<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ثم قال :

ألم بمنزل أحباب لهم ذم سحت عليهم سحب صوبها ديم  
واستنشق الريح من تلقاء أرضهم شوقاً لتخبرك الأرواح أين هم  
أظنهم خيموا بالبان من أضمر حيث العراروحيث الشيخ والكتم

يقول : انزل بمنزل أحباب ، يريد الأرواح العلووية لهم ذم عهد ، وقد يريد أخذ الموائيق الإلهية المأخوذة على أرواح الأنبياء عليهم السلام سحت عليهم ، يقول : سكبت على ذلك المنزل سحب ، يعني من المعارف صوبها ديم تنزلاتها دائمة ، وقوله : واستنشق الريح من تلقاء أرضهم ، معناه إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين<sup>(٢)</sup> شوقاً ، يريد محبة لتخبرك الأرواح ، يريد عالم الأنفاس أين هم من المقامات فإنه قال فيهم : ( وما منا

(١) سورة الأنعام من الآية : ١٠٣

(٢) قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ<sup>(١)</sup>، وَقَوْلُهُ: أَظْهَرُهُمْ، أَعْلَمُ أَنَّهُمْ، وَالظَّنُّ هُنَا بِمَعْنَى الْيَقِينِ،  
كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

\* قَلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفِعْلِ مَذْحَجٌ \*

وَقَالَ تَعَالَى: (وِظَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup>) يَرِيدُ تَيَقَّنُوا، وَقَوْلُهُ:  
خَيَّمُوا بِالْبَانَ، أَيْ نَزَلُوا بِمَقَامِ الظَّاهِرِ وَالتَّنْزِيهِ مِنْ أَرْضِ، مَوْضِعِ الْحِجَازِ،  
يَرِيدُ الْقُصُورَ الْإِلَهِيَّةَ حَيْثُ الْعَرَارُ وَحَيْثُ الشَّيْخِ وَالسُّكْتِمْ، يَقُولُ: حَيْثُ  
الْأَعْرَارِ الطَّيِّبَةِ مِنَ الْمَنَاطِرِ الْحَسَنِ، فَإِنَّ طَيْبَ الرِّوَاخِ مِنَ الرِّوَضَاتِ أَحْسَنُ  
مِنْ غَيْرِهَا لِجَمْعِ بَيْنِ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ وَالْمَنْظَرِ الْحَسَنِ وَالْهَوَاءِ الطَّيِّبِ.

\* \* \*

ثُمَّ قَالَ:

أَلَا يَا بَانَةَ الْوَادِي بِشَاطِي نَهْرِ بَغْدَادِ  
شَجَانِي فَيْكَ مِيَادٌ طَرُوبٌ فَوْقَ مِيَادِ

يَقُولُ: لِلشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ جَانِبِ الْوَادِي الظَّاهِرِ، وَبَغْدَادِ مَنْزِلِ الْإِمَامِ  
يَرِيدُ مَقَامَ الْقُطْبِ، وَهِيَ شَجَرَةُ النُّورِ، فَإِنَّ دَهْنَ الْبَانِ لَهُ أَثَرٌ فِي النُّورِ،  
وَجَعَلَهَا بِالشَّاطِيءِ لِأَنَّهَا أَكْشَفُ وَجَعَلَهُ نَهْرًا لِاتسَاعِ الرَّحْمَةِ، وَقَوْلُهُ:  
شَجَانِي، يَقُولُ: أَحْزَنَنِي فَيْكَ طَائِرٌ، يَرِيدُ رُوحًا عَلَوِيًّا طَرُوبٌ، يَقُولُ:  
مُطْرَبًا صَوْتَهُ إِلَّا أَنْ الْحَزُونَ يَبْكِيهِ فَهُوَ شَجُوٌّ فِي حَقِّهِ وَغَنَاءٌ فِي حَقِّ الْمَسْرُورِ  
وَقَوْلُهُ: مِيَادٌ، يُشِيرُ إِلَى النُّشْأَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي مَقَامِ الْقِيَوْمِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) مِنَ الْآيَةِ ١٦٤ مِنْ سُورَةِ الصَّافَاتِ.

(٢) مِنَ الْآيَةِ ١١٨ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ.



يذكرني ترنمه ترنم ربة النادى

إذا استوت مثالثها فلا تذكر أخا الهادى

وإن جادت بنغمتها فمن أنجشة الحادى

يقول: يذكرني بنغمته نفمة سيد المجلس، وهي كل حقيقة لها الحكم في عالمها، وقوله: إذا استوت مثالثها، يعني الجسم وجعله مثالث للطول والعرض والعمق، وقد يريد بالمثالث مراتب الأسماء الثلاثة التي هي منزل الإمامين والقطب، وقوله: فمن أنجشة الحادى، حادٍ كان يحدو في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهلك الإبل بحسن صوته، وقوله: فلا تذكر أخا الهادى، هو عم أمير المؤمنين المأمون، كان من أهل الغناء والتلحين، يقول: هي أحسن منه، ثم يقول:

بذى الخصات من سلمى يمينا ثم سانداد

لقد أصبحت مشغوفاً بمن سكنت بأجباد

غلطنا إنما سكنت سويدا خلب أكبَاد

لقد تاه الجمال بها وفاح المسك والحادى

أقسم بذى الخصات وهو حال عام كلّى جامع، وقوله: من سلمى، يريد مقاماً سليمانياً، فأنزله باسم الأنتى لتجانس الغزل والتشبيب، وقوله: يمينا، أى قسماً ثم أقسمت بمنازل الملوك، وقوله: سكنت بأجباد، إشارة إلى مجارى الأنفاس، أى سكنت مجرى نفسى وهو موضع بمكة، لكن الإشارة إلى أنه جمع جيد وهو العنق، ثم قال: بل مسكنها الكبد،

يقول : هي غذائي وروحي لأن الغذاء مادة الروح ، فلماذا وقع الغلط وجعلها  
في محل الإمداد لا في محل الاستمداد ، أى تمدد ولا تستمد ، وقوله :  
لقد تاه ، أى حار الجمال فيها من حسنها ، وفاح المسك والحامدي ، أى الذوات  
الطيبة الريح وإنما يكسب الطيب من ريحها لطيب نفحتها .

تم بحمده تعالى وتوقيقه ومنه كتاب  
« ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق »  
وبليه « الأمر المحكم المربوط في ما يلزم أهل طريق الله من الشروط »  
وهما للشيخ الأكبر سلطان العارفين سيدي محي الدين بن عربي  
نفعنا الله به وبعلمه آمين

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما »

قال الشيخ الإمام العالم الحق المحقق المتبحر محيي الدين شرف الإسلام  
لسان الحقائق علامة العالم قدرة الأَكْبَر ، محل الأوامر ، أعجوبة الدهر ،  
فريد العصر ، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي ،  
ثم الأندلسي ( الحمد لله ) الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا  
الله لما قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ( وأنذر عشيرتك الأقربين )<sup>(١)</sup> دعا محمد  
صلى الله عليه وسلم قرابته ووقف على الصفا وأخذ ينذرهم ويقول : ما أمر به  
أن يقول على ما ذكره مسلم في صحيحه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال  
الدين النصيحة<sup>(٢)</sup> قالوا لمن يا رسول الله : قال الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

(١) من الآية ٢١٤ من سورة الشعراء .

(٢) النصيحة هي كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير المنصوح له ،  
وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها .

وأصل النصح في اللغة : الخلوص ، يقال : نصحتك ونصحت له ، ومعنى  
نصيحة الله : صحة الاعتقاد في وحدانيته ، وإخلاص النية في عبادته ، والنصيحة  
لكتاب الله هو التصديق به والعمل بما فيه ، ونصيحة رسوله صلى الله عليه  
وسلم : التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه ، ونصيحة  
الأئمة : أن يطيعهم في الحق ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا . ونصيحة  
عامة المسلمين : ارشادهم الى مصالحهم ، اه . نهاية .



المسلمين وعامتهم ، فالأقربون أولى بالمعروف في حكم الشرع ، والأقربون على نوعين قرابة طينية ، وقرابة دينية ، والمعتبر في الشرع القرابة الدينية ، فإن النبي عليه السلام يقول : لا يتوارث أهل ملتين ، فولا الدين ما ورث قرابة الطين شيئاً ، ولقد أشار شيخنا أبو العباس إشارة بديعة في هذا ، وذلك أني دخلت عليه يوماً ، فقلت له الأقربون أولى بالمعروف ، فقال إلى الله ، وقال الله سبحانه ( إنما المؤمنون أخوة <sup>(١)</sup> ) فإذا ثبت الإيمان كانت الأخوة ، وإذا كانت الأخوة كانت الشفقة والرحمة ولا معنى للشفقة والرحمة إلا أن تنقذ أخاك من النار إلى الجنة وتنقله من الجهل إلى العلم ، ومن الذم إلى الحمد ، ومن النقص إلى الكمال ، فإنه لا يكمل عبد الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، على ما ذكره مسلم في مسنده ، والمؤمنون يد واحدة على من سواهم ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، فاعلم أن المؤمنين بهذا الحكم يجب نصحتهم وإنباهم من الغفلة ، وإيقاظهم من نومة الجهالة ، وإنقاذهم من شقاء الحفرة النارية التي هم عليها ، غير أن المؤمنين انقسموا على مراتب كثيرة من جملتها مرتبة تسمى التصوف أخذتها طائفة تسمى الصوفية آثروا الآخرة على الدنيا واختاروا الحق على الخلق ، وما من طائفة في مرتبة إلا وهي في تلك المرتبة على حالين صادقة ذات حقيقة ومدعية لا حقيقة عندها ، فقرابة كل طائفة من كانت معها على طريقة واحدة ، إما بالصورة وهم المدعون الذين لا حقيقة عندهم ، وإما بالصورة والمعنى وهم المحتمقون فتعين علينا لكونهم من الأقربين أن

(١) من الآية ١٠ سورة الحجرات .

ننذرهم ولكونهم من المسلمين أن نصحهم ، ولكونهم في مقام الأخوة أن نشفق عليهم ، واعلم أن هذا الطريق ، أعنى طريق الله الذي هو الطريق المستقيم هو أجل الطرق وأسناها ، لأن الطرق تتشرف وتتضع بحسب غاياتها ولما كان هذا الطريق غاية الحق سبحانه ، والحق أشرف الموجودات وأعز المعلومات لا إله إلا هو ، كان الطريق إليه أشرف الطرق وأفضلها ، والدال عليه سيد الأدلاء وأكملهم وأعظمهم ، والسالك عليه أسعد السالكين ، وأنجاهم فينبغي للعاقل أن لا يسلك من الطرق سواه لارتباطه بسعادته الأبدية . واعلم أن أهل طريق الله شخصان صادق وصديق ، أعنى تابعا ومتبوعا ، فالتابع هو المرید والسالک والتلميذ ، والمتبوع هو الشيخ والأستاذ والمعلم ، وسواء كان هذا الرجل متبوعا أو لم يكن ، وإنما المعنى تأهله للشيخوخة والإرشاد لتمكنه في ذلك المقام واستقلاله واستبداده وغرضي في هذه العجالة أن أبين مقام الشيخوخة ولوازمها ، ومقام المرید ولوازمه ، وما ينبغى أن يتعامل به أهل طريق الله ويعاملوا به طريق الله تعالى ، ولهذا سميتها ( الأمر المحكم المربوط \* في ما يلزم أهل طريق الله تعالى من الشروط ) فإن الزمان مشحون بالدعوى الكاذبة العريضة ، فلا مرید صادق ثابت القدم في سلوكه ولا شيخ محقق ينصحه فيخرجه من رعونة نفسه وإعجاب به برأيه ويعرب له عن طريق الحق ، فالمرید يدعى الشيخوخة والرئاسة ، وهذا كله تخبيط وتلبيس . واعلم أن مقام الدعوة إلى الله ، وهو مقام النبوة والوراثة الكاملة ، والحاصل فيه يقال له النبي في زمان النبوة ، ويقال له





الشيخ والوارث والأستاذ في حق العلماء بالله من غير أن يكونوا أنبياء وهو الذي قالت فيه السادة من أهل طريق الله من لم يكن له أستاذ فإن الشيطان أستاذه ، وإن جبرائيل عليه السلام هو أستاذ النبي عليه الصلاة والسلام ، ولقد خرّج الهروي رحمه الله في كتاب « درجات التائبين » له ، وهو روايتي عن الشريف جمال الدين يونس بن يحيى بن أبي الحسن من ذرية العباس بن عبد المطلب حدثني به قراءة مني عليه بالحرم الشريف تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة سنة تسع وتسعين وخمسمائة قال : حدثنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي قال حدثنا عبد الأعلى بن عبد الواحد المليحي عنه « أن الله تعالى أنزل ملكا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل عليه السلام ، فقال له : يا محمد ، إن الله خيرك إن شئت نبيا عبدا وإن شئت مـاـكا نبيا ، فأوماً إليه جبرائيل عليه السلام أن تواضع ، فقال صلى الله عليه وسلم : نبيا عبداً . وغرضنا من هذا الحديث تعليم جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه اختار ما اختاره له فقام جبرائيل هنا مقام الشيخ المعلم ومقام محمد صلى الله عليه وسلم مقام المتعلم . ومن هذا الباب قول الله تعالى : ( ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه <sup>(١)</sup> ) ، وقوله تعالى : ( لا تحرك به لسانك لتعجل به إننا علينا جمعه وقرأناه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه <sup>(٢)</sup> ) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أدبني فأحسن تأديبي » فلا بد من مؤدب وهو الأستاذ ، فإن هذا

(١) من الآية ١١٥ من سورة طه .

(٢) من الآية ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من سورة القيامة .

الطريق لما كان في غاية الشرف والعزة حفت به الآفات والتواطع والأموال المهلكة من كل جانب فلا يسلكه إلا شجاع مقدام ويكون معه دليل علام ، وحينئذ تقع الفائدة ، فعلى الشيخ أن يوفى حق مرتبته ، وعلى المرید أن يوفى حق طريقته .

اعلم أن مقام الشيخوخة ليس هو الغاية ، فإن الشيخ أيضاً طالب من ربه ما ليس عنده ، فإن الله يقول لنبيه عليه السلام : ( وقل رب زدني علماً ) فصفة الأستاذ أن يكون عارفاً بالخواطر النفسية ، والشيطانية ، والملكية ، والربانية ، عارفاً بالأصل الذي تنبعث منه هذه الخواطر ، عارفاً بحركاتها الظاهرة ، عارفاً بما فيها من العلال والأمراض الصارفة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة عارفاً بالأدوية وأعيانها ، عارفاً بالأزمة التي تحمل المرید فيها على استعمالها ، عارفاً بالأمزجه ، عارفاً بالعوائق والعلائق الخارجة مثل الوالدين والأولاد والأهل والسلطان ، عارفاً بسياساتهم ، ويجذب المرید صاحب العلة من أيديهم ، هذا كله إذا كان المرید له رغبة في طريق الله ، وإن لم يكن له رغبة فلا ينفع . ( ومن شرط الشيخ ) أن لا يترك المرید يبرح من منزله ألبتة إلا بإذنه لحاجة يوجهه فيها ( ومن شرطه ) أن يعاقب المرید على كل هفوة تصدر منه ولا سبيل إلى الصفح عنه في زلة ، فإن فعل فلم يوف حق المقام الذي هو فيه فهو إمام غاش لرعيته غير قائم لحرمته ربه . فإن النبي عليه السلام يقول : « من أبدى لنا صفحة أقمنا عليه الحد » ( ومن ذلك ) أن يشترط على المرید أن لا يكتبه شيئاً مما يخطر له في نفسه

(١) من الآية ١١٥ من سورة طه .

وما يطرأ عليه في حاله ، ومتى ما لم يكن الطيب يميز أعيان الأعشاب  
والعقاقير عارفاً بتركيب الأدوية فإنه مهلك للمريض ، فإن العلم من غير العين  
لا يفيد فلا بد من عين اليقين وحينئذ ألا ترى لو كان للعشاب غرض في  
إهلاك المريض فإذا وصف الطيب الدواء من جهة كونه عالماً به وهو لا يعرف  
شخص الدواء فأعطاه العشاب ما فيه هلاك العليل ويقول هذا مطلوبك ،  
فيستقيه الطيب المريض فيهلك وإيمه في عنق الطيب والعشاب ، فإن الطيب  
كان الواجب عليه ألا يداويه إلا بما يعرف عينه وشخصه فكذلك الشيخ  
إذا لم يكن صاحب ذوق وأخذ الطريق من الكتب وأفواه الرجال وقعد  
يربى به المرید طلباً للمرتبة والرئاسة فإنه مهلك لمن تبعه لأنه لا يعرف  
مورد الطالب ولا مصدره ، فلا بد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء ،  
وتدبير الأطباء ، وسياسة الملوك ، وحينئذ يقال له أستاذ ، ويجب على  
الشيخ أن لا يقبل مریداً حتى يختبره . (ومن شرطه) أن يحاسب المرید  
على أنفاسه وحر كاته ويضيق على قدر صدقه في اتباعه ، فإنه طريق الشدة  
ليس للرخاء فيه مدخل ، لأن الرخص إنما هي للعامة لأنهم قنعوا بكونهم  
ينطلق عليهم اسم الإيمان خاصة مؤدين لما فرض الله عليهم دون زيادة ومن  
طلب الأنفس والزيادة على مرتبة العوام فلا بد أن يذوق الشدائد في نيل  
ذلك ، فإنه من أرماد أن يرى الدر في نحره فلا بد أن يقاسى ظلمة بحره ،  
يجنى روح الحياة عن سريانه ، فإن الغاطس في البحر لا بد يمسك نفسه فتحقق  
ما ذكرنا ، وكان إمامنا أبو مدين يقول : ما المرید والرخص ، قال الله تعالى

(والذين جاهدوا فينا لنهديمهم سبلنا<sup>(١)</sup>) ، فأين أنت بعد الجهاد تنضح السبيل ، وعند ذلك يكون السلوك عليها وهو سفر ، والسفر قطعة من العذاب فإنه منتقل من عذاب إلى عذاب فلا راحة ، ومن شرطه أن لا يقعد في مقام الشيخوخة إلا أن يقعه أستاذ أو يقعه ربه بما يلقي إليه في سره على الأمر المعهود له مع ربه في الأخذ عنه ، ومن شرطه إذا تكلم في مسألة وقام إليه منازع فيها أن يقطع الكلام ، فإنه لا كلام لهم رضى الله عنهم بحضرة نفس المنازع لأن علومهم لا تقبل المنازعة لأنها وراثه نبوية ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا تنوزع عنده يقول : عند نبي لا ينبغي تنازع ، وذلك لأن المعارف الإلهية والإشارات اللطيفة الربانية خارجة عن مدارك العقول من كون العقول ناظرة لا من كونها قابلة ، فلم يبق فيها إلا الكشف ، ومن أخبر عما عين وشاهد لا يجوز للسامع النزاع في ما أتى به ، بل يجب عليه في حكم الطريق التصديق به إن كان مريداً أو التسليم به إن كان أجنبياً ، فإن المريد إن لم يقعد الصدق في ما يقوله للشيخ ، فمتى يفلح ومتى رأيت الشيخ ترك المريد يستدل عليه في المسائل بالأدلة الشرعية أو العقلية ، ولا يزجره ويهجره عليها ، فقد خانته في التربية ، فإن المريد لا ينبغي له الكلام إلا في ماشاهده وعائنه ، والصمت عليه واجب ، والفكر عليه حرام ، والنظر عليه في الأدلة محذور ، فكل شيخ ترك مریده على مثل هذه الحال ، فإنه غير مرشد له ساع في هلاكه مضاعف لحجابه مستعمل في طرده عن باب ربه ، والأولى بالشيخ إذا رأى المريد يحنح إلى استعمال عقله في النظريات ، ولا يرجع إلى رأيه في ما بدله

(١) من الآية ٦٩ سورة العنكبوت :

عليه فليطرده عن منزله فإنه يفسد عليه بقية أصحابه ولا يفلح هو في نفسه، فإن  
المريد عرائس الله حور مقصورات في الخيام قاصروا الطرف عن كل مشهد  
سوى مشهد ما يقودهم إليه الشيخ، ويجب على الشيخ إذا علم أن حرمة سقطت  
من قلب المريد أن يطرده عن منزله بسياسته فإنه أكبر الأعداء، كما قيل:

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مره  
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالضره

ويجب له الاشتغال بظواهر الشريعة وطريق العبادة في العموم، ويفتق  
الباب بينه وبين بقية من عنده من أولاده، فإنه لا شيء أضر على المريد من  
صحبة الضد، وللشيخ ثلاثة مجالس: مجلس للعامه، ومجلس لأصحابه، ومجلس  
خاص لكل مريد على انفراد. فأما مجلس العامه فيجب عليه أن لا يترك  
أحدًا من المريدين يحضر ذلك المجلس، ومتى تركهم فقد أساء في حقهم.  
(وشرطه في مجلس العامه) أن لا يخرج عن نتائج المعاملات من الأحوال  
والنكرامات، وما كان عليه رجال الله من المحافظة على آداب الشريعة،  
واحترامهم إياها (وشرطه في مجلس الخاصة) أن لا يخرج عن نتائج الأذكار  
والخلوات والرياضات وإيضاح السبل المضافة إلى الآنية من قوله «لنهديهم<sup>(١)</sup>  
سبلنا» (وشرطه في مجالس الانفراد) مع الواحد من أصحابه زجره وقهره  
وتوبيخه وإن الذي يأتي به المريد إليه أنه حال ناقص وضع، ونبهه على رداءة  
همته ونقصها ولا يفتنه بحاله، ويجب على الشيخ أن يكون له وقت مع ربه،  
ولا بد ولا يتكلم على ما حصل له من قوت الحضور، فقد كان عليه الصلاة

(١) من الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

والسلام يقول : لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى ، وذلك أن النفس إنما حصل لها القوة باستمرار عادة الحضور ، وترك ما سوى الله فى الظاهر والباطن ، فكذلك أيضاً نرجع بحكم عادة النقيض ، ولا سيما والطبع الذى جبل عليه يساعدها فمتى لم يتفقد الشيخ حاله فى كل يوم بالأمر الذى حصل له به هذا التمكين كان مخدوعاً بحيث أن تسترقه العادة ويجره الطبع ، ويريد الخلوة ساعة فتفقد الأنىس ويجرد الوحشة ، وكذلك فى توكله وادخاره فى كل حال اكتسبته النفس مما لم تفطر عليه لأنه سريع الذهاب ، وقد رأينا شيوخاً سقطوا نسأل الله لنا ولهم العافية ، قال الله تعالى : (إن الإنسان خلق هلوفاً ، إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً) <sup>(١)</sup> ، فقد جمع فى هذه الآية كل رذيلة فى النفس وأبان فيها أن النضائل مكتسبة لها ليست فى جبلتها فالتحفظ واجب (ومن شرطه) إذا وصف له المرید رؤياً رآها أو مكاشفة أو مشاهدة شاهد فيها أمراً ما أن لا يتكلم له عليها البتة ، واكن يعطيه من الأعمال ما يدفع به ما فيها من مضرة وحجاب أو يرقيه إلى ما هو أعلى ومتى ما تكلم الشيخ على ما يأتى به المرید فقد أساء فى حقه ، فإن النفس تسقط من حرمة الشيخ عندها على قدر ما يباسطها به ، وعلى قدر ما يسقط من الحرمة من قلبه تقع الإباءة من المرید فى ما يدل عليه ذلك الشيخ ، وإذا وقف الإباءة فى الأخذ عدم الاستعمال ، وإذا عدم المرید الاستعمال وقع

(١) من سورة المعارج الآيات : ١٩ - ٢١ .

المحباب والطرود ، نخرج عن حكم الطريق وأخذ ، فمثل كمثل الكلب ،  
سأل الله لنا وللمسلمين العافية . ( ومن شرط الشيخ ) أن لا يترك مریده  
يجالس أحداً سوى إخوته الذين معه تحت حكمه ، ولا يزور ولا يزار ،  
ولا يكلم أحداً في خير ولا في شر ، ولا يتحدث بما طرأ عليه من كرامة ،  
ووارد مع إخوته ، ومتى تركه الشيخ يفعل شيئاً من هذه الأفعال فقد أساء  
في حقه ( ومن شرطه ) أن لا يجالس تلاميذه إلا مرة واحدة في اليوم  
والليلة ، ويكون له زاوية تخصه لا يدخلها أحد من أولاده إلا من يختص  
عنده ، والأولى أن لا يفعل حتى لا يشاهد فيها نفس مخلوق لكون ذلك  
مؤثراً في الحال على قدر قوة روحانية ذلك المتنفس ، فربما يتغير الحال على  
الشيخ في خلوته مع ربه من أجل ذلك النفس ، وهذا لا يعرفه كل شيخ ،  
ويكون له زاوية لاجتماعه بأصحابه ( ومن شرطه ) أن يجمل لكل مرید  
زاوية تخصه ينفرد بها وحده لا يدخل معه فيها غيره ، وينبغي للشيخ إذا  
أقعد المرید في زاويته أن يدخلها قبله ويركع فيها ركعتين ، وينظر في قوة  
روحانية ذلك المرید ومزاجه وما يعطيه حاله ، فيجتمع الشيخ في تينك  
الركعتين جمعية تليق بحال ذلك المرید ثم يقعد فيها ، فإن الشيخ إذا فعل  
ذلك قرب الفتح على ذلك المرید وعجل له خيره ببركته ، ولا يترك الشيخ  
المریدين يجتمعون أصلاً دونه إلا إذا جمعهم بحضرة ، ومتى تركهم يجتمعون  
دونه فقد أساء في حقهم .

( تم الأمر المحكم المربوط في ما يلزم أهل طريق الله من الشروط )